حقوق النبي ﷺ

على أمته

في ضوء الكتاب والسنة

تأليف

الدكتور محمد بن خليفة بن علي التميمي

الجزء الثاني

أضواء السلف

الطبعة الأولى

١٤١٨هـ - ١٩٩٧م

مكتبة أضواء السلف - لصاحبها علي المزني

الرياض - شارع سعد بن أبي وقاص - بجوار بنده - ص ب ١٢١٨٩٢ - الرمز ١١٧١١

ت ٤٥٠٢٣٢١ - محمول ٠٥٥٤٩٤٣٨٥

الموزعون المعتمدون لمنشوراتنا

- المملكة العربية السعودية: مؤسسة الجريسي.
- قطر: مكتبة ابن القيم - ت ٨٦٣٥٣٣.
- باقي الدول: دار ابن حزم - بيروت - ت ٧٠١٩٧٤.

حقوق النبي ﷺ

على أمته

في ضوء الكتاب والسنة

تأليف

الدكتور محمد بن خليفة بن علي التميمي

الجزء الثاني

أضواء السلف

الباب الثالث

وجوب تعزيره وتوقيره وتعظيمه ﷺ

وفيه ثلاثة فصول :

الفصل الأول : بيان عظيم قدره ﷺ ورفعة مكانته عند ربه عز وجل .

الفصل الثاني : وجوب تعزيره وتوقيره وتعظيمه ﷺ على أمته في حياته وبعد مماته .

الفصل الثالث : الصلاة والسلام عليه ﷺ .

• • • •

الفصل الأول

بيان عظيم قدره ﷺ ورفعة مكانته عند ربه عز وجل

□ ويشتمل على : تمهيد ، وثلاثة مباحث :

المبحث الأول : بيان بعض الخصائص التي خص الله بها نبيه ﷺ في الحياةالدنيا .

المبحث الثاني : بيان بعض الخصائص التي خص الله بها نبيه ﷺ في الآخرة .

المبحث الثالث : بيان بعض الخصائص التي خص الله بها أمة محمد ﷺ .

• • • •

تمهيد

إن من الأهمية بمكان – قبل الشروع في توضيح الحق الواجب للنبي ﷺ في شأن تعظيمه وتوقيره – عقد هذا الفصل في بيان عظيم قدره ﷺ ورفعة مكانته عند ربه عز وجل وذلك لاستعراض جملة طيبة من المكارم والخصائص التي امتن الله بها على عبده ورسوله محمد ﷺ ، والتي تدلل على تشريف الله عز و جل وتكريمه لنبيه ﷺ ، وتظهر تفضيل الله له على العالمين من الجن والناس أجمعين ، بل والملائكة المقربين .

فلابد لكل مسلم صادق في إسلامه من أن يتعرف على تلك الخصائص والفضائل ، إذ إن هذه المعرفه تنير القلوب وتبصرها وتزيدها إيمانًا وحبًا وتعظيمًا للنبي المصطفي ﷺ .

ولهذه الزيادة – بلا شك – ثمرتها في شحذ الهمم ودفعها لاتباعه والإقتداء به والسير على نهجه والتمسك بسنته واقتفاء أثره ، ولزوم هديه .

والمتأمل في آيات الكتاب العزيز ونصوص السنة النبوية الصحيحة يجد الكثير من الأدلة التي تبين مكانة النبي الكريم ﷺ وعظم قدره عند ربه عز وجل ، فقد حباه الله وامتن عليه وأكرمه بخصائص في الدنيا والآخرة دلت على علو قدره ، ورفعة مكانته ، وسمو منزلته عند الخالق تبارك وتعالى .

فقد قال تعالى في محكم التنزيل ﴿ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَابَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾[1] ففي هذه الآية يمتن الله على نبيه ﷺ بما أسبغ عليه من الفضائل التي هي المناقب والمراتب

---

(١) الآية (١١٣) من سورة النساء .

التي أعطاه الله إياها وميزه بها عن بقية أنبيائه ورسله وسائر خلقه .

فالله سبحانه فضل بعض الرسل على بعض فقال تعالى : ﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ﴾(١)

فكان لنبينا محمد ﷺ النصيب الأوفر من هذا الفضل فقد خصه الله وميزه بخصائص ومناقب دنيوية وأخروية فضل بها على سائر الأنبياء ومن سواهم من البشر . وسأتعرض لبعض هذه الخصائص على وجه الاختصار وذلك حتى يتبين للقارئ عظم قدره ﷺ عند ربه عز وجل .

○○○○

---

(١) الآية (٢٥٣) من سورة البقرة .

المبحث الأول

بيان بعض الخصائص التي خص الله بها نبيه ﷺ في الحياة الدنيا

١ ـ أخذ العهد له ﷺ على جميع الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام .

من الأمور التي تدل على عظيم قدره ﷺ عند ربه ما أخذه الله من العهد له ﷺ على جميع الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام على أنه لو بعث ﷺ وهم أحياء أو أحد منهم فإنه يجب عليهم أن يؤمنوا به ويتبعوه وينصروه .

قال تعالى ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَاقَ ٱلنَّبِيِّنَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَٱشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّاهِدِينَ ﴾[١]

وقد روي عن علي بن أبي طالب وابن عباس رضي الله عنهما في تفسير هذه الآية قولهما : « ما بعث الله نبيًا من الأنبياء إلا أخذ عليه الميثاق لئن بعث الله محمدًا وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه ، وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به ولينصرنه »[٢] .

فهو ﷺ الإمام الأعظم الذي لو وجد في أى عصر وجد لكان هو الواجب الطاعة المقدم على الأنبياء كلهم ، ولهذا كان إمامهم ليلة الإسراء لما اجتمعوا ببيت المقدس[٣] .

ولهذا فقد كان عند أهل الكتاب علم تام به ﷺ وبمبعثه ومكان بعثته

---

(١) الآية (٨١) من سورة آل عمران .

(٢) أخرجهما ابن جرير في تفسيره (٣ / ٣٣٢) وأوردهما ابن كثير في تفسيره (١ / ٣٧٨) .

(٣) تفسير ابن كثير (١ / ٣٧٨) .

ومهاجره ، كما ورد وصفه في كتبهم حتى إنهم ليعرفونه كما يعرفون أبناءهم قال تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ ٱلْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾(١)

وقال تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَاةِ وَٱلْإِنجِيلِ ﴾(٢)

وفي الحديث عن عبد اللّه بن عمرو رضي اللّه عنهما حينما سئل عن وصف النبي ﷺ قال : « أجل واللّه إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن : يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا وحرزًا للأميين ، فأنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ، ليس بفظ ولا غليظ ، ولا سخاب في الأسواق ولا يدفع السيئة بالسيئة ، ولكن يعفو ويغفر ، ولن يقبضه اللّه حتى يقيم به الملة العوجاء ، بأن يقولوا لا إله إلا اللّه فيفتح به أعينًا عميًا ، وآذانًا صمًا وقلوبًا غلفًا ... »(٣)

٢ ـ أنه ﷺ أكثر الأنبياء تبعًا .

فعن أبي هريرة رضي اللّه عنه أن النبي ﷺ قال : « ما من نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر ، وإنما كان الذي أوتيته وحيًا أوحاه اللّه إلي ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة »(٤) .

---

(١) الآية (١٤٦) من سورة البقرة .

(٢) الآية (١٥٧) من سورة الأعراف .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب البيوع ، باب كراهية السخب في الأسواق .
انظر : فتح الباري (٤ / ٣٤٢) ح ٢١٢٥

(٤) تقدم تخريجه ص ٧٤

وعن أنس رضي اللّٰه عنه قال : قال رسول اللّٰه ﷺ « أنا أكثر الأنبياء تبعا يوم القيامة »(١) .

وعنه رضي اللّٰه عنه قال : قال رسول اللّٰه ﷺ : « لم يصدق نبي من الأنبياء ما صدقت ، وإن من الأنبياء نبيا ما يصدقه من أمته إلا رجل واحد »(٢) .

وعن ابن عباس رضي اللّٰه عنهما عن النبي ﷺ قال : « عرضت علي الأمم ، فرأيت النبي ومعه الرهيط ، والنبي ومعه الرجل والرجلان ، والنبي ليس معه أحد ، إذ رفع لي سواد عظيم ، فظننت أنهم أمتي فقيل لي : هذا موسى ﷺ وقومه ، ولكن أنظر إلى الأفق الآخر ، فإذا سواد عظيم فقيل لي هذه أمتك ، ومعهم سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب ... » الحديث(٣) .

وفي هذا الأمر فضل عظيم وخصيصة كبيرة لنبينا محمد ﷺ فاللّٰه تعالى يكتب لكل نبي من الأنبياء من الأجر بقدر أعمال أمته وأحوالها وأقوالها فقد قال ﷺ : « من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا ... » الحديث(٤) .

فما من معرفة ولا حالة ولا عبادة ولا مقالة ولا شيء مما يتقرب به إلى اللّٰه عز

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب قول النبي ﷺ « أنا أول الناس يشفع في الجنة » ١/ ١٣٠ .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب في قول النبي ﷺ أنا أول الناس يشفع في الجنة وأنا أكثر الأنبياء تبعًا (/ ١٣٠).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الطب ، باب من اكتوى أو كوى غيره فتح الباري (١٠ / ١٥٥) ح ٥٧٠٥ ، وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب (١ / ١٣٨) .

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب العلم ، باب من سن سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو =

وجل مما دل عليه رسول الله ﷺ ودعا إليه إلا وله أجر من عمل به إلى يوم القيامة ، ولا يبلغ أحد من الأنبياء إلى هذه المرتبة ذلك لأن النبي ﷺ قد نفع شطر أهل الجنة فقد ثبت في الحديث أن أمته شطر أهل الجنة قال ﷺ : « أترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة ؟ قلنا : نعم . قال : أترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة ؟ قلنا : نعم . قال : والذي نفسي بيده إني لأرجو أن تكونوا شطر أهل الجنة ... » الحديث[1]

فإذا كان ﷺ قد نفع شطر أهل الجنة ، وغيره من الأنبياء إنما نفع جزءًا من أجزاء الشطر ، كانت منزلته في القرب على قدر منزلته في النفع ، فما من عارف من أمته إلا وله مثل أجر معرفته مضافًا إلى معارفه ﷺ ، وما من ذي حال من أمته إلا وله ﷺ مثل أجره على حاله مضمومًا إلى أحواله ﷺ ، وما من ذى مقال يتقرب به إلى الله عز و جل إلا وله ﷺ مثل أجر ذلك القول مضموما إلى مقالته وتبليغ رسالته ، وما من عمل من الأعمال المقربة إلى الله عز وجل من صلاة وزكاة وعتق وجهاد وبر ومعروف وذكر وصبر وعفو وصفح إلا وله ﷺ مثل أجر عامله مضموما إلى أجره على أعماله ، وما من درجة علية ، ومرتبة سنية ، نالها أحد من أمته بإرشاده ودلالته إلا وله مثل أجرها مضمومًا إلى درجته ﷺ مرتبته ، ويتضاعف ذلك بأن من دعا من أمته إلى هدى أو سن سنة حسنة كان له أجر من عمل بذلك على عدد العاملين ، ثم يكون هذا المضاعف لنبينا ﷺ ، لأنه دل عليه ، وأرشد إليه .

= ضلالة . انظر (٨ / ٦٢) .

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الرقاق ، باب الحشر . فتح الباري (١١ / ٣٧٨) ح ٦٥٢٨ ، وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب كون هذه الأمة نصف أهل الجنة

ولأجل هذا بكى موسى عليه السلام ليلة الإسراء بكاء غبطة غبط بها النبي ﷺ إذ يدخل من أمته الجنة أكثر مما يدخل من أمة موسى عليه السلام ، ولم يبك حسدًا كما يتوهمه بعض الجهال ، وإنما بكا أسفا على ما فاته من مثل مرتبته[١].

ففي قصة المعراج من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعا وفيه « ... ثم صعد بي حتى أتى السماء السادسة ... فلما خلصت فإذا موسى ، قال : (جبريل) هذا موسى فسلم عليه ، فسلمت عليه ، فرد ثم قال : مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح ، فلما تجاوزت بكى .

قيل له : ما يبكيك ؟ قال أبكي لأن غلامًا بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخلها من أمتي ... » الحديث[١] .

٣ ـ أن قرنه ﷺ خير قرون بني آدم كما أنه خير قرون أمته والقرون التي تلي قرنه ﷺ . فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « بعثت من خير قرون بني آدم قرنا فقرنا حتى كنت من القرن الذي كنت منه »[٢].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « خير الناس قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ... » الحديث[٣] .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : سأل رجل النبي ﷺ أي الناس خير قال

= (١ / ١٣٨ - ١٣٩) .

(١) بداية السول في تفضيل الرسول (ص ٤٤ ، ٤٦) .

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب مناقب الأنصار ، باب المعراج ، انظر : فتح الباري (٧ / ٢٠١ - ٢٠٢) . وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات وفرض الصلوات (١ / ١٠٤) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب المناقب ، باب صفة النبي ﷺ . انظر : فتح الباري (٦ / ٥٦٦) ح ٣٥٥٧

: « القرن الذي أنا فيه ثم الثاني ثم الثالث »[١]

والأحاديث في هذا الأمر كثيرة :

٤ ـ أن الله تعالى أخبره بأنه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وهو حي صحيح يمشي على الأرض . قال الله تعالى ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا * لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا * وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴾[٢]

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه ـ الذي في الشفاعة ـ وفيه قوله ﷺ : « .. فيأتوني فيقولون : يا محمد أنت رسول الله ، وخاتم الأنبياء ، وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، اشفع لنا إلى ربك ... »[٣] .

وفي حديث أنس رضي الله عنه ـ الذي في الشفاعة أيضا ـ وفيه قوله ﷺ : « ولكن ائتوا محمدا ﷺ عبدا قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ... »[٤].

قال العز بن عبد السلام[٥]: « ولم ينقل أنه أخبر أحدا من الأنبياء بمثل ذلك

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الشهادات ، باب لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد . = = انظر : فتح الباري (٦ / ٢٥٩) ح ٢٦٥٢ ، وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب فضائل الصحابة ، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم (٧ / ١٨٤) .

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب فضائل الصحابة ، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم (٧ / ١٨٦) .

(٢) الآيات (١ ، ٢ ، ٣) من سورة الفتح .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب التفسير ، باب قول الله عز وجل : (ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبدًا شكورًا) . انظر : فتح الباري (٨ / ٣٩٥) ح ٤٧١٢ ، وأخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان ، باب أدنى أهل الجنة منزلة (١ / ١٢٧ ، ١٢٨) .

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب أدنى أهل الجنة منزلة (١ / ١٣٣ - ١٣٤) .

(٥) عبد العزيز بن عبد السلام السلمي الدمشقي الملقب بسلطان العلماء فقيه شافعي بلغ رتبة الاجتهاد =

بل الظاهر أنه لم يخبرهم ، لأن كل واحد منهم إذا طلبت منهم الشفاعة في الموقف ذكر خطيئته التي أصابها وقال : « نفسي نفسي » ولو علم كل واحد منهم بغفران خطيئته لم يوجل منها في ذلك المقام واذا استشفعت الخلائق بالنبي ﷺ في ذلك المقام قال : « أنا لها » [١] .

٥ ـ أن الله رفع له ذكره ، قال تعالى : ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾[٢] .

فلا يذكر الله سبحانه إلا ذكر معه ، ولا تصح للأمة خطبة ولا تشهد حتى يشهدوا أنه عبده ورسوله ، وأوجب ذكره في كل خطبة ، وفي الشهادتين اللتين هما أساس الإسلام وفي الأذان الذي هو شعار الإسلام وفي الصلاة التي هي عماد الدين إلى غير ذلك من المواضع .

٦ ـ أن الله أقسم بحياته ﷺ فقال تعالى : ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾[٣]والإقسام بحياة المقسم بحياته يدل على شرف حياته وعزتها عند المقسم بها ، وأن حياته ﷺ لجديرة أن يقسم بها لما فيها من البركة العامة والخاصة ولم يثبت هذا لغيره ﷺ[٤] .

٧ ـ أن الله وقره في ندائه ، فناداه بأحب أسمائه وأسنى أوصافه فقال : ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ...﴾[٥]و ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلرَّسُولُ ﴾[٦]وهذه الخصيصة لم تثبت لغيره ، بل ثبت أن كلا منهم نودي باسمه فقال تعالى :

= وله مؤلفات جليلة توفي سنة ٦٦٠ هـ . الأعلام (٤ / ٢١) .

(١) بداية السول (ص ٣٥ - ٣٦) .

(٢) الآية (٤) من سورة الشرح .

(٣) الآية (٧٢) من سورة الحجر .

(٤) بداية السول (ص ٣٧) .

(٥) الآيات (٦٤ ، ٦٥ ، ٧٠) من سورة الأنفال ومواضع أخرى .

﴿ يا آدَمُ آسْكُنْ ﴾[١] ﴿ يَا عِيسَى آبْنَ مَرْيَمَ آذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ ﴾[٢] ﴿ يَا مُوسَىٰٓ إِنِّي أَنَا ٱللَّهُ ﴾[٣] ﴿ يَا نُوحُ آهْبِطْ بِسَلَامٍ ﴾[٤] ﴿ يَا دَاوُدَ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي ٱلْأَرْضِ ﴾[٥] ﴿ ... يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّؤْيَا ﴾[٦] ﴿ يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ ﴾[٧] ﴿ يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ ﴾[٨] ﴿ يَا يَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَابَ ﴾[٩].

ولا يخفي على أحد أن السيد إذا دعي أحد عبيده بأفضل ما وجد فيه من الأوصاف العلية والأخلاق السنية ، ودعا الآخرين بأسمائهم الأعلام التي لا تشعر بوصف من الأوصاف ولا بخلق من الأخلاق ، دل ذلك على أن منزلة من دعاه بأفضل الأسماء والأوصاف أعز عليه وأقرب إليه ممن دعاه باسمه العلم . وهذا معلوم بالعرف أن من دعى بأفضل أوصافه وأخلاقه كان ذلك مبالغة في تعظيمه واحترامه »[١٠].

٨ ـ أن اللّٰه أمر الأمة بأن لا ينادونه باسمه بل ينادونه : يارسول اللّٰه يا نبي اللّٰه فقال اللّٰه تعالى : ﴿ لَّا تَجْعَلُوا دُعَاءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن

(٦) الآية (٤١ ، ٦٧) من سورة المائدة .

(١) الآية (٣٥) من سورة البقرة .

(٢) الآية (١١٠) من سورة المائدة .

(٣) الآية (٣٠) من سورة القصص .

(٤) الآية (٤٨) من سورة هود .

(٥) الآية (٢٦) من سورة ص .

(٦) الآية (١٠٥) من سورة الصافات .

(٧) الآية (٨١) من سورة هود .

(٨) الآية (٧) من سورة مريم .

(٩) الآية (١٢) من سورة مريم .

تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[1] .

قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير[2] عند تفسيرها ، كانوا يقولون : يا محمد ، يا أبا القاسم ، فنهاهم الله عز وجل عن ذلك إعظامًا لنبيه ﷺ ، وأمرهم أن يقولوا يانبي الله يارسول الله »[3] .

٩ـ أن الله نهي الأمة أن يرفعوا أصواتهم فوق صوته ﷺ ولا يجهروا له بالقول ـ كما هو الحال بين الناس ـ حتى لا تحبط أعمالهم فقال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾[4] الآيات .

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ افتقد ثابت بن قيس[5] فقال رجل يارسول الله أنا أعلم لك علمه ، فأتاه فوجده جالسا في بيته منكسا رأسه فقال له ما شأنك ؟ فقال : شر . كان يرفع صوته فوق صوت النبي ﷺ فقد حبط عمله وهو من أهل النار . فأتى الرجل النبي ﷺ فأخبره أنه قال كذا وكذا فقال موسى[6] : فرجع إليه المرة الآخرة ببشارة عظيمة ، فقال : اذهب

---

(١٠) غاية السول (ص ٣٨) .

(١) الآية (٦٣) من سورة النور .

(٢) سعيد بن جبير الأسدي ، بالولاء ، الكوفي ، تابعي ، أخذ العلم من ابن عباس وابن عمر ، ثقة ، ثبت ، فقيه ، إمام حجة ، قتل بين يدي الحجاج سنة خمس وتسعين . تهذيب التهذيب (٤ / ١١ - ١٤) .

(٣) تفسير ابن كثير (٣ / ٣٠٦) .

(٤) الآية (٢) من سورة الحجرات .

(٥) هو ثابت بن قيس بن شماس الأنصاري الخزرجي ، خطيب الأنصار شهد له النبي ﷺ بالجنة ، شهد أحدًا وما بعدها ، قتل يوم اليمامة . الإصابة (١ / ١٩٧) .

(٦) موسى بن أنس بن مالك الأنصاري ، قاضي البصرة ، تابعي ، ثقة قليل الحديث .

إليه فقل له : إنك لست من أهل النار ، ولكنك من أهل الجنة »[١] .

وقال ابن الزبير[٢]: ما كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يسمع رسول الله ﷺ بعد هذه الآية حتى يستفهمه[٣] .

١٠ ـ أن الله أمر الأمة بأنهم إذا أرادوا أن يناجوه ﷺ بأن يقدموا بين يدى نجواهم صدقة ، ثم نسخ ذلك ، وأمرهم بالطاعة فقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا ٱلصَّلَاةَ وَءَاتُوا ٱلزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ وَٱللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾[٤] .

١١ـ ما وهبه الله له من المعجزات التي تميزت على معجزات من قبله من الأنبياء .

فمعجزة سيد الأولين والآخرين وهي القرآن العظيم الباقى إلى يوم الدين ، الذي لا تنضب معانيه ، ولا تفنى عجائبه ، ولا تنقطع فوائده ، وهو المحفوظ بحفظ الله له ـ من التغيير والتبديل والتحريف ـ فيه دواء وشفاء ، ومواعظ وأحكام ، فيه خبر من سبقنا ، وأحوال من بعدنا ، وهو حبل الله المتين ، من

تهذيب التهذيب (١٠ / ٣٣٥ - ٣٣٦) .

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب التفسير ، باب « لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي » . انظر فتح الباري (٨ / ٥٩٠) ح ٤٨٤٦

(٢) هو عبد الله بن الزبير بن العوام ، ولد عام الهجرة ، وحنكه النبي ﷺ ودعا له ، وكان أول مولود في الإسلام بالمدينة وكان شهما فصيحا ، وقد بويع له بالخلافة بعد موت يزيد بن معاوية فبقى ثمان سنوات حتى قتل في أيام عبد الملك سنة ثلاث وسبعين للهجرة . الإصابة (٢ / ٣٠١ - ٣٠٣) .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب التفسير ، باب « لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي » . فتح الباري (٨ / ٥٩٠) ح ٤٨٤٥

آمن به واتبعه رشد ومن تركه وضل عنه غوى وهلك ، وخاب وخسر .

فهو المعجزة الخالده الباقية ما بقى الإنسان في هذه الدنيا ، بينما تصرمت وانقرضت معجزات من قبله من الأنبياء .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « ما من نبي إلا أعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر ، وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحى الله إلي ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة »[١] .

وكذلك فقد وجد في معجزاته ما هو أظهر في الإعجاز من معجزات غيره كتفجير الماء بين أصابعه[٢] فهو أبلغ في خرق العادة من تفجيره من الحجر ، لأن جنس الأحجار مما يتفجر منه الماء ، وكانت معجزته بانفجار الماء من بين أصابعه أبلغ من انفجار الحجر لموسى عليه السلام[٣] .

وعيسى عليه السلام أبرأ الأكمه مع بقاء عينه في مقرها ورسول الله ﷺ رد العين بعد أن سالت على الخد ففيه معجزة من وجهين :

إحداهما : التئامها بعد سيلانها والأخرى : رد البصر إليها بعد فقده منها[٤].

فعن عاصم بن عمر بن قتادة[٥]عن أبيه[٦]عن جده قتادة[٧]أنه أصيبت عينه يوم

(٤) الآيتان (١٢ ، ١٣) من سورة المجادلة .

(١) تقدم تخريجه ص ٧٤

(٢) تقدم تخريجه ص ٨٠ .

(٣) بداية السول في تفضيل الرسول (ص ٤١) .

(٤) المصدر السابق (ص ٤١ - ٤٢) .

(٥) عاصم بن عمر بن قتادة بن النعمان الأنصاري ، تابعى ثقة ، كثير الحديث ، وكان له علم بالمغازي والسيرة ، توفي سنة عشرين ومائة تهذيب التهذيب (٥ / ٥٣ - ٥٤) .

(٦) عمر بن قتادة بن النعمان الأنصاري ، روى عن أبيه وله صحبة تهذيب التهذيب (٧ / ٤٨٩) .

(٧) قتادة بن النعمان بن زيد الأوسي ثم الظفري الأنصاري ، صحابي جليل شهد بدرا وما بعدها =

أحد فسالت حدقته على وجنته فأرادوا أن يقطعوها ، فسألوا النبي ﷺ فقال : لا فدعا به فغمز عينه براحته فكان لا يُدرى أي عينيه أصيبت »[١].

والأمثلة في هذاالباب كثيرة وقد تطرق إليها من كتب في الدلائل والخصائص[٢] .

قال الشافعي رحمه اللّه تعالى : « ما أعطى اللّه نبيًا ما أعطى محمدا ﷺ »[٣]

وقال السيوطي : « قال العلماء ما أوتى نبي معجزة ولا فضيلة إلا ولنبينا ﷺ نظيرها أو أعظم منها »[٤] .

○○○○

= ومات في خلافة عمر فصلى عليه ونزل في قبره وعاش خمسا وستين سنة .
الإصابة (٣ / ٢١٧ - ٢١٨) .

(١) وأخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة (ص ٤١٨) وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة أيضا (٣ / ٢٥١ - ٢٥٢) . وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٨ / ٢٩٧ ، ٢٩٨) وعزاه لأبي يعلى وقال في إسناده يحيى بن عبد الحميد الحماني وهو ضعيف وقال الألباني في حاشية كتاب بداية السول (ص ٤٢) ولكنه عند أبي نعيم من طريقين آخرين فهو يتقوى بهما » . والحديث أورده ابن كثير في البداية (٤ / ٣٣ ، ٣٤) . والسيوطي في الخصائص الكبرى (١ / ٣٥٩) وعزاه لابن سعد والبيهقي وأبي نعيم .

(٢) انظر : دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني (ص ٥١٢ - ٥٥٠) ودلائل النبوة للبيهقي الجزء السادس ، والخصائص الكبرى للسيوطي (٢ / ٣٠٤ - ٣١٤) .

(٣) آداب الشافعي ومناقبه لابن أبي حاتم (ص ٨٣) .

(٤) الخصائص الكبرى (٢ / ٣٠٤) .

المبحث الثاني

بيان بعض الخصائص التي خص الله بها نبيه ﷺ في الآخرة

١ـ أنه سيد ولد آدم يوم القيامة :

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من ينشق عنه القبر وأول شافع وأول مشفع »(١) .

قال العز بن عبد السلام : « السيد من اتصف بالصفات العلية والأخلاق السنية ، وهذا مشعر بأنه أفضل منهم في الدارين ، أما في الدنيا فلما اتصف به من الأخلاق العظيمة .

وأما في الآخرة فلأن الجزاء مرتب على الأخلاق والأوصاف ، فإذا فضلهم في الدنيا في المناقب والصفات ، فضلهم في الآخرة في المراتب والدرجات .

وإنما قال ﷺ : « أنا سيد ولد آدم » لتعرف أمته منزلته من ربه عز وجل »(٢) .

وسيادة النبي ﷺ للناس يوم القيامه تظهر واضحة جلية بما سيناله من الشرف العظيم يوم القيامه وعلى رأس ذلك الشرف شفاعته في أهل الموقف واختصاصه بذلك من بين الأنبياء والرسل .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « كنا مع النبي ﷺ في دعوة ، فرفعت إليه الذراع ـ وكانت تعجبه ـ فنهس منا نهسة وقال : « أنا سيد الناس يوم القيامة ، هل تدرون بمن يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد ، فيبصرهم الناظر ، ويسمعهم الداعي ، وتدنو منهم الشمس ، فيقول بعض

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الفضائل ، باب تفضيل نبينا ﷺ على جميع الخلائق (٧ / ٥٩) .

(٢) بداية السول في تفضيل الرسول (ص ٣٤) .

الناس : ألا ترون إلى ما أنتم فيه إلى ما بلغكم ؟

ألا تنظرون إلى من يشفع لكم إلى ربكم ؟ فيقول بعض الناس : أبوكم آدم . فيأتونه فيقولون يا آدم أنت أبو البشر ، خلقك الله بيده ، ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك ، وأسكنك الجنة ألا تشفع لنا إلى ربك ؟ ألا ترى ما نحن فيه وما بلغنا ؟

فيقول : ربي غضب غضبًا لم يغضب قبله مثله ، ولا يغضب بعده مثله ونهاني عن الشجرة فعصيت ، نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى نوح .

فيأتون نوحًا فيقولون : يا نوح أنت أول الرسل إلى أهل الأرض ، وسماك الله عبدًا شكورًا ، أما ترى ما نحن فيه ؟ ألا ترى إلى ما بلغنا ؟ ألا تشفع لنا إلى ربك ؟ فيقول : ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ، ولا يغضب بعده مثله ، نفسي نفسي ، ائتوا النبي ﷺ فيأتوني ، فأسجد تحت العرش ، فيقال : يا محمد ارفع رأسك واشفع تشفع ، وسل تعطه »[(١)] .

٢ ـ واشتمل الحديث كذلك على خصيصة أخرى تدل على تخصيصه وتفضيله ﷺ وهي كونه أول شافع وأول مشفع فهذا أمر خص الله تعالى به رسوله ﷺ إذ جعله الشفيع يوم المحشر في إتيان الرب جل جلاله لفصل القضاء بين عباده وهو المقام المحمود الذي لا يليق إلا له والذي يحيد عنه أولو العزم من الأنبياء والمرسلين حتى تنتهي النوبة إليه فيكون هو المخصوص به

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الأنبياء ، باب قول الله عز وجل ﴿ ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه ﴾ انظر فتح الباري (٦ / ٣٧١) ح ٣٣٤٠ واللفظ له . وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها (١ / ١٢٧ ، ١٢٨) .

صلوات الله وسلامه عليه .

قال ابن تيمية رحمه الله : « وقد اتفق المسلمون على أنه ﷺ أعظم الخلق جاهًا عند الله ، ولا جاه لمخلوق عند الله أعظم من جاهه ، ولا شفاعة أعظم من شفاعته »(١) .

كما أنه أول من يشفع في دخول الجنة فعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أنا أول الناس يشفع في الجنة وأنا أكثر الأنبياء تبعا »(٢).

٣ـ أن الله جعل لواء الحمد بيد النبي ﷺ يوم القيامة :

فعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أنا سيد الناس يوم القيامة ولا فخر ، ما من أحد إلا هو تحت لوائي يوم القيامة ينتظر الفرج ، وإن معي لواء الحمد ، أنا أمشي ويمشي الناس معي ، حتى آتي باب الجنة ، فأستفتح فيقال من هذا فأقول محمد ، فيقال مرحبًا بمحمد فإذا رأيت ربي خررت له ساجدا أنظر إليه »(٣) .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ، وبيدي لواء الحمد ولا فخر وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه ، إلا تحت لوائي ، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر »(٤) .

(١) مجموع الفتاوى (١ / ١٤٥) .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان ، باب في قول النبي ﷺ : « أنا أول الناس يشفع في الجنة وأنا أكثر الأنبياء تبعًا » (١ / ١٣٠) .

(٣) أخرجه الحاكم في مستدركه (١ / ٣٠) وصححه وقال على شرط الشيخين ووافقه الذهبي .

(٤) أخرجه أحمد في مسنده (٣ / ٢) . وأخرجه الترمذي في سننه ، كتاب المناقب ، باب فضل النبي ﷺ (٥ / ٥٨٧) ح ٣٦١٥ وقال : هذا حديث حسن صحيح . وأخرجه ابن ماجه في سننه ، كتاب الزهد ، باب في الشفاعة (٢ / ١٤٤٠) ح ٤٣٠٨

فهذه الخصيصة وغيرها من الخصائص تدل على علو مرتبته ﷺ وعلو منزلته إذ لا معنى للتفضيل إلا التخصيص بالمناقب والمراتب[١].

٤ ـ أنه أول من يجيز على الصراط وأول من يقرع باب الجنة وأول من يدخلها . وهذه الأمور مما خص به النبي ﷺ عن باقي الأنبياء السابقين .

ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه الطويل قال : « أن ناسا قالوا يارسول الله ، هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ ... » الحديث .

وفيه « ويضرب الصراط بين ظهري جهنم ، فأكون أول من يجوز من الرسل بأمته » .. الحديث[٢].

وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أنا أكثر الأنبياء تبعًا يوم القيامة ، وأنا أول من يقرع باب الجنة »[٣].

وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح فيقول الخازن من أنت ؟ فأقول محمد ، فيقول بك أمرت لا أفتح لأحد قبلك »[٤].

○ ○ ○ ○

---

(١) غاية السول (ص ٣٥) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، واللفظ له ، كتاب الآذان ، باب فضل السجود ، انظر فتح الباري (٢ / ٢٩٢ ، ٢٩٣) ح ٨٠٦ ، وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب معرفة طريق الرؤية (١ / ١١٣) .

(٣،٤) أخرجهما مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب قول النبي ﷺ : « أنا أول الناس يشفع في الجنة » (١ / ١٣٠)

المبحث الثالث

بيان بعض الخصائص التي خص الله بها أمة محمد ﷺ

اختصت هذه الأمة بخصائص وفضائل ، فلقد أكرم الله هذه الأمة بنعم جليلة ومنح عظيمة ، هي في أصلها إكرام من الله تعالى لنبيه ﷺ ، ولو لم تتبعه لما أعطيت هذه الكرامات وتلك الميزات .

فلقد جعل الله تعالى هذه الأمة خير الأمم ، واصطفاها من جميع الخلق لتكون أمة لنبيه محمد ﷺ ، واجتباها لتكون الأمة الوسط الشاهدة على جميع الأمم السابقة .

قال تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾[1]

وقال تعالى ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[2]

وقال تعالى ﴿ هُوَ ٱجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾[3]

وعن معاوية بن حيدة القشيرى[4] رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول في قوله تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ قال : « إنكم تتمون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله » وفي لفظ « أنتم أفخرها وأكرمها على الله

(١) الآية (١١٠) من سورة آل عمران .

(٢) الآية (١٤٣) من سورة البقرة .

(٣) الآية (٧٨) من سورة الحج .

(٤) معاوية بن حيدة بن معاوية القشيري ، له وفادة وصحبة ، وقال البخاري : سمع النبي ﷺ ، وتوفي بخرسان . الإصابة (٣ / ٤١٢) .

عز وجل »[١] .

وروى الإمام أحمد نحوه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه[٢] .

ومن فضل الله على هذه الأمة أنهم مع كونهم أقل عملًا ممن قبلهم ، فهم أكثر أجرا كما جاء في الحديث الصحيح .

فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « مثل المسلمين واليهود والنصارى كمثل رجل استأجر قوما يعملون له عملا يومًا إلى الليل على أجر معلوم ، فعملوا له نصف النهار ، فقالوا لا حاجة لنا إلى أجرك الذي شرطت لنا وما عملنا باطل فقال لهم لا تفعلوا أكملوا بقية عملكم وخذوا أجركم كاملًا ، فأبوا وتركوا ، واستأجر آخرين بعدهم فقال : « أكملوا بقية يومكم هذا ولكم الذي شرطت لهم من الأجر فعملوا ، حتى إذا كان حين صلاة العصر قالوا : لك ما عملنا باطل ، ولك الأجر الذي جعلت لنا فيه ، فقال لهم : أكملوا بقية عملكم فإن ما بقي من النهار شيء يسير ، فأبوا ، فاستأجر قوما أن يعملوا له بقية يومهم ، فعملوا بقية يومهم حتى غابت الشمس ، واستكملوا أجر الفريقين كليهما ، فذلك مثلهم ومثل ما قبلوا من هذا النور »[٣].

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٤ / ٤٤٦ ، ٤٤٧ ، ٤٤٨) (٥ / ٣ - ٥) والترمذي في سننه ، كتاب التفسير ، تفسير سورة آل عمران (٥ / ٢٢٦) ح ٣٠٠١ وقال : هذا حديث حسن . وأخرجه ابن ماجة في السنن كتاب الزهد ، باب صفة أمة محمد ﷺ . انظر (٢ / ١٤٣٣) والحاكم في المستدرك (٤ / ٨٤) وصححه ووافقه الذهبي . والدارمي في السنن (٢ / ٢٢١) ح ٢٧٦٣ ، وحسنه الألباني في المشكاة (٦٢٨٥) .

(٢) المسند (٣ / ٦١) .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الإجارة ، باب الإجارة من العصر إلى الليل . انظر : فتح الباري (٤ / ٤٤٧ ، ٤٤٨) ح ٢٢٧١

قال ابن كثير رحمه الله تعالى : « والمراد من هذا التشبيه بالعمال تفاوت أجورهم ، وأن ذلك ليس منوطًا بكثرة العمل وقلته ، بل بأمور أخر معتبرة عند الله تعالى .

وكم من عمل قليل أجدى ما لا يجديه العمل الكثير ، هذه ليلة القدر العمل فيها أفضل من عبادة ألف شهر سواها ، وهؤلاء أصحاب محمد ﷺ أنفقوا في أوقات لو أنفق غيرهم من الذهب مثل أحد ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه من تمر ، وهذا رسول الله ﷺ بعثه الله على رأس أربعين سنة من عمره وقبضه وهو ابن ثلاث وستين على المشهور وقد برز في هذه المدة التي هي ثلاث وعشرون سنة في العلوم النافعة والأعمال الصالحة على سائر الأنبياء قبله حتى على نوح الذي لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له ويعمل بطاعة الله ليلا ونهارا صباحا ومساءً صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر الأنبياء أجمعين .

فهذه الأمة إنما شرفت وتضاعف ثوابها ببركة سيادة نبيها وشرفه وعظمته كما قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾[1] ، [2]

ومما أكرمت به هذه الأمة كذلك أنهم مع كونهم آخر الأمم زمانًا فهم الأولون يوم القيامة .

(١) الآيتان (٢٨ ، ٢٩) من سورة الحديد .

(٢) البداية لابن كثير (٢ / ١٤٦) .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « نحن الآخرون السابقون يوم القيامة ، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا »[1] .

فهذه الأمة هم أول من يقضى لهم يوم القيامة كما جاء في الحديث الصحيح « ... نحن الآخرون من أهل الدنيا والأولون يوم القيامة المقضى لهم قبل الخلائق »[2] .

ومما خص الله تعالى به هذه الأمة يوم القيامة أنها تكون مع نبيها ﷺ أول من يجتاز الصراط من الأمم ، كما في الحديث الطويل عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ وفيه « ... ويضرب الصراط بين ظهري جهنم ، فأكون أنا وأمتي أول من يجيز ... »[3] .

وكذلك فإن هذه الأمة هم أول من يدخل الجنة من الأمم فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « نحن الآخرون الأولون يوم القيامة ونحن أول من يدخل الجنة ... »[4]

ومما خص الله به هذه الأمة أن جعل الزمرة الأولى منها ـ وهي التي تدخل الجنة من غير حساب ولا عذاب ـ تدخل الجنة من الباب الأيمن من أبواب الجنة .

فقد جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه ـ حديث الشفاعة الطويل ـ وفيه (فأقول يارب أمتي أمتي ، فيقال : يامحمد أدخل الجنة من أمتك من لا

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الجمعة ، باب فرض الجمعة « واللفظ له » .
انظر : فتح الباري (٢ / ٣٥٤) ح ٨٧٦ وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الجمعة ، باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة (٣ / ٦) .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الجمعة ، باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة (٣ / ٧) .

(٣) أخرجه بهذا اللفظ مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب معرفة طريق الرؤية . انظر (١ / ١١٣) .

(٤) أخرجه بهذا اللفظ مسلم في صحيحه ، كتاب الجمعة ، باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة (٣ / ٧) .

حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة ، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب ... » الحديث[١] .

فهذه الخصائص والفضائل وغيرها كثير إنما هي شواهد وبراهين على تفضيل الله تعالى لنبيه ورسوله محمد ﷺ ، وعلى ماله من منزلة عظيمة ودرجة رفيعة عنده تبارك وتعالى .

ومن هذه الخصائص يعلم المسلم عظيم قدر نبينا ﷺ ورفعة مكانته عند الله عز وجل ، ومما لاشك فيه أن هذا العلم وهذه المعرفة ستثمر بإذن الله في القلب المؤمن بالله ورسوله ، فيزداد تعظيمًا وتوقيرًا للنبي ﷺ ، وحرصا على اتباعه واقتفاء أثره والسير على سنته .

فحري بالمسلم الذي تتوق نفسه وتتطلع لأن يكون في عداد أمة المصطفي الذين يقودهم ﷺ إلى الجنة بعد أن يجتاز بهم الصراط ، أن يحقق الأمور التي يستحق بها هذا الفضل العظيم والمرتبة العالية .

فبالإيمان والاتباع والمحبة والتعظيم والبعد عما يضاد هذه الأمور يستحق الإنسان أن يكون من أمة محمد ﷺ .

أما من لم يتبع ويسلك سبيل النبي ﷺ بل غير وبدل فهو محروم من هذا الفضل وذاك الشرف الذي تحدثت عنه تلك النصوص .

فقد جاء في الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أنا فرطكم على الحوض وليختلجن رجال دوني فأقول يارب أصحابي

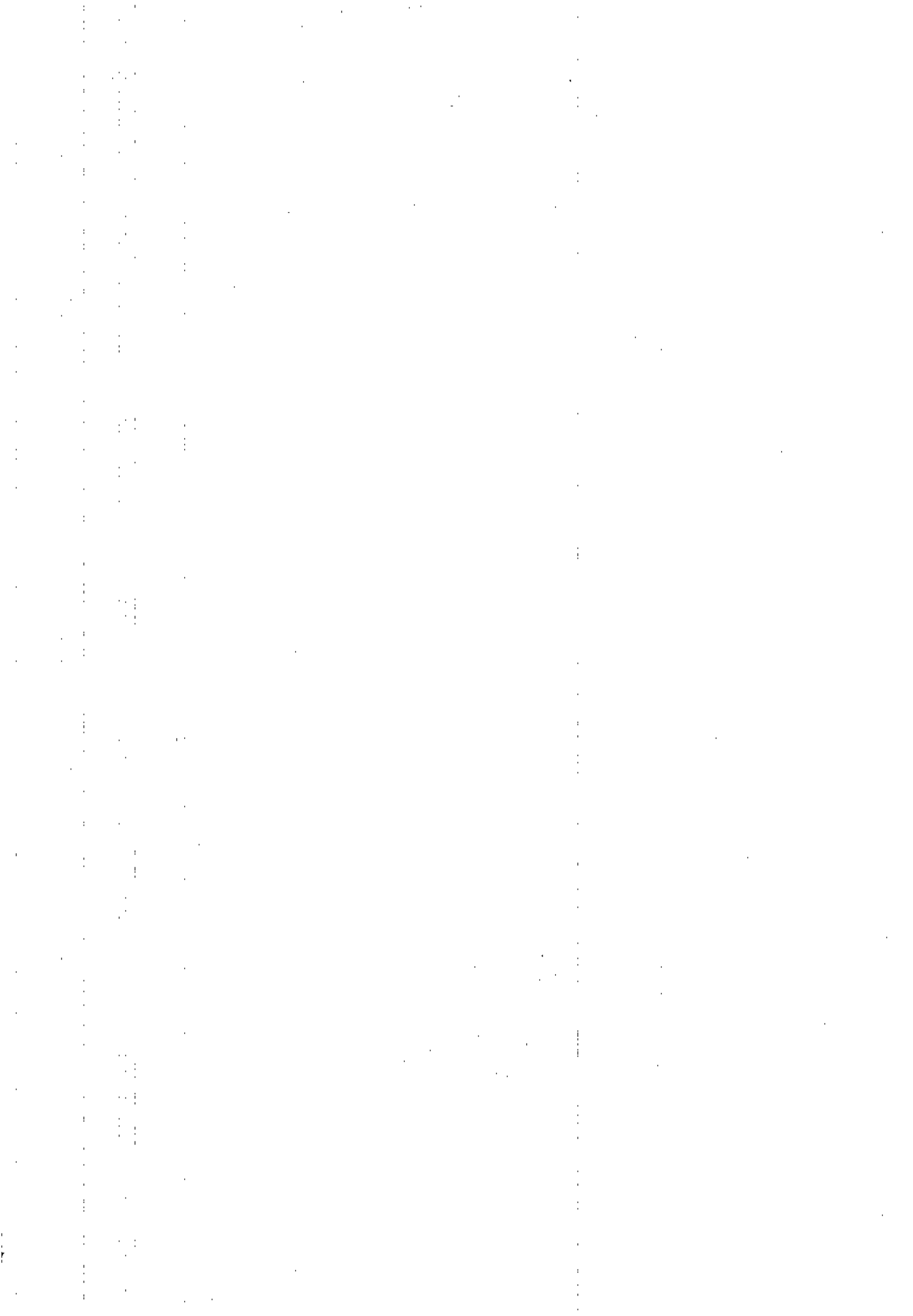
---

(١) أخرجه بهذا اللفظ مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها (١ / ١٢٧ - ١٢٩) .

فيقال إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك ، إنهم غيروا وبدلوا فيقول النبي ﷺ سحقًا سحقًا لمن غير وبدل »[1] .

○○○○

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الرقاق ، باب في الحوض . فتح الباري (١١ / ٤٦٣) ح ٦٥٧٦ ، وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الطهارة ، باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء (١ / ١٥٠ - ١٥١) .



الفصل الثاني

وجوب تعزيره وتوقيره وتعظيمه ﷺ على أمته في حياته وبعد مماته

ويشتمل على أربعة مباحث :

المبحث الأول : معنى التعزير والتوقير والتعظيم .

المبحث الثاني : وجوب توقيره وتعظيمه ﷺ والأدلة على ذلك .

المبحث الثالث : تعظيم الصحابة للنبي ﷺ في حياته .

المبحث الرابع : تعظيم الأمة للنبي ﷺ بعد مماته .

● ● ● ●

المبحث الأول

معنى التعزير والتوقير والتعظيم

قال تعالى : ﴿ لِّتُؤْمِنُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ ﴾[١] .

وقال تعالى : ﴿ فَٱلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا ٱلنُّورَ ٱلَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[٢] .

أ ـ أما التعزير في اللغة :

فيقول صاحب معجم مقاييس اللغة عن أصل هذه الكلمة : « عزر » العين والزاء . والراء : كلمتان

أحدهما : التعظيم والنصر . والكلمة الأخرى : جنس من الضرب .

فالأولى : النصر والتوقير كقوله تعالى : ﴿ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ ﴾

والأصل الآخر : التعزير وهو الضرب دون الحد »[٣] .

وفي النهاية في غريب الحديث « أصل التعزير : المنع والرد .

فكأن من نصرته قد رددت عنه أعداءه ومنعتهم من أذاه .

ولهذا قيل للتأديب الذي هو دون الحد تعزير ، لأنه يمنع الجاني أن يعاود الذنب ، يقال عزرته ، وعزَّرته . فهو من الأضداد »[٤] .

وجاء في تهذيب اللغة : « عزر » قال اللّٰه عز وجل : ﴿ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ ﴾

---

(١) الآية (٩) من سورة الفتح .

(٢) الآية (١٥٧) من سورة الأعراف .

(٣) معجم مقاييس اللغة (٤ / ٣١١) .

(٤) النهاية (٣ / ٢٢٨) .

جاء في التفسير في قوله تعالى ﴿ لِتُعَزِّرُوهُ ﴾ أى لتنصروه بالسيف ﴿ وعزرتموهم ﴾ عظمتموهم . وقيل : نصرتموهم .

واللفظة تستعمل لعدة معان هي :

١ ـ التعزير : النصر باللسان والسيف .

٢ ـ التعزير : التوقير .

٣ ـ التعزير : التأديب دون الحد .

٤ ـ التعزير : التوقيف على الفرائض والأحكام »[١] .

وأما عن المعنى الشرعي المراد هنا :

فعن ابن عباس رضي الله عنهما : ﴿ وعزروه ﴾ يقول : (حموه ووقروه)[٢]

وعن مجاهد قال : « عزروه : سددوا أمره ، وأعانوا رسوله ونصروه »[٣]

وعن قتادة في قوله : ﴿ ويعزروه ﴾ قال ينصروه »[٤] .

وقال ابن جرير الطبري : ﴿ وعزروه ﴾ (وقروه وعظموه وحموه من الناس »[٥]

وقال أيضا بعد أن نقل قول ابن عباس ومجاهد وقتادة « وهذه الأقوال متقاربات المعنى ، وإن اختلفت ألفاظ أهلها بها ومعنى التعزير في هذا الموضع : التقوية بالنصر والمعونة ، ولا يكون ذلك إلا بالطاعة والتعظيم والإجلال »[٦].

وقال شيخ الإسلام : « التعزير : اسم جامع لنصره وتأييده ومنعه من كل ما يؤذيه »[٧] .

---

(١) تهذيب اللغة (٢ / ١٢٩ - ١٣٠) بتصرف .

(٢،٣) تفسير الطبري (٩ / ٨٥) .

(٤) تفسير الطبري (٢٦ / ٧٥) .

(٥) تفسير الطبري (٩ / ٨٥) .

(٦) تفسير الطبري (٢٦ / ٧٥) . (٧) الصارم المسلول (ص ٤٢٢) .

ب ـ وأما عن التوقير في اللغة :

ففي معجم مقاييس اللغة : « وقر » الواو . والقاف . والراء : أصل يدل على ثقل في الشيء ... ومنه الوقار : الحلم والرزانه »[١]

وجاء في تهذيب اللغة « وقر الرجل من الوقار ، يقر ، فهو وقور .

ووقرت الرجل : إذا عظمته ومنه قوله عز وجل ﴿ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ ﴾[٢]

وفي لسان العرب : « وقر الرجل : بجله ، والتوقير : التعظيم والترزين »[٣]

وأما المعنى الشرعي المراد هنا :

فقال ابن عباس ﴿ ويوقروه ﴾ يعني التعظيم[٤] .

وقال قتادة ﴿ ويوقروه ﴾ أمر اللّٰه بتسويده وتفخيمه[٥] .

وقال أيضا ﴿ ويوقروه ﴾ أي ليعظموه[٦] .

وقال ابن جرير الطبري : « فأما التوقير فهو التعظيم والإجلال والتفخيم »[٧].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : « التوقير : اسم جامع لكل ما فيه سكينة وطمأنينة من الإجلال والإكرام ، وأن يعامل من التشريف والتكريم والتعظيم بما يصونه عن كل ما يخرجه عن حد الوقار »[٨] .

---

(١) معجم مقاييس اللغة (٦ / ١٣٢) .

(٢) تهذيب اللغة (٩ / ٢٨٠) .

(٣) لسان العرب (٥ / ٢٩١) .

(٥،٤) تفسير الطبري (٢٦ / ٧٤) .

(٦) تفسير الطبري (٢٦ / ٧٥) .

(٧) تفسير الطبري (٢٦ / ٧٥) .

(٨) الصارم المسلول (ص ٤٢٢) .

وقال ابن كثير : « التوقير : هو الإحترام والإجلال والإعظام »[١] .

ج ـ وأما التعظيم في اللغة :

ففي لسان العرب « التعظيم : التبجيل :

يقال لفلان عظمة عند الناس : أي حرمة يعظم لها »[٢] .

ولفظ « التعظيم » لم يرد في خطاب الشارع كما ورد لفظ « التعزير و « التوقير » لكن العلماء استعملوه في كلامهم عند هذه المسأله وذلك لقربه في المعنى إلى ذهن السامع ، ولتأديته للمعنى المراد من لفظتي « التعزير » و« التوقير » .

o o o o

---

(١) تفسير ابن كثير (٤ / ١٨٥) .

(٢) لسان العرب (١٢ / ٤١٠ - ٤١١) .

المبحث الثاني

وجوب توقيره وتعظيمه ﷺ والأدلة على ذلك

إن تعظيم النبي ﷺ ، وإجلاله ، وتوقيره ، شعبة عظيمة من شعب الإيمان ، وهذه الشعبة غير شعبة المحبة[(١)] بل إن منزلتها ورتبتها فوق منزلة ورتبة المحبة .

ذلك لأنه ليس كل محب معظمًا ؛ ألا ترى أن الوالد يحب ولده ولكن حبه إياه يدعوه إلى تكريمه ولا يدعوه إلى تعظيمه .

والولد يحب والده فيجمع له بين التكريم والتعظيم . والسيد قد يحب مماليكه ولكنه لا يعظمهم . والمماليك يحبون ساداتهم ويعظمونهم .

فعلمنا بذلك أن التعظيم رتبته فوق رتبة المحبة[(٢)] .

فمن حق النبي ﷺ على أمته أن يهاب ويعظم ويوقر ويجل أكثر من كل ولد لوالده ومن كل عبد لسيده ، فهذا حق من حقوقه الواجبة له مما يزيد على لوازم الرسالة[(٣)] وهو ما أمر اللَّه به في كتابه العزيز قال تعالى ﴿ لِّتُؤْمِنُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ ﴾[(٤)] .

وقال تعالى : ﴿ فَٱلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا ٱلنُّورَ ٱلَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ

---

(١) انظر المنهاج في شعب الإيمان للحليمي (٢ / ١٢٤) الشعبة الخامسة عشرة .
وكذلك الجامع في شعب الإيمان للبيهقي (١ / ٣٠٠) الشعبة الخامسة عشرة .

(٢) المنهاج في شعب الإيمان للحليمي (٢ / ١٢٤) .

(٣) المعنى المقصود هنا : أنه يجوز أن يبعث اللَّه رسولًا ولا يوجب له هذا الحق بخلاف الإيمان والاتباع فإنهما من لوازم الرسالة .

(٤) الآية (٩) من سورة الفتح .

أُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾(١) .

فأبان أن حق الرسول ﷺ في أمته أن يكون معززًا موقرًا مهيبًا .

وأخبر سبحانه أن الفلاح إنما يكون لمن جمع بين الإيمان به وتعزيره ولا خلاف في أن التعزير هاهنا التعظيم(٢) .

وفي الجمع الحاصل في الآيتين بين الإيمان به وتعظيمه ، تنبيه وإرشاد إلى أن القيام بحقوقه ﷺ يعد من الإيمان الواجب الذي لا يتم إيمان العبد إلا به .

قال الحليمي(٣) : « فمعلوم أن حقوق رسول اللّٰه ﷺ أجل وأعظم وأكرم وألزم لنا وأوجب علينا من حقوق السادات على مماليكهم والآباء على أولادهم لأن اللّٰه تعالى أنقذنا به من النار في الآخرة ، وعصم به لنا أرواحنا وأبداننا وأعراضنا وأموالنا وأهلينا وأولادنا في العاجلة ، فهدانا به لما إذا أطعناه فيه أدانا ألى جنات النعيم . فأية نعمة توازي هذه النعم وأية منة تداني هذه المنن . ثم إنه جل ثناؤه ألزمنا طاعته ، وتوعدنا على معصيته بالنار . ووعدنا باتباعه الجنة .

فأي رتبة تضاهي هذه الرتبة ، وأي درجة تساوي في العلا هذه الدرجة .

فحق علينا أن نحبه ونجله ونعظمه ونهابه أكثر من إجلال كل عبد سيده وكل ولد والده . وبمثل هذا نطق القرآن ووردت أوامر اللّٰه جل ثناؤه »(٤) .

---

(١) الآية (١٥٧) من سورة الأعراف .

(٢) المنهاج في شعب الإيمان (٢ / ١٢٥) « بتصرف » .

(٣) الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم البخاري الجرجاني ، فقيه شافعي ، قاضي ، كان رئيس أهل الحديث في ما وراء النهر ، توفي في بخارى سنة ٤٠٣ هـ وله كتاب المنهاج في شعب الإيمان . الأعلام (٢ / ٢٣٥) .

(٤) المنهاج في شعب الإيمان (٢ / ١٢٤ - ١٢٥) والجامع لشعب الإيمان (١ / ٣٠٢ - ٣٠٣) .

ففي القرآن الكريم آيات كثيرة جاء فيها التأكيد على هذا الحق من حقوقه ﷺ وبخاصة في جوانب معينة من جوانب تعظيمه ومن تلك الآيات ما يلي .

١ـ قوله تعالى ﴿ لَّا تَجْعَلُوا دُعَاءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ﴾[1]

« ففي هذه الآية نهي من الله أن يدعوا رسول الله ﷺ بغلظ وجفاء ، وأمر لهم أن يدعوه بلين وتواضع »[2] .

وروى الطبري بسنده عن مجاهد في تفسيرها فقال : « أمرهم أن يدعوه يارسول الله في لين وتواضع ، ولا يقولوا : يامحمد ، في تجهم[3] .

وعن قتادة قال : « أمرهم أن يفخموه ويشرفوه »[4]

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في تفسيرها « خص الله نبيه في هذه الآية بالمخاطبة بما يليق به ، فنهي أن يقولوا : يامحمد أو يا أحمد ، أو يا أبا القاسم ، ولكن يقولوا : يارسول الله ، يانبي الله وكيف لا يخاطبونه بذلك ، والله سبحانه أكرمه في مخاطبته إياه بما لم يكرم به أحدًا من الأنبياء ، فلم يدعه باسمه في القرآن قط ، بل يقول ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَاةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا ﴾[5] ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ ﴾[6] ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ ﴾[7] ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾[8] ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَاءَ ﴾[9] ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا

(١) الآية (٦٣) من سورة النور .
(٢،٣،٤) تفسير الطبري (١٨ / ١٧٧) .
(٥) الآية (٢٨) من سورة الأحزاب .
(٦) الآية (٥٠) من سورة الأحزاب .
(٧) الآية (١) من سورة الأحزاب .
(٨) الآية (٤٥) من سورة الأحزاب . (٩) الآية (١) من سورة الطلاق .

أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ﴾[1]﴿ يَا أَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾[2]﴿ يَا أَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ * قُمِ ٱلَّيْلَ ﴾[3] ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنذِرْ ﴾[4] ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ ﴾[5].

مع أنه سبحانه قال : ﴿ وَقُلْنَا يا آدَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ﴾[6] ﴿ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ ﴾[7]﴿ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ﴾[8]﴿ يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا ﴾[9] ﴿ يَا مُوسَىٰ إِنِّي ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾[10]﴿ يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي ٱلْأَرْضِ ﴾[11] ﴿ يَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ ﴾[12][13].

وقال رحمه الله : « وإذا كنا في باب العبارة عن النبي ﷺ علينا أن نفرق بين مخاطبته والإخبار عنه . فإذا خاطبناه كان علينا أن نتأدب بآداب الله تعالى حيث

---

(١) الآية (١) من سورة التحريم .

(٢) الآية (٦٧) من سورة المائدة .

(٣) الآيتان (١ ، ٢) من سورة المزمل .

(٤) الآيتان (١ ، ٢) من سورة المدثر .

(٥) الآية (٦٤) من سورة الأنفال .

(٦) الآية (٣٥) من سورة البقرة .

(٧) الآية (٣٣) من سورة البقرة .

(٨) الآية (٤٦) من سورة هود .

(٩) الآية (٧٦) من سورة هود .

(١٠) الآية (١٤٤) من سورة الأعراف .

(١١) الآية (٢٦) من سورة ص .

(١٢) الآية (١١٠) من سورة المائدة .

(١٣) الصارم المسلول (ص ٤٢٢ - ٤٢٣) .

حيث قال ﴿ لَّا تَجْعَلُوا دُعَاءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ﴾[١] فلا تقول يا محمد يا أحمد ، كما يدعو بعضنا بعضا ؛ بل نقول : يارسول اللّه ، يانبي اللّه .

واللّه سبحانه وتعالى خاطب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بأسمائهم فقال : ﴿ يا آدَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ ﴾[٢] ﴿ يَا نُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ﴾[٣] ﴿ يَا مُوسَىٰ * إِنِّي أَنَا رَبُّكَ ﴾[٤] ﴿ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾[٥]

ولما خاطبه ﷺ قال ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ﴾[٦] ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي ٱلْكُفْرِ ﴾[٧] ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾[٨] ﴿ يا أيها المزمل ﴾[٩] ﴿ يا أيها المدثر ﴾[١٠] فنحن أحق أن نتأدب في دعائه وخطابه .

وأما إذا كنا في مقام الإخبار عنه قلنا : « أشهد أن لا إله إلا اللّه وأشهد أن محمدًا رسول اللّه » وقلنا محمد رسول اللّه وخاتم النبيين ، فنخبر عنه باسمه كما أخبر اللّه سبحانه لما أخبر عنه ﷺ ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ

---

(١) الآية (٦٣) من سورة النور .
(٢) الآية (٣٥) من سورة البقرة .
(٣) الآية (٤٨) من سورة هود .
(٤) الآيتان (١١ ، ١٢) من سورة طه .
(٥) الآية (٥٥) من سورة آل عمران .
(٦) الآية (٦٤) من سورة الأنفال .
(٧) الآية (٤١) من سورة المائدة .
(٨) الآية (٦٧) من سورة المائدة .
(٩) الآية (١) من سورة المزمل .
(١٠) الآية (١) من سورة المدثر .

وَلَكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّينَ ﴾[١] وقال ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا ﴾[٢]وقال : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ﴾[٣] وقال : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ وَءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ ﴾[٤] .

فالفرق بين مقام المخاطبة ومقام الإخبار فرق ثابت بالشرع والعقل »[٥]

٢ ـ وقال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِ وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ * إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ * إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ ٱلْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ * وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[٦] .

فهذه الآيات اشتملت على جملة من الآداب التي أدب الله بها عباده المؤمنين فيما يجب أن يعاملوا به الرسول ﷺ من التوقير والاحترام والتبجيل والإعظام وهذه الآداب هي :

أولا : أنه حرم التقدم بين يديه بالكلام حتى يأذن ، فقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا

---

(١) الآية (٤٠) من سورة الأحزاب .

(٢) الآية (٢٩) من سورة الفتح .

(٣) الآية (١٤٤) من سورة آل عمران .

(٤) الآية (٢) من سورة محمد .

(٥) درء تعارض العقل والنقل (١ / ٢٩٧ ، ٢٩٨)

(٦) الآيات من (١ الى ٥) من سورة الحجرات .

ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ .

قال ابن كثير في معناها : « أي لا تسارعوا في الأشياء بين يديه أي قبله بل كونوا تبعًا له في جميع الأمور ، حتى يدخل في عموم هذا الأدب الشرعي حديث معاذ رضي الله عنه حيث قال له النبي ﷺ حين بعثه إلى اليمن « بم تحكم ؟ » قال : بكتاب الله تعالى . قال ﷺ » فإن لم تجد ؟ » قال بسنة رسول الله ﷺ . قال ﷺ : « فإن لم تجد ؟ » قال رضي الله عنه : أجتهد رأيي ، فضرب في صدره وقال : « الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله ﷺ لما يرضي رسول الله ﷺ »[١] .

فالغرض منه أنه أخر رأيه ونظره واجتهاده إلى ما بعد الكتاب والسنة ولو قدمه قبل البحث عنهما لكان من باب التقدم بين يدي الله ورسوله »[٢] .

وقال الحليمي عند تعليقه على هذه الآية : « والمعنى لا تقدموا قولًا أو فعلًا بين يدي قول رسول الله ﷺ وفعله فيما سبيله أن تأخذوه عنه من أمر دين أو دنيا ، بل أخروا أقوالكم وأفعالكم إلى أن يأمر رسول الله ﷺ في ذلك بما يراه فإنكم إذا قدمتم بين يديه كنتم مقدمين بين يدي الله عز وجل إذ كان رسوله لا يقضي إلا عنه ، ﴿ واتقوا الله ﴾ أي احذروا عقابه بتقديمكم بين يدي رسول الله ومعاملته بما يوهم الاستخفاف به ومخالفة شيء مما يأمركم به عن

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٥ / ٢٣٠ ، ٢٣٦ ، ٢٤٢) .
وأبو داود في سننه ، كتاب الأقضية ، باب اجتهاد الرأي في القضاء (٤ / ١٨) ح ٣٥٩٢ .
والترمذي في سننه ، كتاب الأحكام ، باب القاضي كيف يقضي (٣ / ٦١٦) ح ١٣٢٧ .
وابن ماجة في سننه ، المقدمة ، باب اجتناب الرأي والقياس بنحوه (١ / ٢١) .
(٢) تفسير ابن كثير (٤ / ٢٠٥) .

الله بوحي متلو أو بوحي غير متلو ﴿ إن الله سميع عليم ﴾ أي سميع لما تقدمونه بين يدي رسوله ﷺ ، أو تأتونه اقتداء به واتباعا له ، عليم بما يكون منكم من إجلاله أو خلاف ذلك فهو يجزيكم بما سمعه ويعلمه منكم »[١].

ولقد تأدب الصحابة مع ربهم ومع رسولهم ، فما عاد بعد نزول هذه الآية مقترح منهم يقترح على الله ورسوله ، وما عاد واحد منهم يدلي برأي لم يطلب منه رسول الله ﷺ أن يدلي به ، وما عاد أحد يقضي برأيه في أمر أو حكم إلا أن يرجع قبل ذلك إلى قول الله وقول النبي ﷺ .

حتى كان الرسول ﷺ يسألهم عن اليوم الذي هم فيه والمكان الذي هم فيه وهم يعلمونه حق العلم ، فيتحرجون أن يجيبوا إلا بقولهم : الله ورسوله أعلم . خشية أن يكون في قولهم تقدم بين يدي الله ورسوله . ومن ذلك ما جاء في حديث أبي بكرة نفيع بن الحارث الثقفي رضي الله عنه أن النبي ﷺ - سأل في حجة الوداع « أي شهر هذا ؟ » .. قلنا : الله ورسوله أعلم . فسكت حتى ظننا أن سيسميه بغير اسمه ، قال : « أليس ذو الحجة ؟ » قلنا : بلى . قال : « فأي بلد هذا ؟ » قلنا : الله ورسوله أعلم . فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير أسمه ، قال : « أليس البلدة ؟ » قلنا بلى . قال « فأى يوم هذا ؟ » قلنا : الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه . قال : « أليس يوم النحر ؟ » قلنا بلى ... » الحديث[٢].

فهذه صورة من الأدب ، ومن التحرج ، ومن التقوى التي انتهى إليها

---

(١) المنهاج في شعب الإيمان (٢ / ١٢٧) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب المغازي ، باب حجة الوداع واللفظ له .
انظر فتح الباري (٨ / ١٠٨) ح ٤٤٠٦ .

الصحابة بعد سماعهم ذلك النداء ، وذلك التوجيه ، وتلك الإشارة إلى التقوى تقوى الله السميع العليم .

ثانيا : أنه حرم رفع الصوت فوق صوت النبي ﷺ وأن يجهر له بالكلام كما يجهر الرجل للرجل ، وهذا من باب الأدب مع النبي ﷺ في الحديث والخطاب ومن التوقير الذي يجب له ، ذلك التوقير الذي ينعكس على نبرات أصوات الصحابة ليتميز بذلك شخص الرسول ﷺ بينهم ويميز مجلسه فيهم فقال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾[١].

قال ابن كثير عند تفسيره لهذه الآية : « هذا أدب ثانٍ أدب الله تعالى به المؤمنين أن لا يرفعوا أصواتهم بين يدي النبي ﷺ فوق صوته ، وقد روي أنها نزلت في الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما

فعن ابن أبي مليكة[٢] قال : كاد الخيران أن يهلكا أبو بكر وعمر رضي الله عنهما رفعا أصواتهما عند النبي ﷺ حين قدم عليه ركب بني تميم فأشار أحدهما بالأقرع بن حابس[٣] رضي الله عنه أخي بن مجاشع وأشار الآخر

---

(١) الآية (٢) من سورة الحجرات .

(٢) عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة زهير بن عبد الله بن جدعان التيمي المكي ، تابعي ثقة ، كان قاضيًا لابن الزبير ومؤذنًا له . مات سنة (١٧ هـ) وقيل (١٨ هـ) .
تهذيب التهذيب (٥ / ٣٠٦ - ٣٠٧) .

(٣) الأقرع بن حابس بن عقال بن محمد بن سفيان التميمي المجاشعي الدارمي ، وفد على النبي ﷺ وشهد فتح مكة وحنينا والطائف ، وهو من المؤلفة قلوبهم ، وقد حسن إسلامه ، وكان شريفا في الجاهلية والإسلام وشارك في الفتوحات ، وقيل إنه قتل في اليرموك في عشرة من بنيه .
الإصابة (١ / ٧٢ - ٧٣) .

برجل آخر ، قال نافع[١] لا أحفظ اسمه فقال أبو بكر لعمر رضي الله عنهما ما أردت إلا خلافي ، قال : ما أردت خلافك فارتفعت أصواتهما في ذلك ، فأنزل الله ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ ﴾ الآية .

قال ابن الزبير[٢] رضي الله عنه : « فما كان عمر رضي الله عنه يسمع رسول الله ﷺ بعد هذه الآية حتى يستفهمه ، ولم يذكر ذلك عن أبيه يعني أبا بكر »[٣].

فقد نهى الله عز وجل عن رفع الأصوات بحضرة رسول الله ﷺ ، وقد رُوينا عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه سمع صوت رجلين في مسجد النبي ﷺ قد ارتفعت أصواتهما فجاء فقال : أتدريان أين أنتما ؟ ثم قال : من أين أنتما ؟ قالا : من أهل الطائف ، فقال : لو كنتما من أهل المدينة لأوجعتكما ضربا[٤] .

وقال العلماء : يكره رفع الصوت عند قبره ﷺ كما كان يكره في حياته عليه الصلاة والسلام لأنه محترم حيًا وفي قبره ﷺ دائمًا .

ثم نهى عن الجهر له بالقول كما يجهر الرجل لمخاطبة ممن عداه ، بل يخاطب بسكينة ووقار وتعظيم ، ولهذا قال تبارك وتعالى : ﴿ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ ﴾ كما قال ﴿ لَّا تَجْعَلُوا دُعَاءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ

---

(١) نافع بن عمر بن عبد الله الجمحي الحافظ المكي ، كان من أثبت الناس ، روى عن ابن أبي مليكة وغيره ، مات سنة تسع وستين ومائة . تهذيب التهذيب (١٠ / ٤٠٩) .

(٢) هو : عبد الله بن الزبير رضي الله عنه وقد تقدم ترجمته .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب التفسير ، تفسير سورة الحجرات .
انظر : فتح الباري (٨ / ٥٩٠) ح ٤٨٤٥

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الصلاة ، باب رفع الصوت في المسجد .
انظر : فتح الباري (١ / ٥٦٠) ح ٤٧٠ .

بَعْضِكُم بَعْضًا ﴾ .

وقوله عز وجل ﴿ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ أي إنما نهيناكم عن رفع الصوت عنده خشية أن يغضب من ذلك فيغضب اللّٰه تعالى لغضبه فيحبط عمل من أغضبه وهو لا يدري كما جاء في الصحيح « إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان اللّٰه تعالى لا يلقي لها بالًا يكتب له بها الجنة ، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط اللّٰه تعالى لا يلقي لها بالًا يهوي بها في النار أبعد ما بين السماء والأرض »[١] .

ثم ندب اللّٰه تعالى إلى خفض الصوت عنده وحث على ذلك وأرشد إليه ورغب فيه فقال ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُولَـٰئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ أي أخلصها لها وجعلها أهلًا ومحلًا ﴿ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾[٢] .

وجاء في الكشاف عند تفسير هذه الآيات قوله : (أعاد النداء عليهم ـ أى في قوله ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ ﴾ استدعاء منهم لتجديد الاستبصار عند كل خطاب وارد ، وتطرية الإنصات لكل حكم نازل ، وتحريك هممهم لئلا يفتروا ويغفلوا عن تأملهم وما أخذوا به عند حضور مجلس رسول اللّٰه ﷺ من الأدب الذي المحافظة عليه تعود عليهم بعظيم الجدوى في دينهم .

وذلك لأن في إعظام صاحب الشرع إعظامَ ما ورد به ، ومستعظم الحق

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الرقاق ، باب حفظ اللسان .
فتح الباري (١١ / ٣٠٨) ح ٦٤٧٨ .

(٢) تفسير ابن كثير (٤ / ٢٠٥ - ٢٠٦) .

لايدعه استعظامه أن يألو عملا بما يحدوه عليه ، وارتداعًا بما يصده عنه ، وانتهاء إلى كل خير .

والمراد بقوله : ﴿ لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ ﴾ أنه إذا نطق ونطقتم فعليكم أن لا تبلغوا بأصواتكم وراء الحد الذي يبلغه بصوته وأن تغضوا منها بحيث يكون كلامه عاليا لكلامكم ، وجهره باهرًا لجهركم ، حتى تكون ميزته عليكم لائحة ، وسابقته واضحة ، وامتيازه عن جمهوركم كشية الأبلق غير خاف ، لا أن تغمروا صوته بلغطكم ، وتبهروا منطقه بصخبكم .

وبقوله ﴿ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِٱلْقَوْلِ ﴾ أنكم إذا كلمتموه وهو صامت فإياكم والعدول عما نهيتم عنه من رفع الصوت ، بل عليكم أن لا تبلغوا به الجهر الدائر بينكم ، وأن تتعمدوا في مخاطبته القول البين المقرب من الهمس الذي لا يضاهي الجهر ، كما تكون مخاطبة المهيب المعظم ، عاملين بقوله عز شأنه ﴿ وتعزروه وتوقروه ﴾ وليس الغرض من رفع الصوت ولا الجهر ما يقصد به الاستخفاف والاستهانة ، لأن ذلك كفر ، والمخاطبون مؤمنون وإنما الغرض صوت هو في نفسه والمسموع من جرسه غير مناسب لما يهاب به العظماء ، ويوقر الكبراء ، فيتكلف الغض منه ، ورده إلى حد يميل به إلى ما يستبين فيه المأمور به من التعزير والتوقير .

ولم يتناول النهي أيضا رفع الصوت الذي لا يتأذى به رسول الله ﷺ وهو ما كان منهم في حرب ، أو مجادلة معاند ، أو إرهاب عدو أو ما أشبهه ، فلم ينهوا عن الجهر مطلقا حتى لا يسوغ لهم أن يكلموه إلا بالهمس والمخافتة ، وإنما نهوا عن جهر مقيد بصفة أعلى الجهر المنعوت بمماثلة ما قد اعتادوه منه فيما بينهم ، وهو الخلو عن مراعاة أبهة النبوة ، وجلالة مقدارها ، وانحطاط

سائر الرتب وإن جلت عن رتبتها »[١]

« ومن البداهة أن هذه الآيات وأمثالها في تأديب الأمة وتعليمها إنما جاءت بأسلوبها المعجز لتفخيم شأن النبي ﷺ وإظهار رفعة قدره المنيف ، وسمو منزلته ﷺ فوق كل منزلة أحد من الخلق ، وهي مسوقة في مواضعها من القرآن الكريم لتعليم الأمة أفرادًا وجماعات الأدب الأكمل مع النبي ﷺ في كل ما يتصل بمخاطبته والتحدث إليه ، والإصغاء إلى حديثه ، ومجالسته حتى يستشعر المؤمن بقلبه وروحه وكافة إحساساته ومشاعره ما أوجبه اللّٰه تعالى من توقيره ﷺ توقيرًا يجلي رفيع قدره ، وعظيم مقامه ، ويظهر تشريف اللّٰه تعالى له بما ميزه به على سائر الخلق ، وقد اتفق أهل العلم من أئمة أعلام الأمة على أن حرمته ﷺ بعد وفاته كحرمته في حياته »[٢] .

ثالثا : أن اللّٰه تبارك وتعالى ذم الذين ينادونه من وراء الحجرات وهي بيوت نسائه فقال ﴿ أكثرهم لا يعقلون ﴾ ثم أرشد تعالى إلى الأدب في ذلك فقال ﴿ ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيرا لهم ﴾ أي لكان لهم في ذلك الخيرة والمصلحة في الدنيا والآخرة[٣]فكره إليهم النداء على هذه الصفة المنافية للأدب والتوقير اللائق بشخص النبي ﷺ ، وبين لهم ما يجب عليهم وهو الصبر والانتظار حتى يخرج إليهم وحبب إليهم التوبة والإنابة ، ورغبهم في المغفرة والرحمة[٤] .

---

(١) الكشاف (٣ / ٥٥٤ ، ٥٥٥) .
(٢) كتاب محمد رسول اللّٰه ﷺ منهج ورسالة تأليف محمد الصادق إبراهيم عرجون (٤ / ٣٣٣)
(٣) تفسير ابن كثير (٤ / ٢٠٨) .
(٤) في ظلال القرآن لسيد قطب (٦ / ٣٣٤٠) بتصرف يسير .

قال الحليمي « في هذه الآية يسلي الله نبيه ﷺ بما أخبره من أن الذين يصيحون خارج منزله ولا يصبرون حتى يخرج إليهم إنما حملهم على ذلك جهلهم وقلة عقلهم وأكثرهم لا يهتدون إلى ما يلزمهم من تعظيمك في حال مخاطبتك »[١].

٣ ـ وقال تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ ﴾[٢].

قال الحليمي : « فأعلمهم أن نفس الرسول ﷺ أكرم وأشرف وأزكى وأجمل من أنفسهم ، فلا يسعهم من ذلك أن يصرفوا أنفسهم عما لا يصرف نفسه عنه فيتخلفوا عنه إذا خرج لجهاد أعداء الله معتذرين من شدة حر ، أو طول طريق ، أو عوز ماء ، أو قلة زاد ، بل يلزمهم متابعته ومشايعته على أي حال رضيها لنفسه ، وفي هذا أعظم البيان لمن عقل ، وأبين الدلالة على وجوب تعظيمه وإجلاله وتوقيره »[٣].

٤ ـ وقال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ ٱلْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَٱسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ... ﴾[٤].

فنهاهم سبحانه وتعالى عن أن يعاملوا رسول الله ﷺ بالتوسع في الانبساط

---

(١) المنهاج في شعب الإيمان (٢ / ١٢٨) .

(٢) الآية (١٢٠) من سورة التوبة .

(٣) المنهاج في شعب الإيمان (٢ / ١٢٦) .

(٤) الآية (٥٣) من سورة الأحزاب .

والإسترسال كما يعامل من لا يهاب ولا يتقى ، فيدخل بيته بغير إذنه إذا دعاهم إلى طعام لم ينضج ، وأحاطوا به منتظرين إدراكه وإذا حضر الطعام ودخلوا وطعموا لزموا مجالسهم مستأنسين بالمحادثة ، وأخبرهم أن ذلك منهي عنه ، إذ كان النبي ﷺ قد تأذى منه ويستحي أن يكلمهم ، كما أدبهم فيما ينبغي عليهم تجاه معاملتهم مع أزواجه ﷺ ، وهذا كله مما يدل على ماله ﷺ من التعظيم والاحترام .

٥ ـ وقد جاء بعد هذه الآيات الأمر بالصلاة والسلام عليه ﷺ حيث قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[1]

ووجه إيصال هذه الآية بما قبلها هو أنه لما كان من الواجب على المكلفين تعظيم النبي ﷺ برفع الأذى عنه وإظهار شرفه وكرامته فذكر الله تعالى القسم الأول ـ أي رفع الأذى ـ في قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ ﴾[2] إلى آخرها وذكر القسم الثاني ـ أي إظهار شرفه وكرامته ـ في هذه الآية الثانية ، وبدأ بالأول لأن دفع المفاسد أهم .

وأيضا لما أرشد الله تعالى المؤمنين إلى تعظيمه ﷺ بتعلم سلوك طريق الأدب معه في أشياء كثيرة تتعلق بحياته وموته إظهارًا لشرفه وتعظيمًا له ، عقبه بما يدل على أنه تعالى أيضا معظم لشأنه أيضا ، وكذلك ملائكته المقربون حملة العرش وحفظته الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون .

وفيه بيان لمنقبة عظيمة له ﷺ فإن الملك قد يأمر بإكرام شخص ولا يكون

(١) الآية (٥٦) من سورة الأحزاب .

(٢) الآية (٥٣) من سورة الأحزاب .

عنده بمكان فأزيل هذا التوهم وبين أنه أكرم الخلق على ربه تعالى .

وأيضا لما أرشد اللَّه المؤمنين إلى الحال التي يجب أن يكونوا عليها مع نبيه ﷺ من التعظيم والتوقير - ولهم معه حالتان :

١ - حالة الخلوة : والواجب هناك عدم إزعاجه - بين ذلك بقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ ﴾[1] .

٢ - وحالة الملأ : والواجب هناك إظهار التعظيم ، بين ذلك بقوله ﴿ صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[2] .

وأيضًا لما أمر اللَّه سبحانه وتعالى بالاستئذان في بيوته ، وعدم النظر إلى وجوه زوجاته ، وغير ذلك من الآداب إكرامًا وتبجيلًا ، كمل سبحانه بيان حرمته بقوله ﴿ صَلُّوا عَلَيْهِ ﴾ .

وأيضًا لما بين الأدب معه في حال الخلوة ، وكان حاله في الملأ نوعين ، لأنه يكون أعلى وأسفل ، فبين أنه في الأعلى محترم في غاية الاحترام ، ثم بين ما يجب على الملأ الأسفل من ذلك التعظيم بقوله ﴿ صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[3].

٦ - وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا * وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾[4]

فاللَّه تعالى من تعظيمه لنبيه ﷺ حفظ له كرامته وصان له حقه ففرق بين

---

(١) الآية (٥٣) من سورة الأحزاب .

(٢) الآية (٥٦) من سورة الأحزاب .

(٣) الصلات والبشر في الصلاة على خير البشر (ص ١٩ - ٢٠) .

(٤) الآيتان (٥٧ ، ٥٨) من سورة الأحزاب .

أذاه وأذى المؤمنين ، فأوجب على من آذى النبي ﷺ اللعن والطرد من رحمته وهذا حكم على من آذاه بالكفر وفي الآخرة له العذاب المهين ومصيره إلى جهنم وبئس المصير . بينما حكم على من آذى المؤمنين بالبهتان والإثم والفرق بين الحكمين ناتج عن الفرق بين حق النبي ﷺ وحق غيره .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في استدلاله بهذه الآية على وجوب قتل من أذى النبي ﷺ « ودلالتها من وجوه :

أحدها : أنه قرن أذاه بأذاه كما قرن طاعته بطاعته ، فمن آذاه فقد آذى اللّٰه تعالى ، وقد جاء ذلك منصوصًا عنه ، ومن آذى اللّٰه فهو كافر حلال الدم .

بين ذلك أن اللّٰه تعالى جعل محبة اللّٰه ورسوله ، وإرضاء اللّٰه ورسوله وطاعة اللّٰه ورسوله شيئا واحدًا فقال تعالى : ﴿ قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوها وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾[١]وقال تعالى : ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ﴾[٢]في مواضع متعددة ، وقال تعالى ﴿ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ ﴾[٣]فوحد الضمير ، وفي ذلك إشارة إلى أن إرضاء اللّٰه إرضاء للرسول وإرضاء الرسول فيه إرضاء للّٰه ، وقال أيضا ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ ﴾[٤]وقال أيضا : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنفَالِ قُلِ الْأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾[٥] .

---

(١) الآية (٢٤) من سورة التوبة .

(٢) الآية (١٣٢) من سورة آل عمران .

(٣) الآية (٦٢) من سورة التوبة .

(٤) الآية (١٠) من سورة الفتح .

(٥) الآية (١) من سورة الأنفال .

وجعل شقاق اللّه ورسوله ومحادة اللّه ورسوله وأذى اللّه ورسوله ومعصية اللّه ورسوله شيئًا واحدًا ، فقال : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾[1]وقال : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾[2]وقال تعالى ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾[3]وقال : ﴿ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾[4].

وفي هذا وغيره بيان لتلازم الحقين ، وأن جهة حرمة اللّه تعالى ورسوله جهة واحدة ، فمن آذى الرسول فقد آذى اللّه ، ومن أطاعه فقد أطاع اللّه ، لأن الأمة لا يصلون ما بينهم وبين ربهم إلا بواسطة الرسول ، ليس لأحد منهم طريق غيره ، ولا سبب سواه وقد أقامه اللّه مقام نفسه في أمره ونهيه وإخباره وبيانه ، فلا يجوز أن يفرق بين اللّه ورسوله في شيء من هذه الأمور .

وثانيها : أنه فرق بين أذى اللّه ورسوله وبين أذى المؤمنين والمؤمنات ، فجعل على هذا أنه قد احتمل بهتانًا وإثمًا مبينًا وجعل على ذلك اللعنة في الدنيا والآخرة وأعد له العذاب المهين ، ومعلوم أن أذى المؤمنين قد يكون من كبائر الإثم وفيه الجلد ، وليس فوق ذلك إلا الكفر والقتل .

الثالث : أنه ذكر أنه لعنهم في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا ، واللعن : الإبعاد عن الرحمة ، ومن طرده عن رحمته في الدنيا والآخرة لا يكون إلا كافرا فإن المؤمن يقرب إليها بعض الأوقات ولايكون مباح الدم ، لأن حقن الدم رحمة عظيمة من اللّه ، فلا تثبت في حقه ... »[5]

---

(١) الآية (١٣) من سورة الأنفال .

(٢) الآية (٢٠) من سورة المجادلة .

(٣) الآية (٦٣) من سورة التوبة .

(٤) الآية (١٤) من سورة النساء وآيات أخر .

(٥) الصارم المسلول (ص ٤٠ – ٤١) .

ومما يوضح ذلك أن سب النبي ﷺ قد تعلق به عدة حقوق :

أ- حق الله سبحانه من حيث كفر برسوله وعادى أفضل أوليائه وبارزه بالمحاربة ومن حيث طعن في كتابه ودينه ، فإن صحتهما موقوفة على صحة الرسالة ، ومن حيث طعن في ألوهيته ، فإن الطعن في الرسول طعن في المرسِل ، وتكذيبه تكذيب لله تبارك وتعالى وإنكار لكلامه وأمره وخبره وكثير من صفاته .

ب - وتعلق به حق جميع المؤمنين من هذه الأمة ومن غيرها من الأمم ، فإن جميع المؤمنين مؤمنون به خصوصا أمته فإن قيام أمر دنياهم ودينهم وآخرتهم به بل عامة الخير الذي يصيبهم في الدنيا والآخرة بوساطته وسفارته ، فالسب له أعظم عندهم من سب أنفسهم وآبائهم وأبنائهم وسب جميعهم ، كما أنه أحب إليهم من أنفسهم وأولادهم وآبائهم والناس أجمعين .

ج - وتعلق به حق رسول الله ﷺ من حيث خصوص نفسه فإن الإنسان تؤذيه الوقيعة في عرضه أكثر مما يؤذيه أخذ ماله ، وأكثر مما يؤذيه الضرب ، بل ربما كانت عنده أعظم من الجرح ونحوه ، خصوصًا من يجب عليه أن يظهر للناس كمال عرضه وعلو قدره لينتفعوا بذلك في الدنيا والآخرة[١] .

٧ - وقال تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[٢] .

قال بعض المفسرين : هي لغة كانت في الأنصار ، نهوا عن قولها تعظيمًا للنبي ﷺ وتبجيلًا له ، لأن معناها ارعنا نرعك ، فنهوا عن قولها ، إذ مقتضاها كأنهم لا يرعونه إلا برعايته لهم ، بل حقه أن يرعى على كل حال .

---

(١) الصارم المسلول (ص ٣٩٣ ، ٣٩٤) .

(٢) الآية (١٠٤) من سورة البقرة .

وقيل : كانت اليهود تعرض بها للنبي ﷺ بالرعونة[١] فنهي المسلمون عن قولها قطعًا للذريعة ، ومنعًا للتشبه بهم في قولها لمشاركة اللفظه وقيل غير هذا[٢].

٨ ـ وقال تعالى :﴿ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا أَزْوَاجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴾[٣] .

ففي هذه الآية حرم الله على الأمة أن تنكح أزواجه من بعده لأن ذلك يؤذيه وجعله عظيما عند الله تعظيمًا لحرمته ﷺ ، فحرم تعالى على الأمة ما هو مباح أن يعامل به بعضهم بعضا ، وذلك تمييزًا لنبيه ﷺ وتعظيما لشأنه .

وقد ذكر أن هذه الآية نزلت لما قال بعض الناس : لو قد توفي رسول الله ﷺ تزوجت عائشة[٤] .

ولو أن أحدا أقدم على هذا الأمر فنكح أزواجه أو سراريه لكانت عقوبته في الشرع هي القتلَ جزاءً له بما انتهك من حرمته والدليل على ذلك ما رواه مسلم بسنده عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رجلا كان يتهم بأم ولد رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ لعلي اذهب فاضرب عنقه فأتاه علي فإذا هو في ركي[٥] يتبرد فيها ، فقال له علي أخرج فناوله يده فأخرجه فإذا هو مجبوب ليس له ذكر فكف علي عنه ، ثم أتى النبي ﷺ فقال : يارسول الله إنه لمجبوب ما له ذكر »[٦] .

---

(١) الخفة والحماقة .

(٢) الشفا (٢ / ٥٩١) .

(٣) الآية (٥٣) من سورة الأحزاب .

(٤) الصارم المسلول (ص ٥٩) .

(٥) الركي : جنس للركية ، وهي البئر ، وجمعها ركايا . النهاية (٢ / ٢٦١) .

(٦) صحيح مسلم ، كتاب التوبة ، باب براءة حرم النبي ﷺ من الريبة (٨ / ١١٩) .

قال ابن تيمية رحمه الله : « فهذا الرجل أمر النبي ﷺ بضرب عنقه لما قد استحل من حرمته ، ولم يأمر بإقامة حد الزنا ، لأن إقامة حد الزنا ليس هو ضرب الرقبة ، بل إن كان محصنًا رجم ، وإن كان غير محصن جلد ، ولا يقام عليه الحد إلا بأربعة شهداء أو بالإقرار المعتبر ، فلما أمر النبي ﷺ بضرب عنقه من غير تفصيل بين أن يكون محصنا أو غير محصن علم أن قتله لما انتهكه من حرمته ... فلما تبين أنه كان مجبوبا علم أن المفسدة مأمونة منه ... »[١]

وبالإضافة إلى ما تقدم ، فقد أوجب الله على الأمة احترام أزواج النبي ﷺ وجعلهن أمهات في التحريم والاحترام[٢] .

فقال تعالى ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُۥٓ أُمَّهَاتُهُمْ ﴾[٣] ففي هذه الآية رفع الله مقام أزواج النبي ﷺ وبوأهن منزلة عالية ، وهي منزلة الأمومة لجميع المؤمنين ، وفي ذلك من الحرمة والاحترام والتوقير والإكرام والإعظام ما يوجب على كل مسلم أن يحفظ لهن هذا الحق ويؤديه على الوجه المطلوب منه شرعا .

وهذه المنزلة لأمهات المؤمنين هي من التشريف والتعظيم الذي أعطاه الله للنبي ﷺ .

٩ ـ وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ آمَنُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُولَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ

---

(١) الصارم المسلول (ص ٥٩ - ٦٠) .

(٢) المصدر السابق (ص ٤٣٣) .

(٣) الآية (٦) من سورة الأحزاب .

لَهُمُ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * لَّا تَجْعَلُوا دُعَاءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[١] .

ففي هاتين الآيتين الكريمتين منهج تعظيم قدر النبي ﷺ ، وبيان ما ينبغي أن يكون عليه حال المؤمنين في جميع أمورهم التي تربطهم به ﷺ نبيا ورسولا ، أرسله الله تعالى بالهدى ودين الحق ، وخلع عليه جلابيب حرصه عليهم ، وعزة عنتهم عليه ، وخصه باسمين من أسمائه الحسنىٰ ، فجعله رؤوفًا رحيمًا بالمؤمنين ، وهذا تعظيم لم يكن قط لغيره ﷺ لأنه تعظيم يرتبط بأصل الإيمان برسالته وهدايته .

وجاء في الكشاف عند تفسير هذه الآيات : « أراد الله عز وجل أن يريهم عظيم الجناية في ذهاب الذاهب عن مجلس رسول الله ﷺ بغير إذنه ، إذا كانوا معه على أمر جامع فجعل ترك ذهابهم حتى يستأذنوه ثالث الإيمان بالله والإيمان برسوله مع تصدير الجملة بإنما وإيقاع المؤمنين مبتدأ مخبرًا عنه بموصول أحاطت صلته بذكر الإيمانين ، ثم عقبه بما يزيده توكيدًا وتشديدًا حيث أعاده على أسلوب آخر وهو قوله ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾[٢]وضمنه شيئًا آخر ، وهو أنه جعل الاستئذان كالمصدق بصحة الإيمان وعرض بالمنافقين وتسللهم لواذا »[٣]

وبهذه النصوص يتبين للمسلم أن حقوق رسول الله ﷺ أجل وأعظم وأكرم

---

(١) الآيتان (٦٢ ، ٦٣) من سورة النور .

(٢) الآية (٦٢) من سورة النور .

(٣) الكشاف (٣ / ٧٨) بتصرف يسير .

وألزم لنا وأوجب علينا من حقوق السادات على مماليكهم والآباء على أولادهم لأن الله تعالى أنقذنا به من النار في الآخرة ، وعصم به لنا أرواحنا وأبداننا وأعراضنا وأموالنا وأهلينا وأولادنا في العاجلة ، فهدانا به لأمر إذا أطعناه فيه أدانا إلى جنات النعيم ، فأية نعمة توازي هذه النعم وأية منة تداني هذه المنن .

ثم إنه جل ثناؤه ألزمنا طاعته وتوعدنا على معصيته بالنار ، ووعدنا باتباعه الجنة فأى رتبة تضاهي هذه الرتبة ، وأي درجة تساوي في العلا هذه الدرجة .

فحق علينا إذًا أن نحبه ونجله ونعظمه ونهابه ، فبهذا نكون من المفلحين ﴿ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[1] فالآية بينت أن الفلاح إنما يكون لمن جمع إلى الإيمان به تعزيره ولا خلاف أن التعزير هنا التعظيم[2] فلقد سجل الله في هذه الآية الفلاح بأسلوب الحصر للذين تأدبوا بهذا الأدب القرآني الرفيع .

وكما قال تعالى في الإنافة بمقامه الأشرف ، وبيان حقه على كل مؤمن ومؤمنة ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ ﴾[3] .

وقد ذهب علماء السلف إلى أن الضمير في قوله جل شأنه ﴿ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ ﴾ راجع إلى رسول الله ﷺ ومعناه : تعظموا رسول الله ﷺ وتفخموه في أدب المخاطبة والتحدث إليه ومجالسته .

قال ابن تيمية : « فالتسبيح لله وحده ، والتعزير والتوقير للرسول ، والإيمان

---

(١) الآية (١٥٧) من سورة الأعراف .

(٢) شعب الإيمان للبيهقي ، شعبة التعظيم (١ / ٣٠٢ ، ٣٠٣) .

(٣) الآيتان (٨ ، ٩) من سورة الفتح .

بالله ورسوله »[١].

فهذه الآيات وغيرها نزلت لتبين مقام شرف رسول الله ﷺ وعظيم منزلته عند ربه ، مما يوجب على المؤمنين برسالته أن يكونوا في مخاطباتهم معه على سنن الإجلال والتعظيم .

○ ○ ○ ○

---

(١) بغية المرتاد (ص ٥٠٤) .

المبحث الثالث

تعظيم الصحابة للنبي ﷺ في حياته

من المعلوم المتقرر أن الصحابة رضوان اللّٰه عليهم هم أعرف الأمة بالنبي ﷺ ولذلك فقد كانوا بقدره ومنزلته أعلم وأعرف من غيرهم .

وبناءً على هذا العلم وهذه المعرفة ، فقد كان تعظيمهم وتوقيرهم للنبي ﷺ أشد وأكبر من غيرهم .

وقد أوردت كتب السنة والتفسير وغيرها صورًا متعددة من ذلك التعظيم والتوقير الذي كان يفعله الصحابة رضوان اللّٰه عليهم مع النبي ﷺ .

ومن أبلغ ما قيل في وصف هذا التعظيم ما قاله عروة بن مسعود[1] حين وجهته قريش إلى رسول اللّٰه ﷺ ، ورأى من تعظيم أصحابه له ما رأى ، وأنه لا يتوضأ إلا ابتدروا وضوءه ، وكادوا يقتتلون عليه ، ولا يبصق بصاقا ، ولا يتنخم نخامة إلا تلقوها بأكفهم فدلكوا بها وجوههم وأجسادهم ، ولا تسقط منه شعرة إلا ابتدروها ، وإذا أمرهم بأمر ابتدروا أمره وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده ، وما يحدون إليه النظر تعظيمًا له .

فلما رجع إلى قريش قال : أي قوم ، واللّٰه لقد وفدت على الملوك ، ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي ، واللّٰه إن رأيت مليكًا قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد ﷺ محمدًا ، واللّٰه إن انتخم نخامة إلا وقعت في

---

(١) عروة بن مسعود الثقفي ، كان أحد الأكابر في قومه ، وكانت له اليد البيضاء في تقرير صلح الحديبية ، اتبع أثر النبي ﷺ لما انصرف من الطائف فأسلم ، واستأذنه أن يرجع إلى قومه ، فأذن له فرجع فدعاهم ، فرماه أحدهم بسهم وهو يؤذن في السحر فقتله .الإصابة (٢ / ٤٧٠ - ٤٧١)

كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده ، وإذا أمرهم ابتدروا أمره ، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه ، وإذا تكلموا خفضوا أصواتهم عنده وما يحدون إليه النظر تعظيمًا له ... »[1]

فهذه صورة لما كان عليه حال الصحابة وما كان من شأنهم في تعظيم النبي ﷺ وتوقيره ومراعاة أموره والتبرك بآثاره .

ولما نزل قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾[2] .

ما كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يسمع رسول الله ﷺ حتى يستفهمه[3] .

وقال البيهقي : إن هذه الآية « نزلت في ثابت بن قيس بن شماس الأنصاري كان إذا جالس النبي ﷺ يرفع صوته إذا تكلم ، فلما نزلت هذه الآية انطلق مهمومًا حزينًا فمكث في بيته أيامًا مخافة أن يكون قد حبط عمله .

وكان سعد بن عبادة[4] جاره ، فانطلق حتى أتى النبي ﷺ فأخبره بذلك فقال له النبي ﷺ « اذهب فأخبر ثابت بن قيس أنك لم تُعْنَ بهذه الآية ولست من أهل النار بل أنت من أهل الجنة فاخرج إلينا فتعاهدنا » ففرح ثابت

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الشروط ، باب الشروط في الجهاد ، والمصالحة مع أهل الحرب ، وكتابة الشروط . انظر : فتح الباري (٥ / ٣٢٩ ، ٣٣١) .

(٢) الآية (٢) من سورة الحجرات .

(٣) تقدم تخريجه (ص ٤٣٢) .

(٤) سعد بن عبادة الأنصاري ، سيد الخزرج ، شهد العقبة ، وكان أحد النقباء ، وكان مشهورًا بالجود وكان معه راية الأنصار ، توفي سنة خمس عشرة وقيل سنة ست عشرة من الهجرة بالشام . الإصابة (٢ / ٢٧ - ٢٨) .

بذلك ثم أتى النبي ﷺ فلما أبصره النبي ﷺ قال : « مرحبا برجل يزعم أنه من أهل النار بل غيرك من أهل النار وأنت من أهل الجنة » . فكان بعد ذلك إذا جلس إلى النبي ﷺ يخفض صوته حتى ما يكاد أن يسمع الذي يليه فنزلت : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾[١] فقتل يوم اليمامة »[٢] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : لما نزلت ﴿ لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ ﴾ قال أبو بكر رضي الله عنه لا أكلمك إلا كأخي السرار حتى ألقى الله عز وجل »[٣] .

وعن أسامة بن شريك[٤] رضي الله عنه قال : « أتيت رسول الله ﷺ وأصحابه كأنما على رؤوسهم الطير ... » الحديث[٥] .

وعن البراء بن عازب[٦] رضي الله عنهما قال : « خرجنا مع رسول الله ﷺ

---

(١) الآية (٣) من سورة الحجرات .

(٢) شعب الإيمان للبيهقي (١ / ٣١٣) .

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢ / ٤٦٢) وقال حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، وقال الذهبي على شرط مسلم ، وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان ، شعبة تعظيم النبي ﷺ (١ / ٣١٧) . وأخرجه كذلك في المدخل إلى السنن الكبرى ، باب توقير العالم والعلم (ص ٣٧٩) ح ٦٥٣ . وأورده السيوطي في الدر المنثور (٧ / ٥٤٨) وعزاه لعبد بن حميد والحاكم والبيهقي في الشعب .

(٤) أسامة بن شريك الثعلبي من بني ثعلبة ، له صحبة ، وروى حديثه أصحاب السنن وأحمد وابن خزيمة ، وابن حبان والحاكم . الإصابة (١ / ٤٦ - ٤٧) .

(٥) أخرجه بهذا اللفظ أبو داود في سننه كتاب الطب ، باب في الرجل يتداوى (٤ / ١٩٢ - ١٩٣) ح ٣٨٥٥ ، وأخرجه أحمد في المسند (٤ / ٢٧٨) .

(٦) البراء بن عازب بن الحارث الأنصاري الأوسي ، له ولأبيه صحبة استصغره النبي ﷺ يوم بدر =

وجلسنا حوله كأن على رؤوسنا الطير ... » الحديث[(١)].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه « أن رسول الله ﷺ قام على المنبر فقال : « انما أخشى عليكم من بعدي ما يفتح عليكم من بركات الأرض » ثم ذكر زهرة الدنيا فبدأ بإحداهما وثنى بالأخرى ، فقام رجل فقال : يارسول الله أو يأتي الخير بالشر ؟ فسكت عنه النبي ﷺ ، قلنا يوحى إليه ، وسكت الناس كأن على رؤوسهم الطير .. » الحديث[(٢)].

فالشاهد من الآثار الثلاثة المتقدمة قولهم « كأن على رؤوسهم الطير » فهذه العبارة هي كناية عن التعظيم الذي كانوا يظهرونه في مجلس الرسول ﷺ توقيرًا وإجلالًا له صلوات الله وسلامه عليه ، فلم يكن من عادة الصحابة رضوان الله عليهم أن يتجادلوا في مجلس النبي ﷺ أو يعلوا أصواتهم بنقاش أو حوار بل يعطون لهذا المجلس حقه من التشريف والاحترام وعن بريدة بن الحصيب[(٣)] رضي الله عنه قال : « كنا إذا قعدنا عند رسول الله ﷺ لم نرفع رؤوسنا إليه إعظامًا له »[(٤)].

= وشهد أحدًا وما بعدها توفي سنة اثنتين وسبعين . الإصابة (١ / ١٤٦ - ١٤٧) .

(١) أخرجه بهذا اللفظ الإمام أحمد في مسنده (٤ / ٢٨٧) . وأخرجه ابن ماجة في سننه ، كتاب الجنائز ، باب ما جاء في الجلوس في المقابر (١ / ٤٩٤) ح ١٥٤٩

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الجهاد ، باب فضل النفقة في سبيل الله . انظر فتح الباري (٦ / ٤٨ ، ٤٩) ح ٢٨٤٢

(٣) بريدة بن الحصيب بن عبد الله الأسلمي ، قيل انه اسلم حين مر به النبي ﷺ مهاجرًا ، وقيل : أسلم بعد منصرف النبي ﷺ من بدر ، وفي الصحيحين عنه أنه غزا مع رسول الله ﷺ ست عشرة غزوة ، وأخباره كثيرة ومناقبه مشهورة ، مات سنة ثلاث وستين . الإصابة (١ / ١٥٠) .

(٤) أخرجه البيهقي في المدخل إلى السنن الكبرى ، باب توقير العالم والعلم (ص ٣٨١) ح ٦٥٨

وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال : « وما كان أحد أحب إلى من رسول الله ﷺ ، ولا أجل في عيني منه وما كنت أطيق أن أملأ عيني منه إجلالا له ، ولو سئلت أن أصفه ما أطقت لأني لم أكن أملأ عيني منه »[1].

وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يخرج على أصحابه من المهاجرين والأنصار وهم جلوس فيهم أبو بكر وعمر فلا يرفع إليه أحد منهم بصره إلا أبو بكر وعمر فإنهما كانا ينظران إليه وينظر إليهما ويتبسمان إليه ويتبسم إليهما »[2].

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : قام رسول الله ﷺ يصلي من الليل ، قال : فقمت وتوضأت أصلي خلفه فأخذ بيدي فجعلني حذاءه فخنست[3] فقمت خلفه فأخذ بيدي فجعلني حذاءه فخنست فقمت خلفه ، فانصرف رسول الله ﷺ فقال : « مالي كلما جعلتك حذائي خنست ؟ » .

قال : فقلت له : لا ينبغي لأحد أن يصلي حذاءك وأنت رسول الله .

قال : فدعا الله أن يزيدني فهمًا وعلمًا »[4].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب كون الإسلام يهدم ما قبله وكذا الهجرة والحج (١ / ٧٨) .

(٢) أخرجه الترمذي في سننه ، كتاب المناقب ، باب في مناقب أبي بكر وعمر رضي الله عنهما كليهما (٥ / ٦١٢) ح ٣٦٦٨ ، وقال : هذا حديث لا نعرفه إلا من حديث الحكم بن عطية ، وقد تكلم بعضهم في الحكم بن عطية .

(٣) خنست : أي انقبضت وتأخرت . النهاية (٢ / ٨٣) .

(٤) أخرجه أحمد في المسند (١ / ٣٣٠) . وأخرجه الحاكم في المستدرك (٣ / ٥٣٤) وقال : حديث على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي . وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان ، باب شعبة تعظيم النبي ﷺ (١ / ٣٢٠ ، ٣٢١) ح ١٢٩

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : « إن أبواب النبي ﷺ كانت تقرع بالأظافير »[١]

وعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال : « كان أصحاب رسول الله ﷺ ليقرعون بابه بالأظافير »[٢] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « كان رسول الله ﷺ يجلس معنا في المسجد يحدثنا فإذا قام ، قمنا حتى نراه ، وقد دخل بعض بيوت أزواجه ... » الحديث[٣] .

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : « لما كان يوم بدر فذكر الحديث في الأسارى وذكر قول عمر في قتلهم فقال ابن مسعود قلت :

---

(١) رواه البزار كما في كشف الأستار (٢ / ٤٢١) . والبيهقي في شعب الإيمان ، باب شعبة تعظيم النبي ﷺ (١ / ٣٣٨) ح ١٣٤

(٢) أخرجه الحاكم في معرفة علوم الحديث النوع الخامس (ص ١٩) . وأخرجه البيهقي في المدخل إلى السنن الكبرى (ص ٣٨١) .

وقال السخاوي في « فتح المغيث » (١ / ١١٧) الحديث أخرجه الحاكم في علومه وكذا في الأمالي كما عزاه إليهما البيهقي في المدخل حيث أخرجه عن راو .

ورواه أبو نعيم في المستخرج على علوم الحديث له (أي الحاكم) عن راو آخر كلاهما عن أحمد ابن عمرو (كذا) الزيبقي عن زكريا بن يحيى المنقري ، عن الأصمعي ، عن كيسان مولى هشام ابن حسان ، وفي رواية أبي نعيم « عن هشام بن حسان » .

وفي رواية الآخرين « عن محمد بن حسان » زاد البيهقي « وهو أخو هشام بن حسان وهو حسن الحديث » انتهى قول السخاوي .

(٣) أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب الأدب ، باب في الحلم وأخلاق النبي ﷺ (٥ / ١٣٣ ، ١٣٤) ح ٤٧٧٣ ، وأخرجه النسائي في سننه ، في القسامة ، باب القود ، من الجندة (٨ / ٣٣ ، ٣٤) . وأخرجه البيهقي في المدخل إلى السنن الكبرى (ص ٤٠١) ح ٧١٧

يارسول الله إلا سهل بن بيضاء[1] فإني سمعته يذكر الإسلام فسكت رسول الله ﷺ فما رأيتني في يوم بدر أخوف أن تقع علي حجارة من السماء مني في ذلك اليوم حتى قال رسول الله ﷺ إلا سهل بن بيضاء »[2] .

وعن أبي رمثة[3] قال : قدمت المدينة ولم أكن رأيت رسول الله ﷺ فخرج وعليه ثوبان أخضران فقلت لابني هذا والله رسول الله ﷺ فجعل ابني يرتعد هيبة لرسول الله ﷺ »[4] .

---

(١) سهل بن بيضاء القرشي ، وبيضاء أمه واسمها دعد واسم أبيه وهب بن ربيعة بن هلال القرشي ، كان ممن قام في نقض الصحيفة التي كتبتها قريش على بني هاشم ، أسلم بمكة فكتم إسلامه فأخرجته قريش إلى بدر فأسر يومئذ فشهد له ابن مسعود أنه رآه يصلي بمكة فأطلق ومات بالمدينة . الإصابة (٢ / ٨٤) .

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (١ / ٣٨٣) . وأخرجه الترمذي في سننه ، كتاب التفسير ، تفسير سورة الأنفال (٤ / ٣٣٥) ح ٥٠٨٠ وقال : حديث حسن وأبو عبيدة لم يسمع من أبيه . وأخرجه الطبراني في الكبير (١٠ / ١٧٧) ح ١٠٢٥٨ بنحوه . وأخرجه الحاكم في المستدرك (٣ / ٢١ - ٢٢) وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي . وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان (١ / ٣٢٥) ح ١٣٠

(٣) أبو رمثة (بكسر أوله وسكون الميم ثم مثلثة) التيمى اختلف في اسمه فقيل : رفاعة بن يثربي ، ويقال عكسه ، ويقال عمارة بن يثربي ، وقيل غير ذلك ، له صحبة ، ومات بأفريقية . الإصابة : (٤ / ٧١) وتقريب التهذيب (٤٠٦) .

(٤) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٢ / ٢٢٦ - ٢٢٧ - ٢٢٨) بعدة طرق عن لقيط بن إياد عن أبي رمثة به . وأخرجه أبو داود في سننه ، كتاب اللباس ، باب في الخضرة (٤ / ٣٣٤) ح ٤٠٦٥ ، وأخرجه الترمذي في سننه ، كتاب الأدب ، باب ما جاء عن الثوب الأخضر (٥ / ١١٩) ح ٢٨١٢ . وأخرجه النسائي في سننه ، كتاب الزينة ، باب لبس الخضر من الثياب (٨ / ٢٠٤) ، وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان (١ / ٣٤٢) وفي دلائل النبوة (١ / ٢٣٧)

وعن أبي جري جابر بن سليم[١] قال : رأيت رجلا يصدر الناس عن رأيه لا يقول شيئا إلا صدروا عنه ، قلت : من هذا ؟ قالوا : هذا رسول الله ﷺ ... » الحديث[٢] .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : لقد رأيت رسول الله ﷺ والحلاق يحلقه وأطاف به أصحابه فما يريدون أن تقع شعرة إلا في يد رجل »[٣] .

وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ لما حلق رأسه كان أبو طلحة[٤] أول من أخذ من شعره »[٥] .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ إذا صلى الغداة جاء خدم المدينة بآنيتهم فيها الماء ، فما يؤتى بإناء إلا غمس يده فيها فربما جاؤوه في الغداة الباردة فيغمس يده فيها »[٦] .

ولما بعثت قريش أبا سفيان إلى رسول الله ﷺ ليشد في عقد صلح الحديبية

---

(١) أبو جري (بالتصغير) الهجيمي واسمه جابر بن سليم وقيل سليم بن جابر ، وقال البخاري الأول أصح ، له صحبة ، وهو من بني أنمار بن الهجيم بن عمرو بن تميم . تهذيب التهذيب (١٢ / ٥٤) .

(٢) أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب اللباس ، باب ما جاء في إسبال الإزار (٤ / ٣٤٤) ح ٤٠٨٤ واللفظ له . وأخرجه الترمذي في سننه ، كتاب الاستئذان ، باب كراهية أن يقول عليك السلام مبتدئا وقال حسن صحيح (٥ / ٧١ ، ٧٢) ح ٢٧٢١

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الفضائل ، باب قرب النبي عليه السلام من الناس وتبركهم به (٧ / ٧٩) .

(٤) اسمه زيد بن سهل وقد تقدم ترجمته .

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الوضوء ، باب الماء الذي يغسل به شعر الإنسان . انظر : فتح الباري (٣ / ٢٣٧) ح ١٧١

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الفضائل ، باب قرب النبي ﷺ من الناس وتبركهم به (٧ / ٧٩) .

ويزيد في المدة ، فلما قدم المدينة دخل على ابنته أم حبيبة ، فلما ذهب ليجلس على فراش رسول اللّٰه طوته ، فقال : يابنية ما أدري أرغبت بي عن هذا الفراش أو رغبت به عني ؟

فقالت : هو فراش رسول اللّٰه ﷺ ، وأنت مشرك نجس فلم أحب أن تجلس على فراشة ... »[1] فأكرمت فراش رسول اللّٰه ﷺ أن يجلس عليه رجل مشرك .

ولما قدم أبو سفيان مكة بعد ذلك قالت له قريش ما وراءك هل جئت بكتاب من محمد أو عهد ؟ قال : لا واللّٰه قد أبي علي وقد تتبعت أصحابه فما رأيت قوما لملك عليهم أطوع منهم له ... »[2]

ولما قال رأس المنافقين عبد اللّٰه بن أبي سلول[3]لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل . قال رسول اللّٰه ﷺ : ادعوا لي عبد اللّٰه بن أبي[4]فدعاه ، فقال : ألا ترى ما يقول أبوك ؟ قال : وما يقول بأبي أنت وأمي ؟

قال : يقول لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ،

---

(١) أورده ابن كثير في البداية (٤ / ٢٨٠) من طريق ابن اسحاق ، وابن حجر في الإصابة (٤ / ٢٩٩ ، ٣٠٠) .

(٢) البداية لابن كثير (٤ / ٢٨٢) .

(٣) عبد اللّٰه بن أبي بن مالك بن الحارث بن عبيد الخزرجى ، أبو الحباب المشهور بابن سلول ، وسلول جدته لأبيه رأس المنافقين في الإسلام أظهر الإسلام بعد وقعة بدر ، تقية ، مات بالمدينة سنة تسع من الهجرة ، طبقات ابن سعد (٢ / ٣ / ٩٠) .

(٤) عبد اللّٰه بن عبد اللّٰه بن أبي بن مالك ، وهو ابن عبد اللّٰه بن أبي رأس المنافقين الذي تقدمت ترجمته . وكان اسم عبد اللّٰه بن عبد اللّٰه « الحباب » فسماه النبي ﷺ « عبد اللّٰه » وهو صحابي جليل ، شهد بدرًا وما بعدها ، واستشهد باليمامة في قتال الردة سنة اثنتي عشرة .
الإصابة (٢ / ٣٢٧ ، ٣٢٨) .

فقال : فقد صدق والله يارسول الله ، أنت والله الأعز وهو الأذل أما والله قد قدمت المدينة يارسول الله ، وإن أهل يثرب ليعلمون ما بها أحد أبر مني ، ولئن كان يرضي الله ورسوله أن آتيهما برأسه لأتينهما به .

فقال رسول الله ﷺ : « لا » . فلما قدموا المدينة ، قام عبد الله بن عبد الله ابن أُبي على بابها بالسيف لأبيه ، ثم قال : أنت القائل لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ، أما والله لتعرفن العزة لك أو لرسول الله ، والله لا يأويك ظله ، ولا تأويه أبدًا إلا بإذن من الله ورسوله .

فقال : ياللخزرج ابني يمنعني بيتي ، ياللخزرج ابني يمنعني بيتى

فقال : والله لا تأويه أبدا إلا بإذن منه .

فاجتمع إليه رجال فكلموه ، فقال : والله لا يدخله إلا بإذن من الله ورسوله فأتوا النبي ﷺ فأخبروه . فقال : اذهبوا إليه ، فقولوا له خله ومسكنه ، فأتوه فقال : أما إذا جاء أمر النبي ﷺ فنعم »[(١)] .

وفي رواية عند الترمذي : « فقال له ابنه عبد الله بن عبد الله : والله لا تنفلت حتى تقر أنك الذليل ورسول الله ﷺ العزيز ، ففعل »[(٢)] .

وبعد . فهذا غيض من فيض مما ورد في تعظيم الصحابة رضوان الله عليهم للنبي ﷺ في حياته ، وفي الحقيقة فإن كل مواقفهم تشهد لهم بتعظيمه واحترامه وتوقيره .

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٨ / ١١٤ ، ١١٥) تفسير سورة المنافقون ، الآية (٨) .

(٢) سنن الترمذي (٥ / ٤١٨) ح ٣٣١٥ كتاب تفسير القرآن ، باب ومن سورة المنافقين .

وأورده ابن كثير في تفسيره (٤ / ٣٧٢) وعزاه للحميدي في مسنده وأورده ابن حجر في فتح الباري (٨ / ٦٥٢) .

فلقد كانوا يعظمونه في ذاته فيتبركون بآثاره كفضل وضوئه ، والأخذ من شعره ، ودلك أجسامهم بنخامته ، وغير ذلك مما أقرهم النبي ﷺ[1]، وهذا خاص في حقه ﷺ .

كما كانوا يعظمونه في سلوكهم وتصرفاتهم معه ﷺ فما كانوا ينادونه إلا بـ « يا نبي الله ، يارسول الله » كما كانوا يسارعون في إجابته ويعاجلون في طاعته ، تحقيقا لقوله تعالى ﴿ لَّا تَجْعَلُوا دُعَاءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم

---

(١) قال الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى في كتابه تيسير العزيز الحميد (ص ١٥٣ ، ١٥٤) : « ذكر بعض المتأخرين أن التبرك بآثار الصالحين مستحب كشرب سؤرهم ، والتمسح بهم أو بثيابهم ، وحمل المولود إلى أحد منهم ليحنكه بتمرة حتى يكون أول ما يدخل جوفه ريق الصالحين ، والتبرك بعرقهم ونحو ذلك ، وقد أكثر في ذلك أبو زكريا النووي في « شرح مسلم » في الأحاديث التي فيها أن الصحابة فعلوا شيئا من ذلك مع النبي ﷺ ، وظن أن بقية الصالحين في ذلك كالنبي ﷺ ، وهذا خطأ صريح لوجوه منها :

١ - عدم المقاربة فضلًا عن المساواة للنبي ﷺ في الفضل والبركة .

٢ - ومنها عدم تحقق الصلاح ، فإنه لا يتحقق إلا بصلاح القلب ، وهذا أمر لا يمكن الاطلاع عليه إلا بنص ، كالصحابة الذين اثنى الله عليهم ورسوله ، أو أئمة التابعين ، أو من شهر بصلاح ودين كالأئمة الأربعة ونحوهم من الذين تشهد لهم الأمة بالصلاح وقد عدم أولئك ، أما غيرهم فغاية الأمر أن نظن أنهم صالحون فنرجو لهم .

٣ - ومنها أنا لو ظننا صلاح شخص فلا نأمن أن يختم له بخاتمة سوء ، والأعمال بالخواتيم ، فلا يكون أهلا للتبرك بآثاره .

٤ - ومنها أن الصحابة لم يكونوا يفعلون ذلك مع غيره لافي حياته ولا بعد موته ، ولو كان خيرًا لسبقونا إليه ، فهلا فعلوه مع أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ونحوهم من الذين شهد لهم النبي ﷺ بالجنة ، وكذلك التابعون هل فعلوه مع سعيد بن المسيب وعلي بن الحسين وأويس القرني والحسن البصري ونحوهم ممن يقطع بصلاحهم ، فدل أن ذلك مخصوص للنبي ﷺ .

٥ - ومنها أن فعل هذا مع غيره ﷺ لا يؤمن أن يفتنه وتعجبه نفسه ، فيورثه العجب والكبر والرياء ، فيكون هذا كالمدح في الوجه بل أعظم » انتهى .

بَعْضًا ﴾ وكان ﷺ عندهم معزرًا موقرًا مهابًا ولم يكونوا يعاملونه بالاسترسال والمباسطة كما يعامل الأكفاء بعضهم بعضًا . وكانوا يخفضون أصواتهم عنده ﷺ حتى ما يكاد أحدهم يسمع الذي يليه امتثالا لقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ ... ﴾ الآية .

فقد أدبهم اللّٰه مع نبيهم في الحديث والخطاب حتى يميز شخص رسول اللّٰه بينهم ، ويميز مجلسه فيهم .

وبذلك امتدحهم سبحانه وتعالى بقوله : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ .

كما أنهم لم يكونوا ليتقدموا بين يديه بالكلام حتى يأذن لهم وذلك طاعة لقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِ وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ - حتى كان النبي - ﷺ يسألهم عن اليوم الذي هم فيه والمكان الذي هم فيه ، وهم يعلمونه حق العلم ، فيتحرجون أن يجيبوا إلا بقولهم اللّٰه ورسوله أعلم خشية أن يكون قولهم تقدمًا بين يدي اللّٰه ورسوله .

وإذا جلسوا بين يديه ﷺ أعطوا هذا المجلس الشريف حقه من التعظيم والإجلال والتكريم حتى لكأنما على رؤسهم الطير وذلك لماهم عليه من السكينة والأدب الشرعي الذي أدبهم اللّٰه به ورسوله صلوات اللّٰه وسلامه عليه .

وكانوا لا يحدون إليه النظر تعظيما ومهابة له ﷺ وإذا أمرهم بأمر ابتدروا أمره فلا يقول شيئًا إلا صدروا عنه وأطاعوه فيه وبادروا إلى امتثاله وتنفيذه والعمل به .

وكيف لا يكون الأمر كذلك فالنبي ﷺ كان كل شيء في حياتهم ، فقد

كان معلمهم ومربيهم وقائدهم وقدوتهم ، ومصلحهم في الدنيا والشهيد عليهم في الآخرة ، وكان يعنى بهم أكثر من عنايتهم بأنفسهم ، يهتم بما يصلحهم أكثر من اهتمامهم بمصالحهم ، ويرى أنه بما حمله الله من أمانة تكوينهم ورعاية شؤونهم والسهر على مصالحهم ، أولى بهم من أنفسهم ، وهذا ما أكده القرآن الكريم بقوله عز وجل : ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ الآية .

ولذلك فقد كان من البداهة بمكان أن يكون للنبي ﷺ هذه المنزلة في حياة الصحابة رضوان الله عليهم ، وأن يكون هو الآمر الناهي ، والسيد المطاع الذي لا يرد له أمر ولا يخالف له رأي ﴿ وَمَا آتَاكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا ﴾ .

ولقد توالت الآيات الكريمة التي تعلم الصحابة رضوان الله عليهم آداب السلوك معه ، وتبين مكانة النبي الكريم ﷺ الذي اختاره لحمل الرسالة ، وما ينبغي أن يعطى من الإجلال والتكريم .

وكلما حدث إخلال وتقصير في جانب توقيره وتعظيمه ﷺ فإن آيات القرآن تنزل مبينة لذلك الخلل والتقصير الذي وقع ومنبهة على خطورته ومحذرة من عواقب التمادي فيه كما في قوله تعالى : ﴿ لَّا تَجْعَلُوا دُعَاءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ﴾ الآية وقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِ وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ ... ﴾ الآية .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ ٱلْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ .

وغير ذلك من الآيات التي نزلت في هذا الشأن ، وإن شئت فاقرأ أسباب نزول تلك الآيات في كتب التفسير والحديث .

ومن ثم فإن المخاطبين بهذه الآيات من الصحابة انتهوا إلى العمل بها وذلك طاعة لأمر الله وتعظيما لحق رسوله ﷺ الذي قررته تلك الآيات وأرشدت اليه .

وكما كان هذا هو الحال في جانب الطاعة ، فكذلك الحال في جانب الحذر من مخالفته ومعصيته .

فالصحابة الذين عرفوا واشتهر عنهم طاعته ﷺ هم الذين اشتهر عنهم بعدهم عن معصيته ومخالفته وذلك لعلمهم بما في ذلك من المحادة والمحاربة له ولشرعه ﷺ وما يترتب على ذلك من العقوبة الشديدة قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَادُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُولَٰٓئِكَ فِي ٱلْأَذَلِّينَ ﴾[1] ، وقال تعالى : ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَا ﴾[2] ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾[3]

ولقد كانت منزلة النبي ﷺ في قلوب أصحابه أغلى وأعز عليهم من كل شيء حتى من نفوسهم وأهليهم وما سوى ذلك ، فقد كانوا يفتدونه بأرواحهم ويبذلون في سبيل نصرته كل ما يملكون من غالي ورخيص فقد حثهم الله على ذلك بقوله ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ﴾[4]

كما أنهم يعادون من يحارب الله ورسوله مهما كانت صلتهم وثيقة به حتى وإن كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم ، ومواقفهم في ذلك كثيرة ومشتهرة

---

(١) الآية (٢٠) من سورة المجادلة .

(٢) الآية (٦٣) من سورة التوبة .

(٣) الآية (٥) من سورة المجادلة .

(٤) الآية (١٢٠) من سورة التوبة .

وقد تقدم ذكر موقف أم حبيبة رضي الله عنها مع أبيها أبو سفيان وموقف عبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول مع أبيه عبد الله بن أبي .

وبالجملة فإن مجتمع الصحابة كان مجتمع الأمة المثالية التي تمثلت حقيقة واقعة في فترة من فترات التاريخ ، ولقد كان الصحابة قبل الإسلام يعيشون في مجتمع اشتهر بغلظته وقساوة طبعه وبعده عن كثير من الآداب والسلوكيات فمنّ الله عليهم بالإسلام وهداهم له ، واختارهم لصحبة نبيه ﷺ ، فتوالت توجيهات القرآن الكريم والتربية النبوية الحكيمة عليهم ، فهذبت وشذبت ووجهت ودفعت حتى ظهر ذلك المجتمع الذي له أدبه مع الله وأدبه مع رسوله ﷺ ، وأدبه مع نفسه ، وأدبه مع غيره أدبه ، في هواجس ضميره ، وفي حركات جوارحه ، وفي الوقت ذاته له شرائعه المنظمة لأوضاعه ، وله نظمه التي تكفل صيانته ، وهي شرائع ونظم تقوم على ذلك الأدب ، وتنبثق منه ، وتتسق معه .

فما ظنك في مجتمع اختاره الله لصحبة نبيه وتولاه بعنايته ورعايته ، وتعاهدهم رسوله بتوجيهاته ونصائحه وإرشاداته حتى سما وعلا وبلغ تلك الدرجة الرفيعة عند الله سبحانه وتعالى وعند رسوله ﷺ .

○○○○

المبحث الرابع

تعظيم الأمة للنبي ﷺ بعد مماته

○ ويشتمل على تمهيد وأربعة مطالب :

المطلب الأول : تعظيم النبي ﷺ محله القلب واللسان والجوارح .

المطلب الثاني : توقير النبي ﷺ في آله وأزواجه أمهات المؤمنين .

المطلب الثالث : توقيره ﷺ في أصحابه رضوان الله عليهم .

المطلب الرابع : حفظ حرمة المدينة النبوية .

○ ○ ○ ○

تمهيد

سبق وأن تقرر ـ بما تقدم من أدلة وبراهين ـ وجوب تعظيم النبي ﷺ وتعزيره وتوقيره .

وعلمنا كذلك ما كان من حال الصحابة رضوان الله عليهم تجاه هذا الواجب الذي فرضه الله على الأمة في حق نبيه ﷺ ، وما كان منهم من تعظيم للنبي ﷺ في حياته ، حينما كان بين ظهرانيهم يعايشهم ويعايشونه .

والسؤال الذي يفرض نفسه في مثل هذا المقام هو : كيف يتحقق لهذه الأمة تعظيم نبيها ﷺ بعد وفاته ، وما هي الأمور التي يشرع فعلها والقيام بها لتحقيق ما أمر الله به في هذا الجانب من جوانب الإيمان والدين ؟

وقبل أن أشرع في تفاصيل جواب هذا السؤال وإيضاح جوانبه أود أن أذكر بأن هذا التعظيم والتوقير الواجب للنبي ﷺ هو من أمور الدين المشروعة بأدلة القرآن والسنة ، وبذلك فلا يحق لكائن من كان أن يعظم النبي ﷺ بأمر من عنده لم يشرعه الله في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ ، أو ليس له أصل فيهما .

فالقاعدة الشرعية المبنية على قول النبي ﷺ « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » تقول إن أي أمر محدث في هذا الدين مما لم يشرعه النبي ﷺ هو أمر مردود على فاعله كائنًا من كان ، وهو بدعة ، وكل بدعة ضلالة .

وهذه القاعدة الشرعية هي الميزان الذي يعرض عليه ما يقوم به الناس من أقوال وأفعال في هذا الجانب ـ أي جانب تعظيم الرسول ﷺ ـ بل وفي كل جانب من جوانب الدين .

وإذا كانت العبادة هي الاسم الجامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة ، فمما لا شك فيه أن تعظيم النبي ﷺ من الأمور التي يحبها الله ، وقد ارتضاها لعباده حين أمرهم بذلك .

فإذا كان تعظيم النبي ﷺ من الأمور التعبدية التي تعبد الله بها عباده ، فالعبادات مبناها على الشرع والاتباع ، لا على الهوى والابتداع ، فالعبادة مبنية على أصلين هما :

الأصل الأول : إخلاص العبادة لله وحده لا شريك له ، قال تعالى : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ ﴾[1] .

الأصل الثاني : أن نعبده بما شرعه على لسان رسوله ﷺ ، فلا نعبده بالأهواء والبدع ، قال الله تعالى ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ * إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ﴾[2] وقال تعالى ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ ﴾[3] فليس لأحد أن يعبد الله إلا بما شرعه رسوله ﷺ من واجب أو مستحب ، وليس لنا أن نعبده بالأمور المبتدعة[4] .

وهذان الأصلان هما حقيقة قولنا « أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله » .

وعلى هذا فإن الرسول ﷺ هو المبلغ عن الله تعالى أمره ونهيه وتحليله ،

---

(١) الآية (٥) من سورة البينة .

(٢) الآيتان (١٨ – ١٩) من سورة الجاثية .

(٣) الآية (٢١) من سورة الشورى .

(٤) مجموع الفتاوى (١ / ٨٠) بتصرف .

وتحريمه ، فالحلال ما أحله ، والحرام ما حرمه ، والدين ما شرعه ، فليس لأحد كائنا من كان أن يشرع في هذا الدين بعد رسول الله ﷺ .

وقد قدمت لكلامي بهذه العبارات نظرًا لما أحدثه الناس في هذا الجانب من بدع تحت دعوى تعظيم قدر النبي ﷺ ، مما ليس له أصل في الدين وما أنزل الله به من سلطان .

ومن العجيب أن الشيطان أظهر لهم ذلك في صورة محبته ﷺ وتعظيمه ومتابعته ، وهذا شأن اللعين لابد وأن يمزج الحق بالباطل ليروج على أشباه الأنعام أتباع كل ناعق ، الذين لم يستضيؤوا بنور العلم ، ولم يلجؤوا إلى ركن وثيق .

ولقد كان حرى بهؤلاء الذين ابتدعوا تلك البدع ، وكذلك الذين أخذوا بها من بعدهم ، أن يلتزموا بما ورد به أمر الشارع من أمور في جانب تعظيم قدر النبي ﷺ وتوقيره ، ففيها الغنية والنجاة ، وبالتمسك بها والسير عليها يحصل الأجر العظيم بإذن الله تعالى .

○ ○ ○ ○

المطلب الأول

تعظيم النبي ﷺ محله القلب واللسان والجوارح

لقد أرسل اللَّه سبحانه وتعالى نبيه ورسوله محمدًا ﷺ إلى الثقلين الإنس والجن ، على حين فترة من الرسل ، فهدى به لأقوم طريق وأوضح سبيل ، وبعثه بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، بشيرًا ونذيرًا وداعيًا إلى اللَّه بإذنه وسراجًا منيرًا ، فهدى به من الضلالة وبصر به من العمى وأرشد به من الغي ، وفتح به أعينًا عميًا وآذانًا صمًا ، وقلوبًا غلفًا ، فإن رسالته وافت أهل الأرض أحوج ما كانوا إليها ، فإنهم كانوا بين عباد أوثان ، وعباد صلبان ، وعباد نيران ، وعباد كواكب ، ومغضوب عليهم قد باؤوا بغضب من اللَّه ، وحيران لا يعرف ربًا يعبده ، ولا بماذا يعبده ، والناس يأكل بعضهم بعضا من استحسن شيئًا دعا إليه وقاتل من خالفه ، وليس في الأرض موضع قدم مشرق بنور الرسالة ، « وقد نظر اللَّه سبحانه إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا على آثار دين صحيح »[1] فأغاث اللَّه به البلاد والعباد وكشف به تلك الظلم وأحيا به الخليقة بعد الموت .

فبلّغ الرسالة ، وأدّى الأمانة ونصح الأمة ، وجاهد في اللَّه حق جهاده ، وعبد ربه حتى أتاه اليقين .

ففرق بين الحق والباطل ، والهدى والضلال ، والرشاد والغي ، وطريق أهل

---

(١) هذه العبارة جزء من حديث رواه مسلم في صحيحه ، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار (٨ / ١٥٩) ولفظها في مسلم « وإن اللَّه نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب ... » الحديث .

الجنة وطريق أهل النار ، وبين أوليائه وأعدائه ، فالحلال ما أحله اللّٰه ورسوله ، والحرام ما حرمه اللّٰه ورسوله ، والدين ما شرعه اللّٰه ورسوله .

فَعَرَّف الناس ربهم ومعبودهم غاية ما يمكن أن تناله قواهم من المعرفة ، وأبدأ وأعاد ، واختصر وأطنب في ذكر أسمائه وصفاته وأفعاله وأحكامه ، حتى تجلت معرفته سبحانه في قلوب عباده المؤمنين ، وانجابت سحائب الشك والريب عنها كما ينجاب السحاب عن القمر ليلة إبداره ، ولم يدع لأمته حاجة في هذا التعريف لا إلى من قبله ولا إلى من بعده ، بل كفاهم وشفاهم وأغناهم عن كل من تكلم في هذا الباب قال تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[1] .

وعرف الأمة الطريق الموصل لهم إلى ربهم ورضوانه ودار كرامته ، ولم يدع حسنًا إلا أمرهم به ، ولا قبيحًا إلا نهى عنه كما قال ﷺ : « إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم وينذرهم شر ما يعلمه لهم »[2] .

وقال أبو ذر رضي اللّٰه عنه : « لقد تركنا محمد ﷺ وما يحرك طائر جناحيه في السماء إلا أذكرنا منه علما »[3] .

وعرفهم حالهم بعد القدوم على ربهم أتم تعريف ، فكشف الأمر وأوضحه ولم يدع بابا من العلم النافع للعباد المقرب لهم إلى ربهم إلا فتحه ولا مشكلًا

---

(١) الآية (٥١) من سورة العنكبوت .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الإمارة ، باب الأمر بالوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول (٦ / ١٨) .

(٣) تقدم تخريجه ص ١٢٤ .

إلا بينه وشرحه ، حتى هدى اللَّه به القلوب من ضلالها ، وشفاها به من أسقامها ، وأغاثها به من جهلها ، فهو الرحمة المهداة للعالمين قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾[1] فجزاه اللَّه عن أمته أفضل الجزاء .

ولقد جبله اللَّه على مكارم الأخلاق وكرائم الشيم ، فإن من نظر في أخلاقه وشيمه ﷺ علم أنها خير أخلاق ، فإنه ﷺ كان أعلم الخلق ، وأعظمهم أمانة وأصدقهم حديثًا وأجودهم وأسخاهم وأشدهم احتمالًا ، وأعظمهم عفوًا ومغفرة ، وكان لا يزيده شدة الجهل عليه إلا حلمًا ، كما روى البخاري في صحيحه عن عبد اللَّه بن عمرو أنه قال في صفة رسول اللَّه ﷺ في التوراة « محمد عبدي ورسولي سميته المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب بالأسواق ، ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر ، ولن أقبضه حتى أقيم به الملة العوجاء وأفتح به أعينًا عميًا وآذانًا صمًا وقلوبًا غلفًا ، حتى يقولوا لا إله إلا اللَّه »[2]

وأرحم الخلق وأرأفهم بهم وأعظم الخلق نفعًا لهم في دينهم ودنياهم وأفصح خلق اللَّه وأحسنهم تعبيرًا عن المعاني الكثيرة بالألفاظ الوجيزة الدالة على المراد وأصبرهم في مواطن الصبر ، وأصدقهم في مواطن اللقاء ، وأوفاهم بالعهد والذمة ، وأعظمهم مكافأة على الجميل بأضعافه ، وأشدهم تواضعا ، وأعظمهم إيثارًا على نفسه ، وأشد الخلق ذبًا عن أصحابه وحماية لهم ودفاعًا عنهم ، وأقوم الخلق بما يأمر به ، وأتركهم لما ينهي عنه ، وأوصل الخلق لرحمه .

وكان أجود الناس صدرًا ، وأصدقهم لهجة ، وألينهم عريكة ، وأكرمهم

---

(١) الآية (١٠٧) من سورة الأنبياء .

(٢) تقدم تخريجه ص ٣٩٦ .

عشرة ، من رآه بديهة هابه ، ومن خالطه معرفة أحبه ، يقول ناعته لم ير قبله ولا بعده مثله ﷺ .

وقد خصه الله بصفتين خص بهما أهل الصدق والإخلاص وهما الإجلال والمحبة ، فقد ألقى عليه هيبة منه ومحبة ، فكان كل من يراه يهابه ويجله ويملأ قلبه تعظيمًا وإجلالًا ، وإن كان عدوًا له ، فإذا خالطه وعاشره كان أحب إليه من كل مخلوق ، فهو المجل المعظم المحبوب المكرم ، وهذا غاية كمال المحبة أن تقرن بالتعظيم والهيبة ، فالمحبة بلا تعظيم ولا هيبة ناقصة ، والهيبة والتعظيم من غير محبة ـ كما يكون الظالم القادر ـ نقص أيضا ، والكمال أن تجتمع المحبة والود والتعظيم والإجلال ، وهذا لا يوجد إلا إذا كان في المحبوب صفات الكمال التي يستحق أن يعظم لأجلها ويحب لأجلها[١] .

ولقد جمع الله تعالى لنبينا ﷺ من الصفات والخصائص ما لم يجمعه لبشر وافترض على العباد طاعته وتعزيره وتوقيره ورعايته والقيام بحقوقه ، وامتثال ما قرره في مفهومه ومنطوقه ، والصلاة عليه والتسليم ونشر شريعته بالعلم والتعليم ، وجعل الطرق مسدودة عن جنته ، إلا من سلك طريقه واعترف بمحبته ، وشرح له صدره ، ورفع له ذكره ، ووضع عنه وزره ، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمره ، فياسعد من وفق لذلك وياويح من قصر عن هذه المسالك[٢] .

وما هذه المحبة والمهابة التي جعلها الله لنبيه ﷺ إلا تبع لمحبته سبحانه وإجلاله .

---

(١)جلاء الأفهام (ص ٨٩ ، ٩٤) بتصرف .

(٢) القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع للسخاوي (ص ١١) بتصرف .

ذلك لأن كل محبة وتعظيم للبشر إنما هي تبع لمحبة الله وتعظيمه فمحبة الرسول وتعظيمه إنما هي من تمام محبة مرسله وتعظيمه ، فأمته يحبونه لمحبة الله له ، ويعظمونه ويجلونه لإجلال الله له فهي من موجبات محبة الله وتعظيمه ، ولهذا لم يكن بشر أحب إلى بشر ولا أهيب ولا أجل في صدره من رسول الله ﷺ في صدر أصحابه رضي الله عنهم .

فإذا كان هذا شأن النبي ﷺ ، وهذه مكانته التي بوأه الله إياها ، فحرى بهذه الأمة أن تعرف له قدره وتعظم من شأنه وذلك بموجب ما شرعه الله وأمر به ، فذلك عقد من عقود الإيمان الذي لا يتم إلا به .

وهذا التعظيم والتوقير الواجب له ﷺ على كل فرد من أفراد هذه الأمة محله القلب واللسان والجوارح .

أما تعظيم القلب : فهو ما يتبع اعتقاد كونه عبدًا رسولًا ، من تقديم محبته على النفس والولد والوالد والناس أجمعين ، والتي من لوازمها الإكثار من ذكره الذي هو سبب لدوام محبته ﷺ وزيادتها وتضاعفها .

وكذلك فإن من تعظيم القلب استشعاره لهيبة النبي ﷺ وجلالة قدره وعظيم شأنه ، واستحضاره لمحاسنه ومكانته ومنزلته ، والمعاني الجالبة لحبه وإجلاله وكل ما من شأنه أن يجعل القلب ذاكرًا لحقه من التوقير والتعزير ، ومعترفًا به ومذعنًا له .

فالقلب ملك الأعضاء وهي له جند وتبع ، فمتى ما كان تعظيم النبي ﷺ مستقرا في القلب مسطورا فيه على تعاقب الأحوال فإن آثار ذلك ستظهر على الجوارح حتما لا محالة ، وحينئذ سترى اللسان يجري بمدحه والثناء عليه وذكر محاسنه ، وترى باقي الجوارح ممتثلة لما جاء به ومتبعة لشرعه وأوامره ،

ومؤدية لما له من الحق والتكريم .

أما تعظيم اللسان : فهو الثناء عليه بما هو أهله مما أثنى به عليه ربه وأثنى على نفسه من غير غلو ولا تقصير . ومن أعظم ذلك الصلاة والسلام عليه ﷺ ، فقد أمر الله عباده المؤمنين بأن يصلوا على النبي ﷺ فقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾[1] وهذا من تعظيمه ﷺ وتوقيره . قال الحليمي : « معنى الصلاة على النبي ﷺ تعظيمه ، فمعنى قولنا : « اللهم صل على محمد » عظم محمدًا ، والمراد تعظيمه في الدنيا بإعلاء ذكره وإظهار دينه وإبقاء شريعته ، وفي الآخرة بإجزال مثوبته وتشفيعه في أمته وإبداء فضيلته بالمقام المحمود ، وعلى هذا فالمراد بقوله تعالى ﴿ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ ﴾ أدعوا ربكم بالصلاة عليه »[2] .

فالصلاة منا عليه ﷺ تتضمن ثناء المصلي عليه والإشارة بذكر شرفه وفضله[3] وإرادة من الله تعالى أن يعلي ذكره ويزيده تعظيمًا وتشريفًا[4] وسيأتي مزيد تفصيل لهذا الموضوع في الفصل الثالث من هذا الباب بإذن الله تعالى .

ومن تعظيم اللسان كذلك أن نتأدب عند ذكره بألسنتنا وذلك بأن نقرن ذكر اسمه بلفظ النبوة أو الرسالة مع الصلاة والسلام عليه ﷺ .

قال تعالى : ﴿ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ﴾[5] فأمر

---

(١) الآية (٥٦) من سورة الأحزاب .

(٢) المنهاج في شعب الإيمان (٢ / ١٣٤) بتصرف يسير .

(٣) جلاء الأفهام (ص ٧٨) .

(٤) جلاء الأفهام (ص ٧٩) .

(٥) الآية (٦٣) من سورة النور .

سبحانه أن لا يدعى رسوله بما يدعو الناس بعضهم بعضا بل يقال : يارسول الله يانبي الله ولا يقال يامحمد وقد كان الصحابة لا يخاطبونه إلا بـ « يارسول الله ، يا نبي الله » .

وإذا كان هذا في حياته فهكذا في مغيبه لا ينبغي أن يجعل ذكره من جنس ما يذكر به غيره ، بل يجب أن يقرن ذكره بالنبوة أو الرسالة وأن يدعى له بأشرف دعاء وهو الصلاة عليه ﷺ[1] . فهذا من التعظيم الواجب له ﷺ

وفي الحديث « رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل عليّ »[2] .

وفي الحديث الآخر « البخيل من ذكرت عنده فلم يصل عليّ »[3] .

ومن تعظيم اللسان تعداد فضائله وخصائصه ومعجزاته ودلائل نبوته وتعريف الناس بسنته وتعليمهم إياها وتذكيرهم بمكانته ومنزلته وحقوقه ، وذكر صفاته وأخلاقه وخلاله ، وما كان من أمر دعوته وسيرته وغزواته والتمدح بذلك شعرًا ونثرًا ، بشرط أن يكون ذلك في حدود ما أمر به الشارع الكريم ، مع الابتعاد عن مظاهر الغلو والإطراء المحظور .

وأما تعظيم الجوارح له ﷺ : فهو العمل بشريعته ، والتأسي بسنته ، والأخذ بأوامره ظاهرًا وباطنًا ، والتمسك بها والحرص عليها ، وتحكيم ما جاء به في

(١) جلاء الأفهام (ص ٨٠) بتصرف .

(٢) أخرجه الترمذي في السنن ، كتاب الدعوات ، باب قول رسول الله ﷺ « رغم أنف رجل » (٥ / ٥٥٠) ح ٣٥٤٥ وأخرجه ابن حبان في صحيحه . انظر موارد الظمآن (٢٣٨٧) .
وأخرجه الحاكم في المستدرك (١ / ٥٤٩) .
وأخرجه إسماعيل القاضي في فضل الصلاة على النبي ﷺ (ص ٨ - ٩ - ١٠) ح ١٥ - ١٦ - ١٧ - ١٨ - ١٩ ، وقال الألباني في تعليقه عليه : « حديث صحيح بشواهده » .

(٣) تقدم تخريجه ص ٣٢٨

الأمور كلها ، والرضا بحكمه والتسليم له ، والسعي في إظهار دينه ، ونصر ما جاء به ، وتبليغ رسالته للناس ودعوتهم للإيمان به والذب عن سنته والدفاع عنها وتعلمها وتعليمها وخدمتها ، والموالاة والمعاداة والحب والبغض لأجله ، وجهاد من خالفه .

والاجتناب عما نهي عنه وزجر ، والبعد عن معصيته ومخالفته والحذر من ذلك ، والتوبة والاستغفار عما وقع فيه الزلل والتقصير .

فاللّه سبحانه وتعالى هو الذي جعل لنبيه ﷺ هذه المنزلة في حياة المسلمين ، فقد أوجب علينا طاعته وحرم علينا معصيته وجعله الآمر الناهي والسيد المطاع الذي لا يرد له أمر ، ولا يخالف له رأي فمن أطاعه فقد أطاع اللّه ، لأن الأمة لا يصلون ما بينهم وبين ربهم إلا بواسطة الرسول ، فليس لأحد منهم طريق غيره ولا سبب سواه ، وقد أقامه اللّه مقام نفسه في أمره ونهيه وإخباره وبيانه .

قال تعالى : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا ﴾[(١)]

وقال تعالى : ﴿ مَن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾[(٢)]

وقال تعالى : ﴿ وَأَطِيعُوا ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[(٣)]

وقال تعالى : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[(٤)]

وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ

---

(١) الآية (٧) من سورة الحشر .

(٢) الآية (٨٠) من سورة النساء .

(٣) الآية (١٣٢) من سورة آل عمران .

(٤) الآية (٦٥) من سورة النساء .

بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[١]

فهذه الآيات وغيرها تبين عظم أمر اتباع النبي ﷺ في حياة المؤمنين ، وأنه هو البرهان العملي على صدق الإيمان والمحبة والتعظيم للَّه تعالى ولنبيه ﷺ .

فالطاعة والاتباع هما سمة المؤمنين الصادقين وسبيلهم الدائم ، ذلك لأن الإيمان (هو حقيقة مركبة من معرفة ما جاء به الرسول ﷺ علمًا ، والتصديق به عقدًا والإقرار به نطقًا ، والإنقياد له محبة وخضوعًا ، والعمل به ظاهرًا وباطنًا وتنفيذه والدعوة إليه حسب الإمكان .

وكماله الحب في اللَّه ، والبغض في اللَّه ، والعطاء للَّه والمنع للَّه ، وأن يكون اللَّه وحده معبوده .

والطريق إليه تجريد متابعة رسول اللَّه ﷺ ظاهرًا وباطنًا ، وتغميض عين القلب عن الالتفات إلى غير اللَّه)[٢] .

وبالجملة فإن التعظيم النافع هو تصديق النبي ﷺ فيما أخبر وطاعته فيما أمر والانتهاء عما نهي عنه وزجر وألا يعبد اللَّه إلا بما شرع .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه اللَّه : « وإنما تعظيم الرسل بتصديقهم فيما أخبروا به عن اللَّه وطاعتهم فيما أمروا به ومتابعتهم ومحبتهم وموالاتهم ... »[٣]

فالاتباع هو المحك الذي يميز من خلاله مدى صدق مدعي التعظيم في دعواه تلك .

إذ كيف يعقل أو يتخيل أن يدعي شخص تعظيم النبي وتوقيره وهو لا يلتزم بما جاء به من أمر أو نهي ، ولا يقيم وزنًا ولا اعتبارًا لما جاء به .

---

(١) الآية (٥١) من سورة النور .

(٢) منزلة السنة في التشريع الإسلامي (ص ٤ - ٥) وعزاه لابن القيم ولم أقف عليه في كتبه .

(٣) كتاب الرد على الأخنائي (ص ٢٤ ، ٢٥) .

ولقد جعل اللّٰه الإتباع هو برهان محبته سبحانه حيث قال : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[١] .

وجعله كذلك شرطًا للإيمان الذي يعد تعظيم النبي ﷺ جزءًا منه ، قال تعالى : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[٢]

فالاتباع صفة من صفات أهل الإيمان كما قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[٣]، وقال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾[٤] .

فهل الموقر لرسول اللّٰه ﷺ إلا من تمسك بسنته واعتصم بها وسار على نهجه واقتفى أثره .

فأتباع كل نبي ومحبوه ومعظموه هم الذين أخذوا بسنته واقتدوا بأمره كما جاء في الحديث عنه ﷺ أنه قال : « ما من نبي بعثه اللّٰه في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون مالا يفعلون ويفعلون مالا يؤمرون فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة

---

(١) الآية (٣١) من سورة آل عمران .

(٢) الآية (٦٥) من سورة النساء .

(٣) الآية (٥١) من سورة النور .

(٤) الآية (٣٦) من سورة الأحزاب .

خردل »[١] .

فالنبي ﷺ بين لنا صفة أتباع الأنبياء بأنهم هم الذين عظموا أمرهم وأخذوا بسنتهم وعملوا بأوامرهم .

وأما من عداهم فهم ليسوا بأتباع لهم وإنما هم أناس يستحقون المجاهدة ويستفاد من قوله ﷺ « يقولون مالا يفعلون » ؛ أن مجرد الدعوى القولية المجردة عن الفعل الذي أمر به الشارع لا تغني صاحبها شيئًا .

ويستفاد من قوله « ويفعلون مالا يؤمرون » أن الأفعال المبتدعة التي لم يأمر بها الشارع هي كذلك لا تنفع صاحبها ولا تغني عنه من الله شيئًا .

وهذا الوصف ينطبق تماما على أصحاب البدع المقيمين للموالد وغيرها من البدع ، زاعمين أنهم ما فعلوا تلك الأمور إلا محبةً للرسول ﷺ وتعظيما لشأنه ، فهم فعلوا ما لم يؤمروا به ، وأفعالهم وأحوالهم لا تطابق أقوالهم ، ولو بحثنا عن وصف نصف به هؤلاء لم نجد أبلغ من هذا الوصف « يقولون مالا يفعلون ويفعلون مالا يؤمرون » .

وليتهم قاموا بما أوجب الله عليهم وشرعه لهم على لسان رسوله ﷺ لكان خيرا لهم وأجدى . ولكنهم أناس أوقعوا أنفسهم في محاذير متعددة منها :

١ ـ أنهم فعلوا ما لم يؤمروا به وهم معترفون بأن تلك الموالد والأمور التي تفعل فيها لم يشرعها الله في كتابه ولم يشرعها رسوله ﷺ ولم يفعلها أحد من أصحابه رضوان الله عليهم .

٢ ـ أنهم خالفوا أمر الرسول ﷺ حيث أمرهم بالاتباع وترك الابتداع فقد

---

(١) تقدم تخريجه ص ١٨٨

قال ﷺ « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد »[١] والله تعالى يقول : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾[٢]

٣ ـ أنهم رغبوا عن سنن المصطفى ورضوا بما أملته عليهم أهواؤهم ورسول الله ﷺ يقول : « فمن رغب عن سنتى فليس مني »[٣] .

فالإحداث في شريعته ﷺ يعد رغبة عن سنته وهذا ما دلت عليه القصة الواردة في الحديث السابق .

٤ ـ أنهم بفعلهم للمولد وغيره من البدع لم يعظموا الرسول ﷺ إنما اتهموه بأنه لم يدلهم على هذا الخير الذي جاؤوا به ، وفي هذا يقول الإمام مالك : « من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمدًا خان الرسالة ، لأن الله يقول : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم ﴾ فما لم يكن يومئذ دينًا فلا يكون اليوم دينًا .

والأمر الذي ينبغي معرفته أن النصوص قد دلت على أنه بقدر ما يكون المرء متبعا لسنة المصطفى ﷺ ومتمسكا بها بقدر ما يكون معظمًا وموقرًا له والعكس بالعكس .

« هذا وإن كثيرًا من الناس يعظمون الرسول ويعتقدون أنه من أفضل الناس ، ولكن يقولون إنه لا يجب عليهم اتباعه وطاعته بل لهم طريق إلى الله تغنيهم عنه .

وقد يقولون إن طريقهم أفضل من طريقه كما يعتقد كثير من اليهود والنصارى أنه كان مبعوثًا إلى الأميين لا إليهم فهم يعظمونه ظاهرًا وباطنًا لكن

---

(١) تقدم تخريجه ص ١٩٠ .

(٢) الآية (٧) من سورة الحشر .

(٣) تقدم تخريجه ص ١٩٥ .

يقولون لا يجب علينا اتباعه وهؤلاء كفار بإجماع المسلمين .

وكذلك كثير ممن يظهر الإسلام يثبتون نبوته على رأي الفلاسفة ، وأنه كان صاحب قوة قدسية ، وقد يفضلونه على جميع الخلق ، ومع هذا لا يقرون بما جاء به ولا يوجبون على أنفسهم اتباعه ظاهرًا وباطنًا ، ويقولون هو رسول إلى العامة أو إلى الجميع في الشرائع الظاهرة دون الحقائق الباطنة والحقائق العقلية كما يقول مثل هذا كثير ممن يظهر الإسلام »(١) .

فمثل هذا الصنف لا ينفعه هذا التعظيم لافتقاره للاتباع الذي هو لب التعظيم وجوهره .

○ ○ ○ ○

---

(١) الرد على الأخنائي (ص ٣٧) .

المطلب الثاني

توقير النبي ﷺ في آله وأزواجه أمهات المؤمنين

إن من توقير النبي ﷺ ورعاية جنابه وتبجيله وتعظيمه توقير آله وذريته وأزواجه ، كما حض عليه ﷺ وسلكه السلف الصالح رضوان اللّٰه عليهم .

١ ـ فآل بيت النبي ﷺ لهم من الحقوق ما يجب رعايتها فإن اللّٰه جعل لهم حقا في الخمس والفيء قال تعالى : ﴿ وَٱعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَامَىٰ وَٱلْمَسَاكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِٱللَّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[١]

وقال تعالى : ﴿ مَّا أَفَاءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَامَىٰ وَٱلْمَسَاكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾[٢] .

وأمر بالصلاة عليهم مع الصلاة على رسول اللّٰه ﷺ .

ففي الحديث عن كعب بن عجرة[٣] رضي اللّٰه عنه قال : خرج علينا رسول اللّٰه ﷺ فقلنا قد عرفنا كيف نسلم عليك فكيف نصلي عليك ؟ قال : « قولوا : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم إنك حميد مجيد ، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على

---

(١) الآية (٤١) من سورة الأنفال .

(٢) الآية (٧) من سورة الحشر .

(٣) كعب بن عجرة بن أمية البلوي ويقال القضاعي ، حليف الأنصار ، صحابي مشهور ، مات بعد الخمسين وله نيف وسبعون سنة . الإصابة (٣ / ٢٨١ ، ٢٨٢) .

آل إبراهيم إنك حميد مجيد »[١] .

فالصلاة على آل محمد حق لهم عند المسلمين ، وذلك سبب لرحمة الله تعالى لهم بهذا النسب .

كما تجب محبتهم لحب رسول الله ﷺ لهم ، ولأن محبتهم من محبة رسول الله ﷺ . وأن نتولاهم ونحفظ فيهم وصية رسول الله ﷺ حيث قال في يوم غدير خم : « وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي ، أذكركم الله في أهل بيتي .. » الحديث[٢] .

قال ابن كثير رحمه الله تعالى : « ولا تنكر الوصاة بأهل البيت والأمر بالاحسان إليهم واحترامهم وإكرامهم فإنهم من ذرية طاهرة من أشرف بيت وجد على ظهر الأرض فخرًا وحسبًا ونسبًا ولاسيما إذا كانوا متبعين للسنة النبوية الصحيحة الواضحة الجلية كما كان عليه سلفهم كالعباس وبنيه وعلي وأهل بيته وذريته رضي الله عنهم أجمعين »[٣] .

وقال ابن تيمية رحمه الله : « ولا ريب أن لآل محمد ﷺ حقا على الأمة لا يشركهم فيه غيرهم ، ويستحقون من زيادة المحبة والموالاة مالا يستحقه سائر بطون قريش ، كما أن قريشًا يستحقون من المحبة والموالاة مالا يستحقه غير قريش من القبائل ، كما أن جنس العرب يستحق من المحبة والموالاة مالا

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب التفسير ، باب ﴿ إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ﴾ انظر : فتح الباري (٨ / ٥٣٢) . وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الصلاة ، باب الصلاة على النبي ﷺ بعد التشهد . انظر : (٢ / ١٦) .

(٢) تقدم تخريجه ص ٣٤٥ .

(٣) تفسير ابن كثير (٤ / ١١٣) .

يستحقه سائر أجناس بني آدم ، وهذا على مذهب الجمهور الذين يرون فضل العرب على غيرهم ، وفضل قريش على سائر العرب وفضل بني هاشم على سائر قريش ، وهذا هو المنصوص عن الأئمة كأحمد وغيره[1] .

---

(١) هذا من تفضيل الجملة على الجملة وهو لا يقتضي تفضيل كل فرد على كل فرد فالعرب في الأجناس ، وقريش فيها ثم هاشم في قريش ، مظنة أن يكون فيهم من الخير أعظم مما يوجد في غيرهم ، ولهذا كان في بنى هاشم النبي ﷺ الذي لا يماثله أحد في قريش فضلا عن وجوده في سائر العرب وغير العرب ، وكان في قريش الخلفاء الراشدون وسائر العشرة وغيرهم ممن لا يوجد له نظير في العرب وغير العرب ، وكان في العرب من السابقين الأولين من لا يوجد له نظير في سائر الأجناس . فلابد أن يوجد في الصنف الأفضل ما لا يوجد مثله في المفضول . وقد يوجد في المفضول ما يكون أفضل من كثير مما يوجد في الفاضل كما أن الأنبياء الذين ليسوا من العرب أفضل من العرب الذين ليسوا بأنبياء ، والمؤمنون المتقون من غير قريش أفضل من القرشيين الذين ليسوا مثلهم في الإيمان والتقوى ، وكذلك المؤمنون المتقون من قريش وغيرهم أفضل ممن ليس مثلهم في الإيمان والتقوى من بني هاشم . فهذا هو الأصل المعتبر في هذا الباب دون من ألغى فضيلة الأنساب مطلقا ودون من ظن أن الله تعالى يفضل الإنسان بنسبه على من هو مثله في الإيمان والتقوى ، فضلا عمن هو أعظم إيمانا وتقوى ، فكلا القولين خطأ وهما متقابلان ، بل الفضيلة بالنسب فضيلة جملة وفضيلة لأجل المظنة والسبب .

والفضيلة بالإيمان والتقوى فضيلة تعيين وتحقيق وغاية .

فالأول : يفضل به لأنه سبب وعلامة ، ولأن الجملة أفضل من جملة تساويها في العدد .

والثاني : يفضل به لأنه الحقيقة والغاية ، ولأن كل من كان أتقى لله كان أكرم عند الله ، والثواب من الله يقع على هذا ، لأن الحقيقة قد وجدت ، فلم يعلق الحكم بالمظنة ، ولأن الله تعالى يعلم الأشياء على ما هي عليه ، فلا يستدل بالأسباب والعلامات

فالاعتبار العام هو التقوى كما قال تعالى : ﴿ إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ الآية (١٣) من سورة الحجرات . فكل من كان أتقى كان أفضل مطلقا ، وإذا تساوى اثنان في التقوى استويا في الفضل سواء كانا أو أحدهما عربيين أو أعجميين ، أو قرشيين أو هاشميين أو كان أحدهما من صنف والآخر من صنف ، وإن قدر أن أحدهما له من سبب الفضيلة ومظنتها ما ليس للآخر ، فإذا كان ذلك قد أتى بحقيقة الفضيلة كان أفضل ممن لم يأت بحقيقتها ، وإن كان أقدر على =

والنصوص دلت على هذا القول ، كقوله ﷺ : « إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل ، واصطفى قريشًا من كنانة ، واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم »[1] .

وكقوله في الحديث الصحيح : « الناس معادن كمعادن الذهب والفضة خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا »[2] وأمثال ذلك »[3]

وعن أبي بكر الصديق رضى الله عنه قال : « أرقبوا محمدًا ﷺ في أهل بيته »[4]

فأهل البيت يتولاهم جميع المؤمنين ويحبونهم لا كما يزعم الروافض أنهم المخصوصون بحب أهل البيت وحدهم أن غيرهم هم الذين ظلموهم ، فالحقيقة أن الروافض هم الذين ظلموا أهل البيت ظلمًا لا نظير له فهم الذين خذلوهم وغروهم ، وتسببوا في رد كثير من روايات أهل البيت بسبب ما اشتهر عن أولئك الروافض من الكذب على آل البيت .

وإضافة إلى ذلك فإن الروافض يحصرون محبتهم في نفر قليل من أهل البيت مع أن الصالحين من أهل البيت الذين تبغضهم الروافض وتذمهم أكثر عددًا من الذين يتظاهرون بحبهم .

= الإتيان بها ، فالعالم خير من الجاهل ، وإن كان الجاهل أقدر على تحصيل العلم .
انظر : منهاج السنة (٤ / ٦٠٢ - ٦٠٣ - ٦٠٤ - ٦٠٨) بتصرف .

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الفضائل ، باب فضل نسب النبي ﷺ (٧ / ٥٨) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الأنبياء ، باب قوله تعالى ﴿ واتخذ الله إبراهيم خليلا ﴾ فتح الباري (٦ / ٣٨٧) ح ٣٣٥٣ ، وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب البر والصلة والآداب باب الأرواح جنود مجندة (٨ / ٤١ ، ٤٢) واللفظ له .

(٣) منهاج السنة النبوية (٤ / ٥٩٩) .

(٤) تقدم تخريجه ص ٣٤٥ .

٢ ـ أما زوجات النبي ﷺ رضوان الله عليهن أجمعين فيجب علينا أن نحفظ لهن حقهن في الحرمة والاحترام والتوقير والإكرام ، والإعظام ، والمكانة التي جعل الله لهن . فلقد رفع الله مقامهن وبوأهن أعلى منزلة عند جميع المؤمنين وهي منزلة الأمومة ، فجعلهن أمهات في التحريم والاحترام فقد قال تعالى : ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُۥٓ أُمَّهَاتُهُمْ ﴾[١] .

قال القرطبي عند تفسيره لهذه الآية : « شرف الله تعالى أزواج نبيه ﷺ بأن جعلهن أمهات المؤمنين ، أي في وجوب التعظيم والمبرة والإجلال وحرمة النكاح على الرجال ، وحجبهن رضي الله تعالى عنهن ، بخلاف الأمهات »[٢].

وكيف لا تكون لهن هذه المنزلة وتلك المكانة وهن اللآتي اخترن الله ورسوله والدار الآخرة عندما نزلت آيتا التخيير قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَاةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا * وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾[٣]

وبعد اختيارهن رضي الله تعالى عنهن الله ورسوله والدار الآخرة كرمهن الله تبارك وتعالى وكافأهن على اختيارهن أحسن تكريم وأعظم مكافأة . فكان لهن ما أعد الله لهن من الأجر العظيم ، ثم ميزهن عن نساء العالمين في العذاب والأجر ، ثم أبانهن منهن فقال : ﴿ يَا نِسَاءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَاءِ ﴾[٤]

---

(١) الآية (٦) من سورة الأحزاب .

(٢) تفسير القرطبي (١٤ / ١٢٣) .

(٣) الآيتان (٢٨ ، ٢٩) من سورة الأحزاب .

(٤) الآية (٣٢) من سورة الأحزاب .

يعني في الفضل والشرف ، وذلك لما منحهن الله من صحبة نبيه ﷺ وعظيم المحل منه ونزول القرآن في حقهن[1] .

ولقد تضمنت سورة الأحزاب كثيرًا من الأمور التي أكرم الله بها أزواج النبي ﷺ مجازاة لهن على حسن صنيعهن في اختيارهن لله ورسوله والدار الآخرة والمقام هنا لا يسمح بالتوسع في ذكر هذه الأمور ، وإنما المقصود تبيين مالهن من مكانة عند الله وعند رسوله ﷺ . فمن حقهن علينا أن نحفظ لهن هذه المكانة ، وذلك بأن نتولاهن ، وأن نثني عليهن بما ورد من فضائلهن وما كان لهن من دور في مؤازرة النبي ﷺ ونصرته ، وما كان لهن من دور بعد وفاته في حفظ مسائل الدين ونشرها بين الأمة .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « ومن أصول أهل السنة والجماعة أنهم يتولون أزواج رسول الله ﷺ أمهات المؤمنين ويؤمنون بأنهن أزواجه في الآخرة ، خصوصا خديجة رضي الله عنها أم أكثر أولاده ، وأول من آمن به وعاضده على أمره وكان له منها المنزلة العالية . والصديقة بنت الصديق رضي الله عنهما ، التي قال فيها النبي ﷺ : « فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام »[2] [3] .

فمن الواجب أن ننشر هذه الفضائل ونعلمها ، وبخاصة لنسائنا حتى يكون لهن في ذلك الأسوة والقدوة .

---

(١) تفسير القرطبي (١٤ / ١٧٧) بتصرف .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ ، باب فضل عائشة رضي الله عنها . فتح الباري (٧ / ١٠٦) ح ٣٧٧٠ ، وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب فضائل الصحابة ، باب في فضل عائشة رضي الله تعالى عنها (٧ / ١٣٨) .

(٣) مجموع الفتاوى (٣ / ١٥٤) .

المطلب الثالث

توقيره ﷺ في أصحابه رضوان الله عليهم

ومن توقيره وبره ﷺ توقير أصحابه وبرهم ومعرفة حقهم والاقتداء بهم ، وحسن الثناء عليهم ، والاستغفار لهم ، والإمساك عما شجر بينهم ، ومعاداة من عاداهم ، والإضراب عن أخبار المؤرخين ، وجهلة الرواة ، وضلال الشيعة والمبتدعين ، القادحة في أحد منهم ، وأن نلتمس لهم فيما نقل عنهم من مثل ذلك فيما كان بينهم من الفتن أحسن التأويلات ويخرج لهم أصوب المخارج ، إذ هم أهل لذلك ، ولا يذكر أحد منهم بسوء ولا يغمص[1]عليه أمر ، بل تذكر حسناتهم وفضائلهم ، وحميد سيرتهم ، ويسكت عما وراء ذلك[2].

فهم أناس قد اختارهم الله وشرفهم بصحبة نبيه ﷺ وخصهم في الحياة الدنيا بالنظر إلى النبي ﷺ وسماع حديثه من فمه الشريف وتلقي الشريعة وأمور الدين عنه وتبليغ ما بعث الله به رسوله من النور والهدى على أكمل الوجوه وأتمها . فكان لهم الأجر العظيم لصحبتهم رسول الله ﷺ والجهاد معه في سبيل الله وأعمالهم الجليلة في نشر الإسلام والدعوة إليه ، ولهم من الأجر مثل أجور من بعدهم لأنهم الواسطة بينهم وبين رسول الله ﷺ ومن دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا .

ولقد أوجبت الحال التي كانوا عليها من الهجرة والجهاد والنصرة وبذل المهج والأموال وقتل الآباء والأولاد والمناصحة في الدين وقوة الإيمان واليقين ، القطع

---

(١) لا يغمص : لا يعاب ولا ينقص في أمر من أموره . النهاية (٣ / ٣٨٦) .

(٢) الشفا (٢ / ٦١١ ، ٦١٢) .

على عدالتهم وأنهم أفضل من جميع المعدلين والمزكين الذين يجيؤون بعدهم أبد الآبدين .

ولقد أثنى ربهم عليهم أحسن الثناء ورفع ذكرهم في التوراة والإنجيل والقرآن ووعدهم المغفرة والأجر العظيم فقال تعالى : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾[١]

وأخبر في آية أخرى برضاه عنهم ، ورضاهم عنه فقال : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ﴾[٢]ثم بشرهم بما أعدلهم فقال : ﴿ وأعد لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدًا ذلك الفوز العظيم ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾[٣]

وأمر النبي ﷺ بالعفو عنهم والاستغفار لهم فقال : ﴿ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ ﴾[٤]

وأمره بمشاورتهم تطييبا لقلوبهم ، وتنبيها لمن بعدهم من الحكام على المشاورة في الأحكام فقال : ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ﴾[٥].

---

(١) الآية (٢٩) من سورة الفتح .
(٢) الآية (١٠٠) من سورة التوبة .
(٣) الآية (١٨) من سورة الفتح .
(٤) الآية (١٥٩) من سورة آل عمران .
(٥) الآية (١٥٩) من سورة آل عمران .

وندب من جاء بعدهم إلى الاستغفار لهم ، وأن لا يجعلوا في قلوبهم غلًّا للذين آمنوا فقال : ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[١]

وأثنى رسول اللّٰه ﷺ عليهم ونهى عن النيل منهم فقد قال ﷺ : « لا تسبوا أصحأبي ، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه »[٢].

كما شهد ﷺ بكونهم خير أمته التي هي خير الأمم فقال ﷺ : « خير الناس قرني »[٣] .

وقال ﷺ : « خير أمتي القرن الذي بعثت فيهم[٤] » فهذ بعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الدالة على فضل أولئك الأخيار الذين اختارهم اللّٰه لصحبة نبيه وشرفهم بحمل رسالته من بعده والدعوة إلى سبيله ونصرة دينه .

فالصحابة كلهم عدول بتعديل اللّٰه لهم وثنائه عليهم وثناء رسوله ﷺ .

قال النووي : « الصحابة كلهم عدول من لابس الفتن وغيرهم بإجماع من يعتد به »[٥] .

---

(١) الآية (١٠) من سورة الحشر .

(٢) تقدم تخريجه ص ٣٥٣ .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الشهادات باب لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد . انظر : فتح الباري (٥ / ٢٥٩) ح ٢٦٥٢ . وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب فضائل الصحابة ، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم . انظر (٧ / ١٥٨) .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ ، باب فضائل أصحاب النبي ﷺ . انظر : فتح الباري (٧ / ٣) ح ٣٦٥٠ ، وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب فضائل الصحابة ، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم (٧ / ١٨٥) .

(٥) تدريب الراوي (٢ / ٢١٤) .

وقال ابن حجر : « اتفق أهل السنة على أن الجميع عدول ولم يخالف في ذلك إلا شذوذ من المبتدعة »[١] .

وعن أبي زرعة قال : « إذا رأيت الرجل ينتقص أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق ، وذلك أن رسول الله ﷺ عندنا حق ، والقرآن حق ، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنن أصحاب رسول الله ﷺ ، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة والجرح بهم أولى وهم زنادقة »[٢] .

ومذهب أهل السنة والجماعة في الصحابة وسط بين الإفراط والتفريط فليسوا من المفرطين الغالين الذين يرفعون من يعظمون منهم إلى مالا يليق إلا بالله أو برسله . وليسوا من المفرطين الجافين الذين ينتقصونهم ويسبونهم فهم وسط بين الغلاة والجفاة .

ويحبونهم جميعًا وينزلونهم منازلهم التي يستحقونها بالعدل والإنصاف فلا يرفعونهم إلى مالا يستحقون ، ولا يقصرون بهم عما يليق بهم ، فألسنتهم رطبة بذكرهم بالجميل اللائق بهم ، وقلوبهم عامرة بحبهم ، وما صح فيما جرى بينهم من خلاف فهم فيه مجتهدون إما مصيبون ولهم أجر الاجتهاد وأجر الإصابة ، وإما مخطئون ولهم أجر الاجتهاد وخطؤهم مغفور ، وليسوا معصومين ، بل هم بشر يصيبون ويخطئون ، ولكن ما أكثر صوابهم بالنسبة لصواب غيرهم ، وما أقل خطأهم إذا نسب إلى خطأ غيرهم ولهم من الله المغفرة والرضوان .

---

(١) الإصابة (١ / ١٧) .

(٢) كتاب الكفاية (ص ٩٧) للخطيب البغدادي .

وكتب أهل السنة مليئة ببيان هذه العقيدة الصافية النقية في حق هؤلاء الصفوة المختارة من البشر لصحبة خير البشر ﷺ ورضى الله عنهم أجمعين[1] .

o o o o

(١) عقيدة أهل السنة والأثر في الصحابة الكرام رضي الله عنهم وأرضاهم (ص ٢٤ - ٢٥) تأليف الشيخ عبد المحسن العباد ، مقالة طبعت في مجلة الجامعة الإسلامية ، العدد الثاني ، السنة الرابعة .

المطلب الرابع

حفظ حرمة المدينة النبوية

إن من تعظيم النبي ﷺ تعظيم المدينة النبوية[١] التي هي دار المصطفى ومهاجره ، فقد اختارها اللَّه لنبيه ﷺ قرارًا ، وجعل أهلها شيعة له وأنصارًا .

وهي التي انتشر منها دين اللَّه وسنة رسوله ﷺ حتى وصل مشارق الأرض ومغاربها .

وهي التي ورد في فضلها وتعظيم شأنها وتحريمها وفضل بعض البقاع فيها الكثير من الأحاديث الثابتة الصحيحة والتي أُورد بعضًا منها ههنا على سبيل المثال لا الحصر .

فعن سفيان بن أبي زهير[٢]رضي اللَّه عنه أنه قال : سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول : « تفتح اليمن فيأتي قوم يبسون[٣] فيتحملون بأهلهم ومن أطاعهم والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون .

وتفتح الشام ، فيأتي قوم يبسون فيتحملون بأهلهم ومن أطاعهم والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون .

وتفتح العراق ، فيأتي قوم يبسون ، فيتحملون بأهلهم ومن أطاعهم والمدينة

---

(١) ذكر ذلك : البيهقي في الجامع لشعب الإيمان (٢ / ١٣٠) ، والقاضي عياض في الشفا (٢ / ٦١٩)

(٢) سفيان بن أبي زهير الأزدي ، من أزد شنوءة (بفتح المعجمة وبضم النون وبعد الواو همزة) من أصحاب النبي ﷺ . يعد في أهل المدينة . الإصابة (٢ / ٥٢) .

(٣) يقال بسست الناقة وأبسستها إذا سقتها وزجرتها وقلت لها بس بس بكسر الباء وفتحها . النهاية (١ / ١٢٧) .

خير لهم لو كانوا يعلمون »[١] .

وعن عبد الله بن زيد بن عاصم[٢] أن رسول الله ﷺ قال : « إن إبراهيم حرم مكة ودعا لأهلها وإني حرمت المدينة كما حرم إبراهيم مكة ، وإني دعوت في صاعها ومدها بمثلي ما دعا به إبراهيم لأهل مكة »[٣] .

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إني أحرم ما بين لابتي المدينة أن يقطع عضاهها أو يقتل صيدها » وقال : « المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون ، لا يدعها أحد رغبة عنها إلا أبدل الله فيها من هو خير منه ، ولا يثبت أحد على لأوائها وجهدها إلا كانت له شفيعا أو شهيدا يوم القيامة »[٤] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : كان الناس اذا رأوا أول الثمر جاؤا به إلى النبي ﷺ فإذا أخذه رسول الله ﷺ قال : « اللهم بارك لنا في ثمرنا وبارك لنا في مدينتنا وبارك لنا في صاعنا وبارك لنا في مدنا اللّهم إن إبراهيم عبدك

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب فضائل المدينة ، باب من رغب عن المدينة « واللفظ له » . انظر : فتح الباري (٤ / ٩٠) ح ١٨٧٥ ، وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الحج ، باب الترغيب في المدينة عند فتح الأمصار (٤ / ١٢٢) .

(٢) عبد الله بن زيد بن عاصم بن كعب الأنصاري المازنى ، صحابي شهير اختلف في شهوده بدرًا ، وشهد أحدًا وغيرها ، وشارك مع وحشي في قتل مسيلمة ، يقال قتل يوم الحرة سنة ثلاث وستين . الإصابة (٢ / ٣٠٥) .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب البيوع ، باب بركة صاع النبي ﷺ ومده . فتح الباري (٤ / ٣٤٦) ح ٢١٢٩ ، وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الحج ، باب فضل المدينة « واللفظ له » (٤ / ١١٢) .

(٤) أخرجه بهذا اللفظ مسلم في صحيحه ، كتاب الحج ، باب فضل المدينة (٤ / ١١٣) .

وخليلك ونبيك وإني عبدك ونبيك وإنه دعاك لمكة وإني أدعوك للمدينة بمثل ما دعاك لمكة ومثله معه قال ثم يدعو أصغر وليد له فيعطيه ذلك التمر »(١).

وعن أبي هريرة رضي اللّٰه عنه أيضا عن النبي ﷺ قال : « المدينة حرم فمن أحدث فيها حدثًا أو آوى محدثًا فعليه لعنة اللّٰه والملائكة والناس أجمعين لا يقبل منه يوم القيامة عدل ولا صرف »(٢).

وعنه رضي اللّٰه عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها »(٣).

وعن سعد بن أبي وقاص رضي اللّٰه عنه قال : سمعت النبي ﷺ يقول : « لا يكيد أهل المدينة أحد إلا انماع كما ينماع الملح في الماء »(٤).

وعن أبي هريرة رضي اللّٰه عنه قال : قال رسول اللّٰه ﷺ « صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه ، إلا المسجد الحرام »(٥).

وعنه رضي اللّٰه عنه عن النبي ﷺ قال : « ما بين بيتي ومنبري روضة من

---

(١) أخرجه بهذا اللفظ مسلم في صحيحه ، كتاب الحج ، باب فضل المدينة (٤ / ١١٦ ، ١١٧) .

(٢) أخرجه بهذا اللفظ مسلم في صحيحه ، كتاب الحج ، باب فضل المدينة (٤ / ١١٦) .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب فضائل المدينة ، باب الإيمان يأرز إلى المدينة . انظر : فتح الباري (٤ / ٩٣) ح ١٨٧٦ ، وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب بيان أن الإسلام بدأ غريبا (١ / ٩٠ - ٩١) .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب فضائل المدينة ، باب إثم من كاد أهل المدينة ، انظر : فتح الباري (٤ / ٩٤) ح ١٨٧٧، وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الحج ، باب من أراد أهل المدينة بسوء أذابه اللّٰه (٤ / ١٢٢) .

(٥) أخرجه البخاري ، كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة ، باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة . انظر : فتح الباري (٣ / ٦٣) ح ١١٩٠ ، وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الحج ، باب فضل الصلاة بمسجدي مكة والمدينة (٤ / ١٢٤) .

رياض الجنة ، ومنبري على حوضي »[١] .

والأحاديث في فضل المدينة كثيرة ومتنوعة ، ولقد أفرد البخاري في صحيحه كتابا لفضائل المدينة ، وكذا مسلم في صحيحه قد أورد في آخر كتاب الحج العديد من الأحاديث الواردة في شأن المدينة ، وكذا الحال عند أصحاب السنن والمسانيد .

والمقصود من تعظيم المدينة هو تعظيم حرمها وهذا أمر واجب في حق من سكن بها أو دخل فيها ، مع ما يجب على ساكنيها من مراعاة حق المجاورة وحسن التأدب فيها وذلك لما لها من المنزلة والمكانة عند الله وعند رسوله ﷺ . فإنها من المواطن التي عمرت بالوحي والتنزيل ، واشتملت تربتها على جسد سيد البشر وانتشر عنها من دين الله وسنن رسول الله ﷺ ما انتشر ، فهي مشاهد الفضائل والخيرات ومعاهد البراهين والمعجزات .

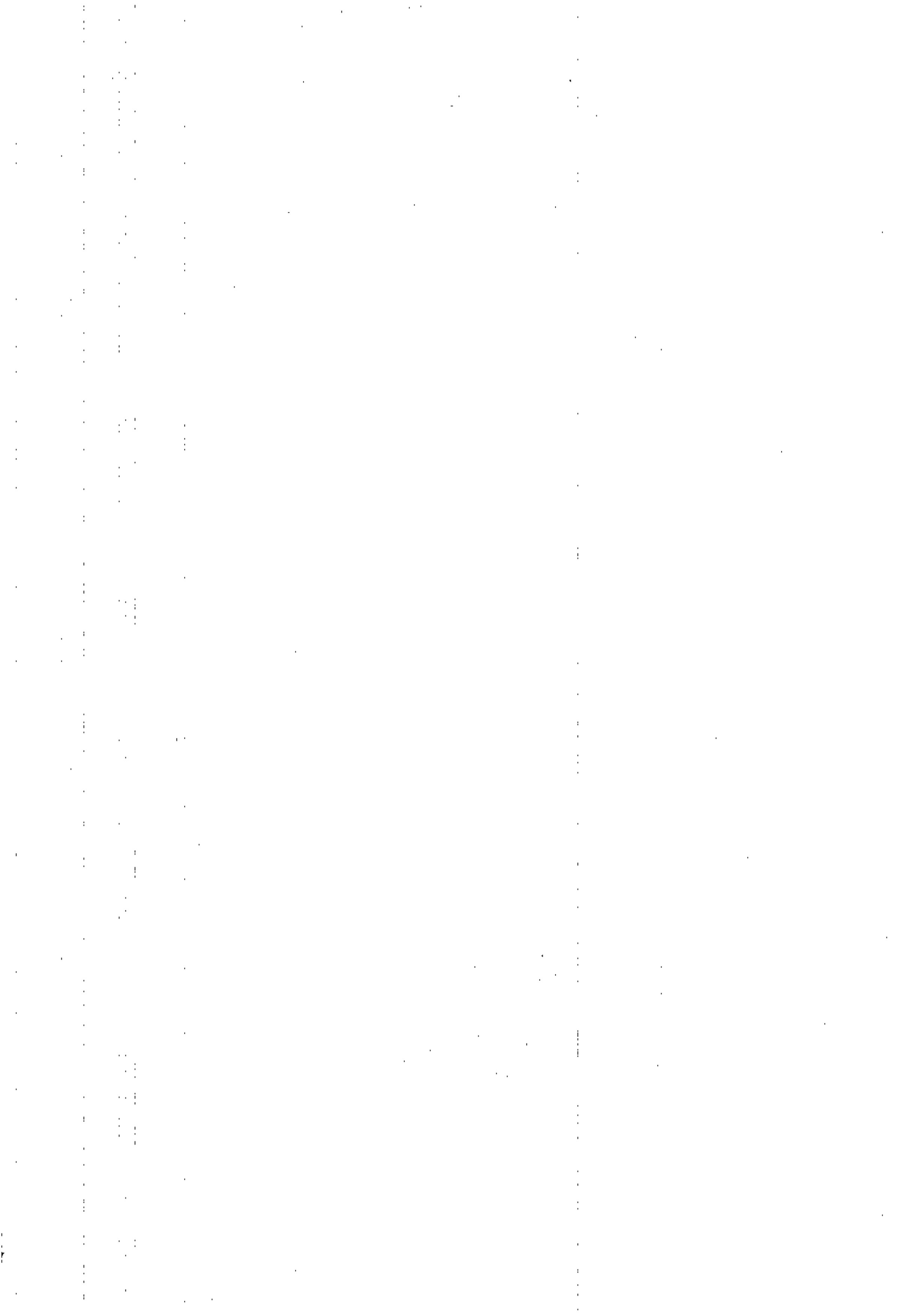
فحري بمن أكرمه الله بالإقامة فيها أن يتزود فيها من الأعمال الصالحة التي تنفعه بعد الموت ، وأن يحذر من الوقوع فيها بما يسخط الله عز وجل .

وفيما سبق ذكره من الأحاديث خير شاهد على فضل سكناها والترغيب في الإكثار من العمل الصالح فيها ، والتحذير من الإساءة والمعصية والإفساد فيها .

o o o o

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب فضائل المدينة ، باب ١٢
انظر : فتح الباري (٤ / ٩٩) ح ١٨٨٨ ، وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الحج ، باب ما بين القبر والمنبر روضة من رياض الجنة (٤ / ١٢٣) .



الفصل الثالث

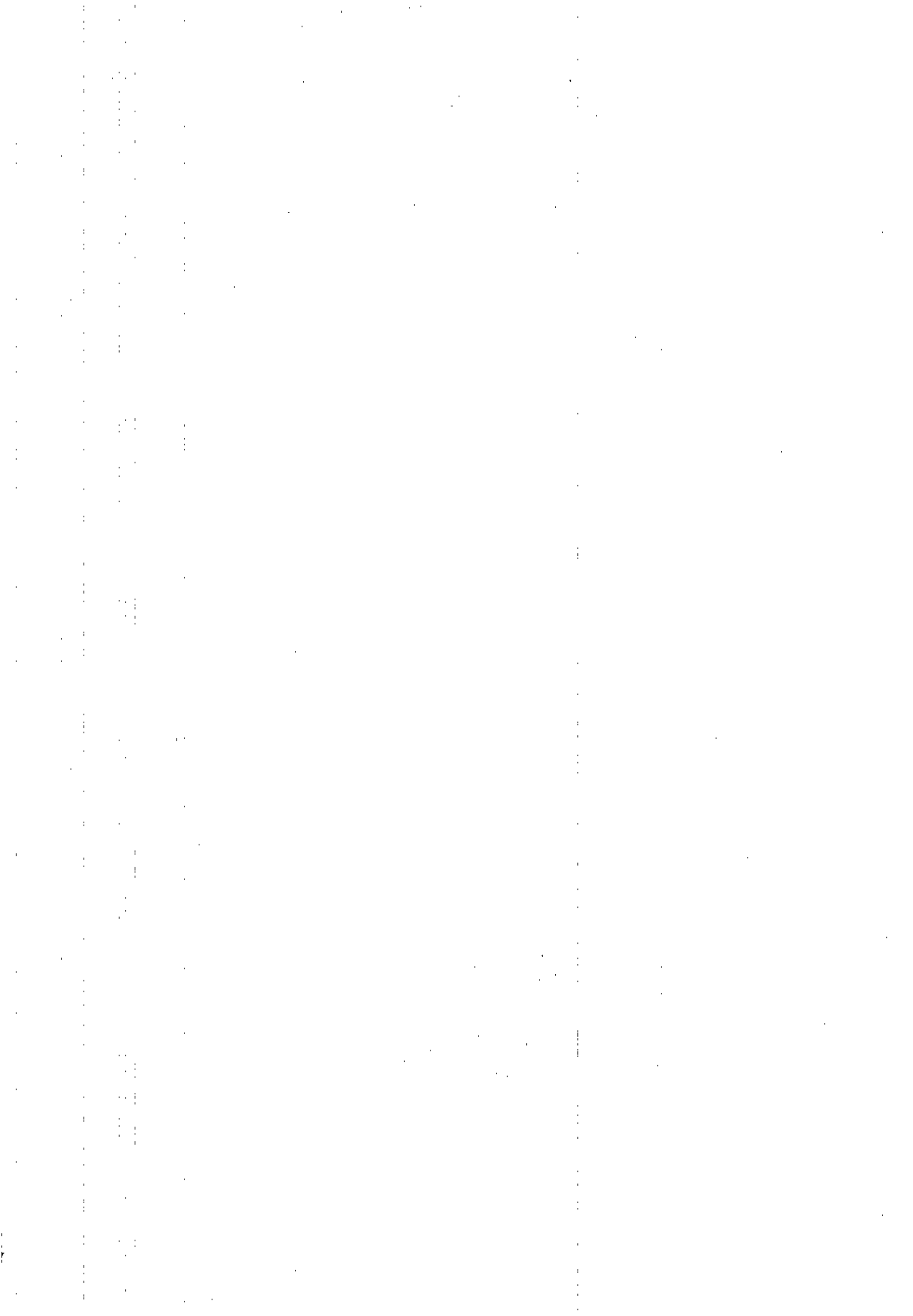
الصلاة والسلام عليه ﷺ

○ ويشتمل على تمهيد وثلاثة مباحث :

المبحث الأول : معنى الصلاة على النبي ﷺ .

المبحث الثاني : الأدلة على مشروعية الصلاة على النبي ﷺ وكيفيتها ومواطنها وفضلها .

المبحث الثالث : السلام عليه ﷺ .



تمهيد

سبق الحديث في الفصل الثاني ، من هذا الباب عن بعض الأمور التي يتعين على هذه الأمة أداؤها والقيام بها في باب تعظيم النبي ﷺ وتعزيره وتوقيره .

وفي هذا الفصل نتناول جانبا مهما من جوانب توقيره وتعظيمه ﷺ ، وذلك هو الصلاة والسلام عليه ﷺ

فقد أمرنا الباري تبارك وتعالى أن نصلي ونسلم على نبينا محمد ﷺ ، وذلك تشريف منه عز وجل لنبيه ورسوله ﷺ وإظهار للاحترام والتعظيم الذي شرعه في حقه فقد قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[1] فهذه الآية فيها من تعظيم النبي ﷺ والتنويه به ما ليس في غيرها ، وذلك بسبب ما فيها من تمييز للنبي ﷺ عند ذكره ، ولا شك أن ذلك فيه رفع لقدره وإعلاء لمكانته في حياته وبعد موته .

ولذلك فإن من أعظم شعب الإيمان الصلاة والسلام على النبي ﷺ محبة له وأداءً لحقه وتعظيمًا لقدره ، والمواظبة عليها من باب أداء شكره ﷺ ، وشكره واجب لعظمة الإنعام به ، فقد جعله اللّٰه سببا لنجاتنا من الجحيم ، ودخولنا في دار النعيم ، وإدراكنا الفوز بأيسر الأسباب ، ونيلنا السعادة من كل الأبواب .

وليست صلاتنا على النبي ﷺ شفاعة منا له فإن مثلنا لا يشفع لمثله ولكن اللّٰه أمرنا بالمكافأة لمن أحسن إلينا وأنعم علينا ، فإن عجزنا عنها كافيناه بالدعاء فأرشدنا اللّٰه - لما علم عجزنا عن مكافأة نبينا - إلى الصلاة عليه لتكون صلاتنا عليه مكافأة بإحسانه إلينا وإفضاله علينا إذ لا إحسان لمخلوق أفضل من إحسانه

---

(١) الآية (٥٦) من سورة الأحزاب .

ﷺ ، وكذلك فإن المقصود بصلاتنا على النبي ﷺ هو التقرب إلى الله تعالى بامتثال ما أمر به ، وقضاء لحق من حقوق المصطفى ﷺ التي أوجبها الله علينا فحق على هذه الأمة أن تعظم قدر نبيِّها وذلك بأن تكثر من الصلاة والسلام عليه ﷺ اتباعا لأمر ربها تبارك وتعالى وقياما بما لنبيها ﷺ من الحق عليها .

وقد اعتنى العلماء بهذه الخصيصة العظيمة فأفردوها بالتأليف وتناولوا في مؤلفاتهم تلك جوانب هذا الموضوع ، ومن أشهر تلك المؤلفات وأجمعها كتاب « جلاء الأفهام » في الصلاة والسلام على خير الأنام للعلامة ابن القيم ، بل هو أشهرها وأحسنها .

ومن تلك المؤلفات كتاب القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع للسخاوي[١] المتوفى سنة ٩٠٢ هـ وقد ختم كتابه هذا ببيان الكتب المصنفة في الصلاة على النبي ﷺ وذكر جملة كبيرة من هذه الكتب مرتبة[٢] .

○ ○ ○ ○

(١) محمد بن عبد الرحمن بن محمد شمس الدين السخاوي ، مؤرخ حجة وعالم بالحديث والتفسير والأدب ، وصنف زهاء مئتي كتاب ، توفي بالمدينة . الأعلام (٦ / ١٩٤) .

(٢) انظر : القول البديع (ص ٢٥٨ - ٢٥٩) .

المبحث الأول

معنى الصلاة على النبي ﷺ

○ وفيه مطلبان :

المطلب الأول : المعنى اللغوي للفظة « الصلاة » .

المطلب الثاني : المعنى الشرعي لصلاة اللّه عز وجل على نبيه ﷺ .

● ● ● ●

المطلب الأول

المعنى اللغوي للفظة « الصلاة »

قال الخليل بن أحمد[١] الصلاة : ألفها واو لأن جماعتها الصلوات ولأن التثنية صلوان »[٢] .

ومادة (ص . ل . و) وردت في اللغة لمعان منها :

١ـ « الصلاة » :

وهو وسط الظهر لكل ذي أربع وللناس . وقيل : ما انحدر من الوركين[٣] .

قال الخليل بن أحمد : « والصلاه ، وسط الظَّهْر لكل ذي أربع وللناس وكل أنثى إذا ولدت انفرج صلاها قال :

كأن صلا جهيزة حين قامت * حباب الماء يتبع الحبابا

وإذا أتى الفرس على أثر الفرس السابق قيل : صلى ، وجاء مصليا لأن رأسه يتلو الصلا بين يديه »[٤] .

وقال الأزهري : « وقال أهل اللغة في الصلاة : إنها من الصلوين ، وهما مكتنفا الذنب من الناقة وغيرها ، وأول موصل الفخذين من الإنسان فكأنهما في الحقيقة مكتنفا العصعص ... وأما المصلى الذي يلي السابق فهو مأخوذ من

---

(١) الخليل بن أحمد الفراهيدي من أئمة اللغة والأدب ، وواضع علم العروض ، وهو أستاذ سيبويه النحوي ، ومن أشهر كتبه كتاب العين ، توفي سنة ١٧٠ هـ بالبصرة . الأعلام (٢ / ٣١٤) .

(٢) كتاب العين (٧ / ١٥٣) .

(٣) الصلات والبشر (ص ٦) .

(٤) كتاب العين (٧ / ١٥٣) .

الصلوين لا محالة ، وهما مكتنفا ذنب الفرس ، فكأنه يأتي ورأسه في ذلك المكان »[١] . وقد قيل إن اشتقاق الصلاة الشرعية هو من هذا .

قال الحليمي : « وقيل للصلاة المعهودة صلاة لما فيها من حني الصلا وهو وسط الظهر »[٢] .

٢ـ « الصلىٰ » بالقصر وهي النار :

قال الخليل بن أحمد : « والصلا : النار ، وصلى الكافر نارًا فهو يصلاها أي قاسى حرها وشدتها ، وصليت اللحم صليا : شويته ، وإذا ألقيته في النار قلت : أصليته أصليه إصلاء ، وصليته ، تصلية »[٣] .

وفي معجم مقاييس اللغة : « صلى : الصاد واللام والحرف المعتل أصلان : أحدهما : النار وما أشبهها من الحمى ... فقولهم : صليت العود بالنار ، والصلى صلى النار . واصطليت بالنار . والصلاء : ما يصطلى به وما يذكى به النار ويوقد وقال :

فجعل العود واليلنجوج والرذ   صلاء لها على الكانون »[٤]

قال الفيروز أبادي[٥] « وقيل اشتقاق لفظة الصلاة من الصلى بالقصر وهي النار من صليت العصا إذا قومتها بالنار فالمصلي كأنما يسعى لتعديل باطنه

(١) تهذيب اللغة (١٢ / ٢٣٧) .

(٢) المنهاج (٢ / ١٣٣) .

(٣) كتاب العين (٧ / ١٥٤) .

(٤) معجم مقاييس اللغة (٣ / ٣٠٠) .

(٥) محمد بن يعقوب بن محمد بن الفيروز أبادي ، من أئمة اللغة والأدب وكان مرجع عصره في اللغة والحديث والتفسير ، توفي سنة ٨١٧ هـ في زبيد باليمن وأشهر مؤلفاته القاموس المحيط . الأعلام (٧ / ١٤٦ - ١٤٧) .

وظاهره كمن يحاول تقويم العود بالنار »[١] .

٣- « الصلاة » الملازمة :

قال الأزهري : قال الزجاج الأصل في الصلاة اللزوم يقال : قد صلى واصطلى : اذا لزم ، ومن هذا من يصلى في النار : أى يلزم النار فالصلاة لزوم ما فرض اللّه ، والصلاة من أعظم الفرض الذي أمر بلزومه »[٢] .

وقال الفيروز أبادي « وقيل الصلاة الملازمة ، ومنه قوله ﴿ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴾[٣] ﴿ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴾[٤] ومنه سمي ثاني أفراس الحلبة مصليا »[٥] .

٤- « الصلاة » الدعاء :

جاء في معجم مقاييس اللغة « صلى : الصاد واللام والحرف المعتل أصلان : أحدهما : النار وما أشبهها من الحمى - وقد تقدم ذكره - والآخر جنس من العبادة ...

وأما الثاني : فالصلاة وهي الدعاء ، وقال رسول اللّه ﷺ إذا دعي أحدكم إلى طعام فليجب فإن كان مفطرًا فليأكل وإن كان صائمًا فليصل »[٦] أي فليدع لهم بالخير والبركة .

---

(١) الصلات والبشر (ص ٥ - ٦) .
(٢) تهذيب اللغة (١٢ / ٢٣٨) .
(٣) الآية (٤) من سورة الغاشية .
(٤) الآية (٣) من سورة المسد .
(٥) الصلاة والبشر (ص ٦) .
(٦) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب النكاح ، باب الأمر بإجابة الداعي إلى دعوة (٤ / ١٥٣) .

قال الأعشى[١] :

تقول بنتي وقد قربت مرتحلا يارب جنب أبي الأوصاب والوجعا

عليك مثل الذي صليت فاغتمضي نومًا فإن لجنب المرء مضطجعا[٢]

وقال في صفة الخمر :

وقابلها الريح في دنها وصلى على دنها وارتسم[٣] [٤]

« أي دعا لها ألا تحمض وتفسد »[٥] .

وأورد هذا المعنى أيضا الأزهري في تهذيب اللغة[٦] .

وقال ابن القيم « وأصل هذه اللفظة يرجع إلى معنيين : أحدهما : الدعاء والتبريك . والثاني : العبادة . فمن الأول قوله تعالى : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ﴾[٧]. وقوله تعالى في حق المنافقين ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ ﴾[٨] وقول النبي ﷺ : « إذا دعي أحدكم إلى طعام فليجب فإن كان

---

(١) اسمه ميمون بن قيس بن جندل من بني قيس بن ثعلبة الوائلي من شعراء الطبقة الأولى في الجاهلية وأحد أصحاب المعلقات أدرك الإسلام ورحل إلى الرسول ﷺ ليؤمن به ، ولكن قريشا صرفته بمئة من الإبل . الأعلام (٧ / ٣٤١) .

(٢) ديوان الأعشى (٧٣) .

(٣) المصدر السابق (٢٩) .

(٤) معجم مقاييس اللغة (٣ / ٣٠٠) .

(٥) تهذيب اللغة (١٢ / ٢٣٧) .

(٦) (١٢ / ١٣٦) .

(٧) الآية (١٠٣) من سورة التوبة .

(٨) الآية (٨٤) من سورة التوبة .

صائما فليصل » فسر بهما . قيل : فليدع لهم بالبركة . وقيل : يصلي عندهم بدل أكله . وقيل إن الصلاة في اللغة معناها الدعاء .

والدعاء نوعان : دعاء عبادة . ودعاء مسألة . والعابد داع كما أن السائل داع ، وبهما فسر قوله تعالى ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾[(١)] .

قيل : أطيعوني أثبكم . وقيل : سلوني أعطكم . وفسر بهما قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾[(٢)] .

ثم قال رحمه الله تعالى : « والصواب : أن الدعاء يعم النوعين ، وهذا لفظ متواطئ لا اشتراك فيه[(٣)] ، فمن استعماله في دعاء العبادة قوله تعالى : ﴿ قُلِ ٱدْعُوا ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَاوَاتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾[(٤)] وقوله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ

---

(١) الآية (٦٠) من سورة غافر .

(٢) الآية (١٨٦) من سورة البقرة .

(٣) الألفاظ على أربعة أقسام :

١ - الألفاظ المترادفة : وهي ما اختلفت ألفاظها واتحدت معانيها مثل : الليث ، الأسد ، الغضنفر ألفاظ مختلفة ولكنها جميعها دلت على معنى واحد وهو الحيوان المعروف .

٢ - الألفاظ المشتركة : وهي ما اتحدت ألفاظها واختلفت معانيها مثل : العين : تطلق على العين الباصرة ، والعين الجارية ، والجاسوس .

٣ - الألفاظ المتباينة : مااختلفت ألفاظها ومعانيها .

مثل : السماء والأرض - الجدار والسقف .

٤ - الألفاظ المتواطئة : ما اتّفقت ألفاظها ومعانيها .

فإذا كان المعنى متساويًا في الجميع فهو التواطؤ المطلق ومثاله : « الرجل » : لزيد وعمرو .

وإذا كان المعنى متفاضلا فهو التواطؤ المشكك ومثاله « النور » للشمس والسراج .

التحفة المهدية (١ / ٢٠٩) .

(٤) الآية (٢٢) من سورة سبأ .

شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾[١] .

وقوله تعالى ﴿ قُلْ مَا يَعْبَؤُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ ﴾[٢] والصحيح من القولين لولا أنكم تدعونه وتعبدونه أي : أي شيء يعبأه بكم لولا عبادتكم إياه فيكون المصدر مضافًا إلى الفاعل .وقال تعالى : ﴿ ٱدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ * وَلَا تُفْسِدُوا فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾[٣]. وقال تعالى إخبارا عن أنبيائه ورسله ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ﴾[٤]

وهذه الطريقة أحسن من الطريقة الأولى ، ودعوى الخلاف في مسمى الدعاء .

وبهذا تزول الإشكالات الواردة على اسم الصلاة الشرعية ، هل هو منقول عن موضعه في اللغة فيكون حقيقة شرعية أو مجازا شرعيا .

فعلى هذا تكون الصلاة باقية على مسماها في اللغة وهو الدعاء ، والدعاء ، دعاء عبادة ، ودعاء مسألة ، والمصلي من حين تكبيره إلى سلامه بين دعاء العبادة ودعاء المسألة فهو في صلاة حقيقةً لا مجازًا ولا منقولة ، لكن خص اسم الصلاة بهذه العبادة المخصوصة كسائر الألفاظ التي يخصها أهل اللغة والعرف ببعض مسماها كالدابة والرأس ونحوهما ، فهذا غاية تخصيص اللفظ وقصره على بعض موضوعه ، ولهذا لا يوجب نقلا ولا خروجًا عن موضوعه الأصلي والله أعلم . انتهي[٥] .

(١) الآية (٢٠) من سورة النحل .

(٢) الآية (٧٧) من سورة الفرقان .

(٣) الآيتان (٥٥ ، ٥٦) من سورة الأعراف .

(٤) الآية (٩٠) من سورة الأنبياء .

(٥) جلاء الأفهام (ص ٧٣ - ٧٤) .

المطلب الثاني

المعنى الشرعي لصلاة الله عز وجل على نبيه ﷺ

لما كانت الصلاة التي أمرت بها هذه الأمة على النبي ﷺ تعني الطلب من الله ما أخبر به من صلاته عليه . إذ المصلي يقول : « اللهم صل على محمد ... الخ » فالأمر هنا يتطلب شرح معنى صلاة الله عز وجل على نبيه ﷺ .

قال ابن القيم : « وأما صلاة الله سبحانه فنوعان : عامة وخاصة .

فالنوع الأول : الصلاة العامة وهي صلاته على عباده المؤمنين :

قال تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ ﴾[1]

ومنه دعاء النبي ﷺ بالصلاة على آحاد المؤمنين كقوله : « اللهم صل على آل أبي أوفى »[2] .

النوع الثاني : صلاته الخاصة على أنبيائه ورسله وخصوصًا على خاتمهم وخيرهم محمد ﷺ[3] .

واختلف الناس في معنى الصلاة منه سبحانه على أقوال :

القول الأول : إنها رحمته .

فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن معنى صلاة الرب الرحمة[4] وروى

---

(١) الآية (٤٣) من سورة الأحزاب .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الزكاة ، باب صلاة الإمام ودعائه لصاحب الصدقة . فتح الباري (٣ / ٣٦١) ح ١٤٩٧، وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الزكاة ، باب الدعاء لمن أتى بصدقته (٣ / ١٢١) .

(٣) جلاء الأفهام (ص ٧٤) .

(٤) فتح الباري (١١ / ١٥٦) .

إسماعيل القاضي[١] بسنده عن الضحاك[٢] قال : صلاة الله رحمته ، وصلاة الملائكة الدعاء[٣] .

وقال المبرد[٤]« أصل الصلاة الرحمة فهي من الله رحمة ، ومن الملائكة رقة تبعث على استدعاء الرحمة »[٥] .

قال ابن القيم : « وهذا القول هو المعروف عند كثير من المتأخرين »[٦] .

القول الثاني : إن صلاة الله مغفرته .

فقد روى إسماعيل القاضي بسنده عن الضحاك : « هو الذي يصلي عليكم » قال : صلاة الله مغفرته ، وصلاة الملائكة الدعاء[٧] .

وأورد ابن حجر في الفتح : عن مقاتل بن حيان[٨] قال : « صلاة الله مغفرته وصلاة الملائكة الاستغفار »[٩]

---

(١) إسماعيل بن اسحاق بن إسماعيل بن حماد بن زيد الجهضمي الأزدي فقيه على مذهب الإمام مالك ، جليل التصانيف ، من بيت علم وفضل توفي سنة ٢٨٢ هـ . الأعلام (١ / ٣١٠) .

(٢) الضحاك بن مزاحم الهلالي أبو القاسم أو أبو محمد الخراساني ، مفسر ولم يثبت له سماع من أحد من الصحابة توفي سنة ١٠٥ هـ . تهذيب التهذيب (٤ / ٤٥٣ - ٤٥٤) .

(٣) كتاب فضل الصلاة على النبي ﷺ (ص ٤٠) .

(٤) محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي ، المعروف بالمبرد إمام العربية ببغداد في زمانه ، وأحد أئمة الأدب والأخبار ، توفي ببغداد سنة ٢٨٦ هـ . الأعلام (٧ / ١٤٤) .

(٥) فتح الباري (١١ / ١٥٦) وجلاء الأفهام (ص ٧٥) .

(٦) جلاء الأفهام (ص ٧٥) .

(٧) كتاب فضل الصلاة على النبي ﷺ (ص ٤١) .

(٨) مقاتل بن حيان النبطي (بفتح النون والموحدة) أبو بسطام البلخي ، صدوق ، وكان ناسكًا فاضلًا خرج له الجماعة إلا البخاري ، مات بكابل قبيل الخمسين ومائة .
تهذيب التهذيب (١٠ / ٢٧٧ - ٢٧٩) .

(٩) ذكره ابن حجر في فتح الباري (١١ / ١٥٥ - ١٥٦) .

قال ابن القيم : « وهذا القول هو من جنس الذي قبله »[(١)] .

القول الثالث : أن معنى صلاة الله تعالى على نبيه ثناؤه وتعظيمه وإظهار شرفه وفضله وحرمته .

فإذا قلنا اللهم صل على محمد فإنما نريد اللهم عظم محمدًا في الدنيا بإعلاء ذكره وإظهار دينه وإبقاء شريعته ، وفي الآخرة بتشفيعه في أمته وإجزال أجره ومثوبته وإبداء فضله للأولين والآخرين بالمقام المحمود وتقديمه على كافة المقربين والشهود[(٢)] . قال أبو العالية[(٣)] : « صلاة الله ثناؤه عليه عند الملائكة »[(٤)] .

وعن الربيع بن أنس[(٥)] قال : « صلاة الله عليه ثناؤه عند ملائكته »[(٦)] وقال الخليل بن أحمد : « صلوات الله على أنبيائه والصالحين من خلقه : حسن ثنائه عليهم وحسن ذكره لهم »[(٧)] .

---

(١) جلاء الأفهام (ص ٧٥) .

(٢) المنهاج (٢ / ١٣٤) .

(٣) رفيع (بالتصغير) بن مهران أبو العالية الرياحي مولاهم ، البصري أدرك الجاهلية وأسلم بعد وفاة النبي ﷺ بسنتين ودخل على أبي بكر وصلى خلف عمر ، ثقة ، توفي سنة تسعين وقيل بعد ذلك .
تهذيب التهذيب (٣ / ٢٨٤ - ٢٨٦) .

(٤) ذكره تعليقًا البخاري في صحيحه ، كتاب التفسير ، باب تفسير قوله تعالى ﴿ إن الله وملائكته يصلون على النبي ... ﴾ الآية . انظر : فتح الباري (٨ / ٥٣٢) .

(٥) الربيع بن أنس البكري ويقال الحنفي البصري ثم الخرساني روى عن أنس بن مالك وأبي العالية والحسن البصري وغيرهم ، مات في خلافة أبي جعفر المنصور .
تهذيب التهذيب (٣ / ٢٣٨ - ٢٣٩) .

(٦) كتاب فضل الصلاة على النبي ﷺ (ص ٤٠) . القول البديع (ص ١٩) . وأورده ابن حجر في الفتح وعزاه لابن أبي حاتم . فتح الباري (٨ / ٥٣٣) .

(٧) العين (٧ / ١٥٤) .

وقال ابن القيم رحمه الله : « الصلاة المأمور بها في هذه الآية هي الطلب من الله ما أخبر به عن صلاته وصلاة ملائكته ، وهي ثناء عليه وإظهار لفضله وشرفه وإرادة تكريمه وتقريبه . فهي تتضمن الخبر والطلب وسمى هذا السؤال منا والدعاء صلاة عليه لوجهين :

أحدهما : أنه يتضمن ثناء المصلي عليه والإشارة بذكر شرفه وفضله والإرادة والمحبة كذلك من الله تعالى ، فقد تضمنت الخبر والطلب .

والوجه الثاني : أن ذلك سمي منا صلاة لسؤالنا من الله أن يصلي عليه . فصلاة الله عليه ثناؤه وإرادته لرفع ذكره وتقريبه ، وصلاتنا نحن عليه سؤالنا الله تعالى أن يفعل ذلك به »[١] .

وزاد الحافظ ابن حجر : أن صلاة الله على خلقه تكون خاصة وتكون عامة .

فصلاته على أنبيائه هي ما تقدم من الثناء والتعظيم .

وصلاته على غيرهم الرحمة فهي التي وسعت كل شيء .

ونقل عياض عن بكر القشيري[٢] قال : « الصلاة على النبي ﷺ من الله تشريف وزيادة وتكرمة ، وعلى من دون النبي رحمة ، وبهذا التقرير يظهر الفرق بين النبي ﷺ وبين سائر المؤمنين حيث قال الله تعالى : ﴿ إن الله وملائكته يصلون على النبي ﴾ وقال قبل ذلك في السورة المذكورة ﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ ﴾ ومن المعلوم أن القدر الذي يليق بالنبي ﷺ من ذلك أرفع مما يليق بغيره ، والإجماع منعقد على أن في هذه الآية من

---

(١) جلاء الأفهام (ص ٧٨) .

(٢) بكر بن محمد بن العلاء القشيري ، قاض من علماء المالكية من أهل البصرة ، انتقل إلى مصر قبل سنة (٣٣٠ هـ) وتوفي بها سنة ٣٤٤ هـ . الأعلام (٢ / ٦٩) .

تعظيم النبي ﷺ والتنويه به ماليس في غيرها »[١] .

وقد ضعف ابن القيم رحمه الله تفسير الصلاة بالرحمة والاستغفار وذكر في تضعيفهما عدة أوجه منها :

١ ـ أن الله سبحانه فرق بين صلاته على عباده ورحمته فقال ﴿ وَبَشِّرِ ٱلصَّابِرِينَ * ٱلَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴾[٢] فعطف الرحمة على الصلاة فاقتضى ذلك تغايرهما ، وهذا أصل العطف ، وأما قولهم :

وألفى قولها كذبًا ومينا

فهو شاذ نادر لا يحمل عليه أفصح الكلام مع أن المين أخص من الكذب

٢ ـ أن صلاة الله سبحانه خاصة بأنبيائه ورسله وعباده المؤمنين ، وأما رحمته فوسعت كل شيء ، فليست الصلاة مرادفة للرحمة لكن الرحمة من لوازم الصلاة وموجباتها وثمراتها ، فمن فسرها بالرحمة فقد فسرها ببعض ثمراتها ومقصودها ، وهذا كثيرًا ما يأتي في تفسير ألفاظ القرآن ، والرسول ﷺ يفسر اللفظة بلازمها وجزء معناها كتفسير الريب بالشك ، والشك جزء مسمى الريب وتفسير المغفرة بالستر ، وهو جزء مسمى المغفرة ، وتفسير الرحمة بإرادة الإحسان ، وهو لازم الرحمة ونظائر ذلك كثيرة .

٣ ـ أن هذه اللفظة لا تعرف في اللغة الأصلية بمعنى الرحمة أصلا والمعروف عند العرب من معناها إنما هو الدعاء والتبريك والثناء ، ولا تعرف العرب قط « صلى عليه » بمعنى « رحمه » فالواجب حمل اللفظ على معناه المتعارف في اللغة .

---

(١) فتح الباري (١١ / ١٥٦) .

(٢) الآيات (١٥٥ إلى ١٥٧) من سورة البقرة .

٤ ـ أنه يسوغ بل يستحب لكل أحد أن يسأل اللّٰه أن يرحمه فيقول : اللهم ارحمني كما علم النبي ﷺ الداعي أن يقول : « اللهم اغفر لي وارحمني وعافني وارزقني « فلما حفظها قال أما هذا فقد ملأ يديه من الخير »[١] .

ومعلوم أنه لا يسوغ لأحد أن يقول : « اللهم صل علي » بل الداعي بهذا يكون معتديا في دعائه واللّٰه لا يحب المعتدين ، بخلاف سؤاله الرحمة فإن اللّٰه يحب أن يسأله عبده مغفرته ورحمته فعلم أنه ليس معناهما واحدا .

٥ ـ أن أكثر المواضع التي تستعمل فيها الرحمة لا يحسن أن تقع فيها الصلاة كقوله تعالى : ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾[٢] وقوله : ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[٣] وقوله ﴿ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾[٤] وقوله : ﴿ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[٥]

وقول النبي ﷺ : « اللّٰه أرحم بعباده من هذه بولدها »[٦]. وقوله : « ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء »[٧] .

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٤ / ٣٥٣) .

(٢) الآية (١٥٦) من سورة الأعراف .

(٣) الآية (٥٦) من سورة الأعراف .

(٤) الآية (٤٣) من سورة الأحزاب .

(٥) الآية (١١٧) من سورة التوبة .

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأدب ، باب رحمة الولد . فتح الباري (١٠ / ٤٦٧) ح ٥٩٩٨ ، وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب التوبة ، باب في سعة رحمة اللّٰه تعالى وأنها سبقت غضبه (٨ / ٩٧) .

(٧) أخرجه الترمذي في السنن ، كتاب البر والصلة ، باب ما جاء في رحمة المسلمين (٤ / ٣٢٣ – ٣٢٤) ح ١٩٢٤ ، وقال الترمذي : حديث حسن صحيح .

فمواضع استعمال الرحمة في حق الله وفي حق العباد لا يحسن أن تقع الصلاة في كثير منها ، بل في أكثرها ، فلا يصح تفسير الصلاة بالرحمة والله أعلم

٦ ـ أنه لو كانت الصلاة بمعنى الرحمة لقامت مقامها في امتثال الأمر وأسقطت الوجوب عند من أوجبها إذا قال : « اللهم ارحم محمدا وآل محمد » وليس الأمر كذلك[١] . وزاد السخاوي :

٧ ـ أن الصحابة فهموا المغايرة بين الصلاة والرحمة ، فلذلك سألوا عن كيفية الصلاة مع ما تقدم من ذكر الرحمة في تعليم السلام حيث جاء بلفظ « السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته » وأقرهم النبي ﷺ فلو كانت الصلاة بمعنى الرحمة لقال لهم قد علمتم ذلك في السلام[٢] .

وأولى الأقوال بالصواب ما تقدم عن أبي العالية « أن معنى صلاة الله تعالى على نبيه ثناؤه وتعظيمه » .

فهي من الله إكرام وتعظيم ومحبة وثناء لنبيه ﷺ .

فصلاتنا عليه : إنما هي ثناء عليه ﷺ وإرادة من الله أن يعلي ذكره ويزيده تعظيمًا وتشريفًا .

○ ○ ○ ○

---

(١) جلاء الأفهام (ص ٧٥ – ٨٢) بتصرف .

(٢) القول البديع (ص ٢٠) .

المبحث الثاني

الأدلة على مشروعية الصلاة على النبي ﷺ وكيفيتها ومواطنها وفضلها

المطلب الأول : الأدلة من القرآن والسنة على مشروعية الصلاة على النبي ﷺ .

المطلب الثاني : كيفية الصلاة على النبي ﷺ .

المطلب الثالث : مواطن الصلاة على النبي ﷺ .

المطلب الرابع : فضل الصلاة على النبي ﷺ .

● ● ● ●

المطلب الأول

الأدلة من القرآن والسنة على مشروعية الصلاة على النبي ﷺ

أ ـ من القرآن :

قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[١] .

وهذه الآية هي الأصل في هذا الباب[٢] والإجماع منعقد على أن في هذه الآية من تعظيم ﷺ والتنويه به ما ليس في غيرها[٣] .

وهي مدنية النزول وقد جاءت بعد جملة من الآيات في سورة الأحزاب ذكر اللّه فيها عددًا من حقوق نبيه ﷺ وما خصه به دون أمته ، من حل نكاحه لمن تهب نفسها له ، ومن تحريم نكاح أزواجه على الأمة من بعده ، ومن سائر ما ذكر بعد ذلك من حقوقه وتعظيمه وتبجيله .

ثم ذكر رفع الجناح عن أزواجه في تكليمهن آباءهن وأبناءهن ودخولهم عليهن ، وخلوتهم بهن .

ثم عقب ذلك بما هو حق من حقوقه الأكيدة على أمته ، وهو أمرهم بصلاتهم عليه وسلامهم ، مستفتحا ذلك الأمر بإخباره بأنه هو وملائكته يصلون عليه[٤]

---

(١) الآية (٥٦) من سورة الأحزاب .

(٢) المنهاج للحليمي (٢ / ١٤٣) .

(٣) القول البديع (ص ٢١) .

(٤) جلاء الأفهام (ص ١٧٤ – ١٧٥) .

قال ابن كثير رحمه الله تعالى : « والمقصود من هذه الآية أن الله سبحانه وتعالى أخبر عباده بمنزلة عبده ونبيه عنده في الملأ الأعلى بأنه يثني عليه عند الملائكة المقربين وأن الملائكة تصلي عليه ، ثم أمر تعالى أهل العالم السفلي بالصلاة والتسليم عليه ليجتمع الثناء عليه من أهل العالمين العلوي والسفلي جميعا »[1] .

« فهذه الآية شرف الله بها رسوله ﷺ في حياته وبعد موته »[2] (وفيها تنبيه على كمال الرسول ﷺ ورفعة درجته وعلو منزلته عند الله وعند خلقه ورفع ذكره ، فقوله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ﴾ أي يثني الله عليه بين الملائكة وفي الملأ الأعلى لمحبته تعالى ، ويثني عليه الملائكة المقربون ويدعون له ويتضرعون .

﴿ يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليمًا ﴾ اقتداءً بالله وملائكته وجزاءً له على بعض حقوقه عليكم ، وتكميلا لإيمانكم ، وتعظيما له ﷺ ومحبة وإكراما وزيادة في حسناتكم وتكفيرا من سيئاتكم »[3] .

قال الحليمي : « وقد أمر الله تعالى في كتابه بالصلاة والتسليم عليه جملة فقال : ﴿ إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ﴾ فأمر الله عباده أن يصلوا عليه ويسلموا ، وقدم قبل أمرهم بذلك إخبارهم بأن ملائكته يصلون عليه ، لينبئهم بذلك على ما في الصلاة

---

(١) تفسير ابن كثير (٣ / ٥٠٧) .

(٢) تفسير القرطبي (١٤ / ٢٣٢) بتصرف .

(٣) « تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان » للشيخ عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي (٦ / ١٢٠ - ١٢١) .

عليه من الفضل ، إذ كانت الملائكة مع انفكاكهم من شريعته تتقرب إلى الله بالصلاة والتسليم عليه ليعلموا أنهم بالصلاة والتسليم عليه أولى وأحق »(١) .

ب ـ من السنة النبوية :

ورد في شأن الصلاة على النبي ﷺ كثير من الأحاديث التي وضحت وبينت ما يتعلق بشأن هذه الصلاة من جهة مشروعيتها وكيفيتها ومواطنها وفضلها إلى غير ذلك من الجوانب المتعلقة بها .

وقد روى هذه الأحاديث جمع من الصحابة رضوان الله عليهم عدهم ابن القيم في كتابه « جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على محمد خير الأنام » فبلغوا اثنين وأربعين صحابيا .

وقد جمع ابن القيم هذه الأحاديث وبيّن طرقها وصحيحها من حسنها ومعلولها ، وما في معلولها من العلل بيانا شافيا .

وسيأتي ذكر بعض هذه الأحاديث في مواضعها المناسبة في المطلب القادم وذلك تلافيًا للتكرار والإعادة .

○○○○

(١) المنهاج للحليمي (٢ / ١٣١) .

المطلب الثاني

كيفية الصلاة على النبي ﷺ

ورد في كيفية الصلاة على النبي ﷺ عدد من الأحاديث منها :

١ـ حديث كعب بن عجرة رضى الله عنه :

فعن كعب بن عجرة رضي الله عنه قال : « إن النبي ﷺ خرج علينا فقلنا : يارسول الله ، قد علمنا كيف نسلم عليك ، فكيف نصلي عليك ؟

قال : « قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد ، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد » متفق عليه[١] .

والمراد بالسلام في قوله : « قد علمنا كيف نسلم عليك » السلام الذي في التشهد وهو قول « السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته »[٢]

٢ـ حديث أبي حميد الساعدي رضي الله عنه :

عن أبي حميد الساعدي أنهم قالوا : يارسول الله ، كيف نصلي عليك ؟

قال : « قولوا اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته كما صليت على آل إبراهيم ، وبارك على محمد وأزواجه وذريته ، كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد » متفق عليه[٣] .

٣ـ حديث أبي سعيد الخدري[٤] رضي الله عنه :

---

(١) تقدم تخريجه (ص ٤٨٠) .

(٢) فتح الباري (١١ / ١٥٥) .

(٣) تقدم تخريجه (ص ٣٤٨) .

(٤) واسمه سعد بن مالك بن سنان الأنصاري الخزرجي أبو سعيد الخدري ، مشهور بكنيته =

عن أبي سعيد الخدري قال : قلنا يارسول الله ، هذا السلام عليك فكيف نصلي ؟ قال : « قولوا اللهم صل على محمد عبدك ورسولك كما صليت على إبراهيم ، وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم[(١)] » .

٤ـ حديث أبي مسعود عقبة بن عمرو الأنصاري[(٢)] رضي الله عنه :

عن أبي مسعود الأنصاري قال : أتانا رسول الله ﷺ ونحن في مجلس سعد بن عبادة فقال له بشير بن سعد[(٣)] أمرنا الله تعالى أن نصلي عليك يارسول الله فكيف نصلي عليك ؟

قال : فسكت رسول الله ﷺ حتى تمنينا أنه لم يسأله ، ثم قال رسول الله ﷺ : « قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم ، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد والسلام كما قد علمتم »[(٤)] .

= استصغر بأحد واستشهد أبوه بها ، وشهد هو ما بعدها ، كان من أفاضل الصحابة وحفظ حديثا كثيرا ، مات بعد الستين من الهجرة . الإصابة (٢ / ٣٢ - ٣٣) .

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الدعوات ، باب الصلاة على النبي ﷺ .
انظر : فتح الباري (١١ / ١٥٢) ح ٦٣٥٨

(٢) عقبة بن عمرو بن ثعلبة الأنصاري أبو مسعود البدري ، مشهور بكنيته شهد العقبة ، والمشاهد كلها ، مات بعد سنة أربعين للهجرة . الإصابة (٢ / ٤٨٣ - ٤٨٤) .

(٣) بشير بن سعد بن ثعلبة الأنصاري البدري شهد العقبة وشهد بدرا والمشاهد بعدها ، استشهد بعين التمر مع خالد بن الوليد في خلافة أبي بكر سنة اثنتي عشرة .
الإصابة (١ / ١٦٢) والاستيعاب (١ / ١٥٥ - ١٥٦) .

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الصلاة ، باب الصلاة على النبي ﷺ بعد التشهد (٢ / ١٧) .

٥ـ حديث طلحة بن عبيد الله :

عن طلحة بن عبيد الله قال : قلت يارسول الله كيف الصلاة عليك ؟ قال : « قل اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم إنك حميد مجيد ، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم انك حميد مجيد »(١) .

والملاحظ في هذه الأحاديث هو اختلاف ألفاظها ، ومن أجل ذلك فإن المرء قد يسأل بأي هذه الألفاظ يدعو ؟

قال ابن القيم : « لقد سلك بعض المتأخرين في ذلك طريقة ، وهو أن الداعي يستحب له أن يجمع بين تلك الألفاظ المختلفة ، ورأى ذلك أفضل ما يقال فيها ، فرأى أنه يستحب للمصلي على النبي ﷺ أن يقول « اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وعلى أزواجه وذريته ، وارحم محمدًا وآل محمد وأزواجه وذريته كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم « وكذلك في البركة والرحمة .

وعلل ذلك بقوله : حتى يصيب ألفاظ النبي ﷺ يقينا فيما شك فيه الراوي وليجتمع له ألفاظ الأدعية الأخر فيما اختلفت ألفاظها .

ونازعه في ذلك آخرون وقال : هذا ضعيف من وجوه :

أحدها : أن هذه الطريقة محدثة لم يسبق إليها أحد من الأئمة المعروفين .

الثاني : أن صاحبها إن طردها لزمه أن يستحب للمصلي أن يستفتح بجميع أنواع الاستفتاحات ، وأن يتشهد بجميع أنواع التشهدات ، وأن يقول في

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند (١ / ٢٦٢) . وأخرجه النسائي في السنن ، كتاب السهو ، باب كيف الصلاة على النبي ﷺ (٣ / ٤٨) وإسناده حسن .

ركوعه وسجوده جميع الأذكار الواردة فيه ، وهذا باطل قطعًا فإنه خلاف عمل الناس ، ولم يستحبه أحد من أهل العلم وهو بدعة ، وإن لم يطردها تناقض وفرق بين متماثلين .

الثالث : أن صاحبها إن طردها لزمه أن يستحب للمصلي والتالي أن يجمع بين القراءات المتنوعة في التلاوة في الصلاة وخارجها . قالوا : ومعلوم أن المسلمين متفقون على أنه لا يستحب ذلك للقارئ في الصلاة ولا خارجها إذا قرأ قراءة عبادة وتدبر ، وإنما يفعل ذلك القراء أحيانا ليمتحن بذلك حفظ القارئ لأنواع القراءات ، وإحاطته بها واستحضاره إياها ، والتمكن من استحضارها عند طلبها ، فذلك تمرين وتدريب لا تعبد مستحب لكل تال وقارئ ، ومع هذا ففي ذلك للناس كلام ليس هذا موضعه ، بل المشروع في حق التالي أن يقرأ بأي حرف شاء ، وإن شاء أن يقرأ بهذا مرة وبهذا مرة جاز ذلك .

وكذلك الداعي إذا صلى على النبي ﷺ مرة بلفظ هذا الحديث ، ومرة بلفظ الآخر ، وكذلك إذا تشهد ، فإن شاء تشهد بتشهد ابن مسعود ، وإن شاء بتشهد ابن عباس ، وإن شاء بتشهد ابن عمر ، وإن شاء بتشهد عائشة رضي اللّٰه عنهم أجمعين ولا يستحب له أحد أن يجمع بين ذلك كله .

وقد احتج غير واحد من الأئمة منهم الشافعي رحمه اللّٰه تعالى على جواز الأنواع المأثورة في التشهدات ونحوها بالحديث الذي رواه أصحاب الصحيح

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب فضائل القرآن ، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف . فتح الباري (٩ / ٢٣) ح ٤٩٩٢ ، وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب صلاة المسافرين ، باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف وبيان معناه (٢ / ٢٠٢) .

والسنن وغيرهم عن النبي ﷺ أنه قال : « أنزل القرآن على سبعة أحرف »[1].
فجوز النبي ﷺ القراءة بكل حرف من تلك الأحرف ، وأخبر أنه « شافٍ كافٍ » ومعلوم أن المشروع في ذلك أن يقرأ بتلك الأحرف على سبيل البدل لا على سبيل الجمع كما كان الصحابة يفعلون .

الرابع : أن النبي ﷺ لم يجمع بين تلك الألفاظ المختلفة في آن واحد ، بل إما أن يكون قال هذا مرة وهذا مرة كألفاظ الاستفتاح والتشهد ، وأذكار الركوع والسجود وغيرها ، فاتباعه ﷺ يقتضي أن لا يجمع بينها ، بل يقال هذا مرة وهذا مرة .

وإما أن يكون الراوي قد شك في أي الألفاظ قال ، فإن ترجح عند الداعي بعضها صار إليه وإن لم يترجح عنده بعضها كان مخيرا بينهما ، ولم يشرع له الجمع ، فإن هذا نوع ثالث لم يرد عن النبي ﷺ فيعود الجمع بين تلك الألفاظ في آن واحد على مقصود الداعي بالإبطال لأنه قصد متابعة الرسول ﷺ ، ففعل ما لم يفعله قطعًا .

ومثال ما يترجح فيه أحد الألفاظ حديث الاستخارة فإن الراوي شك هل قال النبي ﷺ : « اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري أو قال : « وعاجل أمري وآجله »[1] بدل « وعاقبة أمري » والصحيح اللفظ الأول وهو قوله « وعاقبة أمري » لأن عاجل الأمر وآجله هو مضمون قوله « ديني ومعاشي وعاقبة أمري » فيكون الجمع بين المعاش وعاجل الأمر وآجله تكرارًا ، بخلاف ذكر المعاش والعاقبة ، فإنه لا تكرار فيه ، فإن

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب التهجد ، باب ما جاء في التطوع مثنى مثنى ، فتح الباري (٣ / ٤٨) ح ١١٦٢ وقد جاءت رواية البخاري على الشك الذي ذكره ابن القيم .

المعاش هو عاجل الأمر والعاقبة أجله .

ومن ذلك ما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال : « من قرأ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من فتنة الدجال » رواه مسلم[1] .

واختلف فيه فقال بعض الرواة « من أول سورة الكهف » .

وقال بعضهم « من آخرها » وكلاهما في الصحيح لكن الترجيح لمن قال : « من أول سورة الكهف » لأن في صحيح مسلم من حديث النواس بن سمعان[2] في قصة الدجال « فإذا رأيتموه فاقرأوا عليه فواتح سورة الكهف »[3] ولم يختلف في ذلك ، وهذا يدل على أن من روى العشر من أول السورة حفظ الحديث ، ومن روى من آخرها لم يحفظه .

الخامس : أن المقصود إنما هو المعنى والتعبير عنه بعبارة مؤدية له ، فإذا عبر عنه بإحدى العبارتين حصل المقصود ، فلا يجمع بين العبارات المتعددة .

السادس : أن أحد اللفظين بدل عن الآخر ، فلا يستحب الجمع بين البدل والمبدل معًا كما لا يستحب ذلك في المبدلات التي لها إبدال واللّه أعلم[4] .

○ ○ ○ ○

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب صلاة المسافرين ، باب فضل سورة الكهف وآية الكرسي (٢ / ١٩٩) وذكر مسلم أيضا هذا الاختلاف فقال قال شعبة من آخر الكهف ، وقال همام من أول الكهف كما قال هشام

(٢) النواس بن سمعان بن خالد بن عمرو العامري الكلابي له ولأبيه صحبة وحديثه عند مسلم في صحيحه . الإصابة (٣ / ٥٤٦) .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب ذكر الدجال وصفته وما معه (٨ / ١٩٦ - ١٩٧)

(٤) جلاء الأفهام (١٧٧ - ١٧٩) بتصرف .

المطلب الثالث

مواطن الصلاة عليه ﷺ

تتأكد الصلاة على النبي ﷺ في مواطن إما وجوبًا وإما استحبابًا مؤكدًا[١] ومن هذه المواطن ما يلي :

الموطن الأول : في الصلاة في آخر التشهد :

وهو أهمها وآكدها ، وقد أجمع المسلمون على مشروعيته[٢] واختلفوا في وجوبه فيها .

فقالت طائفة : ليس بواجب فيها وهذا قول أبي حنيفة ومالك ورواية عن الإمام أحمد ، وهو قول أكثر أهل العلم[٣] .

وقالت طائفة : بوجوب ذلك وهو قول الشافعي ورواية عن الإمام أحمد والظاهر أنها آخر قوليه[٤]وهي المعتمدة في المذهب[٥]وبهذا القول قال جمع من الصحابة والتابعين وأرباب المذاهب ، وبه قال ابن مسعود ، وابن عمر ، وأبو مسعود ، والشعبي ، ومقاتل بن حيان ، وأبو جعفر محمد بن على بن الحسين[٦] واسحاق بن راهويه[٧] .

ولكل واحد من الفريقين أدلته ، وهي مبسوطة في كتب الفقه .

(١،٢) جلاء الأفهام (ص ٢٥١) .

(٣،٤) مجموع الفتاوى (٢٧ / ٤٠٨) والمغني (١ / ٥٤٢) وجلاء الأفهام (ص ٢٥١) .

(٥) المغني (١ / ٥٤١) .

(٦) محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، أبو جعفر الباقر ، من فقهاء أهل المدينة من التابعين ، توفي سنة أربع عشرة ومائة . تهذيب التهذيب (٩ / ٣٥٠ - ٣٥٢) .

(٧) المغني (١ / ٥٤٢) جلاء الأفهام (٢٥٣ - ٢٥٥) والقول البديع (١٨٠ - ١٨٣) .

وقد جمعها ابن القيم في كتابه القيم جلاء الأفهام[١]فمن أراد الاستزادة في هذا الشأن فليرجع إليه[٢] .

وأما ما يتعلق بأدلة مشروعيتها في هذا الموطن فهي بعينها الأدلة التي تقدم ذكرها في المطلب السابق عند الحديث عن كيفية الصلاة على النبي ﷺ .

الموطن الثاني : الصلاة عليه ﷺ في التشهد الأول :

قال ابن القيم : « وهذا قد اختلف فيه

القول الأول : قال الشافعي في « الأم » : يصلي على النبي ﷺ في التشهد الأول [٣] وهذا هو المشهور من مذهبه وهو الجديد ، ولكنه يستحب وليس بواجب .

القول الثاني : قال الشافعي في القديم : « لا يزيد على التشهد » وهذه رواية المزني[٤] عنه ، وبهذا قال أحمد وأبو حنيفة ومالك وغيرهم .

واحتج لقول الشافعي بما رواه الدارقطني بسنده عن ابن عمر قال كان رسول الله ﷺ يعلمنا التشهد التحيات الطيبات الزاكيات لله ، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، أشهد أن

---

(١) انظر جلاء الأفهام (ص ٢٥١ - ٢٧٦) .

(٢) صرفت النظر عن إيراد أدلة كل فريق نظرا :

١ - كثرة الأدلة والاعتراضات الواردة في هذه المسألة .

٢ - كون المسألة تتعلق بالنواحي الفقهية فهذا مما يتعارض مع منهجية البحث الذي يتناول النواحي العقدية .

(٣) الأم للشافعي (١ / ١١٧) .

(٤) إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل ، أبو إبراهيم المزني ، صاحب الإمام الشافعي ، كان زاهدا عالما مجتهدًا قوي الحجة ، توفي سنة ٢٦٤ هـ . الأعلام (١ / ٣٢٩) .

لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله ثم يصلي على النبي ﷺ »[1] .

وروى الدارقطني أيضا من حديث عمرو بن شمر عن جابر عن عبد الله بن بريدة ، عن أبيه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « يا بريدة إذا صليت في صلاتك فلا تتركن الصلاة علي فيها ، فإنها زكاة الصلاة »[2] .

قالوا : وهذا يعم الجلوس الأول والآخر .

واحتج له أيضا بأن الله تعالى أمر المؤمنين بالصلاة والتسليم على رسوله ﷺ فدل على أنه حيث شرع التسليم عليه شرعت الصلاة عليه ، ولهذا سأله أصحابه عن كيفية الصلاة عليه ، وقالوا « قد علمنا كيف نسلم عليك فكيف نصلي عليك ؟ » فدل على أن الصلاة عليه مقرونة بالسلام عليه ﷺ ، ومعلوم أن المصلي يسلم على النبي ﷺ فيشرع له أن يصلي عليه .

قالوا : ولأنه مكان شرع فيه التشهد والتسليم على النبي ﷺ ، فشرع فيه الصلاة عليه كالتشهد الأخير .

قالوا : ولأن التشهد الأول محل يستحب فيه ذكر الرسول ﷺ فاستحب فيه الصلاة عليه ، لأنه أكمل في ذكره .

قالوا : ولأن في حديث محمد بن اسحاق : كيف نصلي عليك إذا نحن

---

(١) أخرجه الدار قطني في السنن ، كتاب الصلاة ، باب صفة التشهد ووجوبه واختلاف الروايات فيه (١ / ٣٥١) وإسناده ضعيف جدًا لأن فيه خارجة بن مصعب : متروك ، وموسى بن عبيدة : ضعيف .

(٢) أخرجه الدارقطني في السنن ، كتاب الصلاة ، باب ذكر وجوب الصلاة على النبي ﷺ في التشهد (١ / ٣٥٥) وإسناده ضعيف فيه عبد المهيمن بن عباس لا يحتج به .

جلسنا في صلاتنا ؟[١] .

وقال الآخرون : ليس التشهد الأول بمحل لذلك ، وهو القديم من قولي الشافعي رحمه الله تعالى ، وهو الذي صححه كثير من أصحابه ، لأن التشهد الأول تخفيفه مشروع ، وكان النبي ﷺ إذا جلس فيه كأنه على الرضف[٢][٣]. ولم يثبت عنه أنه كان يفعل ذلك فيه ، ولا علَّمه للأمة ، ولا يعرف أن أحدا من الصحابة استحبه ، ولأن مشروعية ذلك لو كانت كما ذكرتم من الأمر لكانت واجبة في المحل كما في الأخير ، لتناول الأمر لهما ، ولأنه لو كانت الصلاة مستحبة في هذا الموضع ، لاستحب فيه الصلاة على آله ﷺ ، لأن النبي ﷺ لم يفرد نفسه دون آله بالأمر بالصلاة عليه ، بل أمرهم بالصلاة عليه وعلى آله في الصلاة وغيرها .

ولأنه لو كانت الصلاة عليه في هذه المواضع مشروعة لشرع فيها ذكر إبراهيم وآل إبراهيم ، لأنها هي صفة الصلاة المأمور بها ، ولأنها لو شرعت في هذه المواضع لشرع فيها الدعاء بعدها لحديث فضالة ، ولم يكن فرق بين التشهد الأول والأخير .

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٤ / ١١٩) والحاكم في المستدرك (١ / ٢٦٨) .

(٢) الرضف : الحجارة المحماة على النار ، واحدتها : رضفة . النهاية (٢ / ٢٣١)

(٣) أخرجه أحمد في المسند (١ / ٣٨٦ ، ٤١٠ ، ٤٢٨ ، ٤٣٦ ، ٤٦٠) .

وأخرجه أبو داود في السنن ، كتاب الصلاة ، باب تخفيف القعود (١ / ٦٠٦) .

ح ٩٩٥ وأخرجه الترمذي في السنن ، أبواب الصلاة ، باب ما جاء في مقدار القعود في الركعتين الأولين (٢ / ٢٠٢) ح ٣٦٦ . وقال الترمذي : « هذا حديث حسن إلا أن أبا عبيدة لم يسمع من أبيه . والعمل على هذا عند أهل العلم يختارون أن لا يطيل الرجل القعود في الركعتين الأوليين ولا يزيد على التشهد شيئًا » . انتهى كلامه .

قالوا : وأما ما استدللتم به من الأحاديث فمع ضعفها لا تدل ، لأن المراد بالتشهد فيها هو الأخير دون الأول بما ذكرناه من الأدلة[١] .

الموطن الثالث من مواطن الصلاة عليه ﷺ : آخر القنوت

قال ابن القيم رحمه الله تعالى : « استحبه الشافعي ومن وافقه واحتج لذلك بما رواه النسائي بسنده عن الحسن بن علي[٢] قال علمني رسول الله ﷺ هؤلاء الكلمات في الوتر قال : « قل اللهم اهدني فيمن هديت ، وبارك لي فيما أعطيت ، وتولني فيمن توليت ، وقني شر ما قضيت ، فإنك تقضي ولا يقضى عليك ، إنه لا يذل من واليت تباركت ربنا وتعاليت[٣] وصلى الله على النبي »[٤] .

وهذا إنما هو في قنوت الوتر ، وإنما نقل إلى قنوت الفجر قياسا كما نقل أصل هذا الدعاء إلى قنوت الفجر .

---

(١) جلاء الأفهام (ص ٢٧٧ - ٢٧٩) .

(٢) الحسن بن علي بن أبي طالب ، سبط رسول الله ﷺ وريحانته في الدنيا ، وأحد سيدي شباب أهل الجنة ، وكان أشبه الناس برسول الله ﷺ ، بويع بالخلافة بعد مقتل أبيه ثم تنازل عنها لمعاوية حقنًا لدماء المسلمين ، ومات سنة تسع وأربعين وقيل بعدها .
الإصابة (١ / ٣٢٧ - ٣٣٠) .

(٣) الحديث إلى قوله « وتعاليت » أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب الصلاة ، باب القنوت في الوتر (٢ / ١٣٣ - ١٣٤) . وأخرجه الترمذي في السنن ، كتاب أبواب الصلاة ، باب ما جاء في قنوت الوتر (١ / ٣٢٨) ح ٤٦٤ . وأخرجه ابن ماجه في السنن ، أبواب إقامة الصلاة ، باب ما جاء في قنوت الوتر (١ / ٢١٣) ح ١١٦٧ ، وقال الحافظ ابن حجر : الحديث حسن صحيح . التلخيص (ص ٩٤ - ٩٥) .

(٤) أخرجه النسائي في السنن (٣ / ٢٤٨) وقد انفرد النسائي بهذه الزيادة « وصلى الله على النبي » وروايته ضعيفة ، قال الحافظ ابن حجر : هذه الزيادة في هذا السند غريبة لا تثبت وإن سنده لا يخلو إما عن راو مجهول ، أو انقطاع في السند .

وهو مستحب في قنوت رمضان فعن عروة بن الزبير[١] أن عبد الرحمن بن عبد القاري[٢] وكان في عهد عمر بن الخطاب مع عبد الله بن الأرقم[٣] على بيت المال ، قال : إن عمر خرج ليلة في رمضان ، فخرج معه عبد الرحمن بن عبد القارى فطاف في المسجد ، وأهل المسجد أوزاع متفرقون يصلي الرجل لنفسه ، ويصلي الرجل فيصلي بصلاته الرهط فقال عمر رضي الله عنه ، والله إني لأظن لو جمعت هؤلاء على قارئ واحد يكون أمثل ، ثم عزم عمر على ذلك وأمر أبي بن كعب أن يقوم بهم في رمضان ، فخرج عليهم والناس يصلون بصلاة قارئهم ، فقال عمر رضي الله عنه نعمت البدعة هذه ، والتي ينامون عنها أفضل من التي يقومون ، يريد آخر الليل ، وكان الناس يقومون أوله ، وقال : كانوا يلعنون الكفرة في النصف يقولون : اللهم قاتل الكفرة الذين يصدون عن سبيلك ويكذبون رسلك ، ولا يؤمنون بوعدك ، وخالف بين كلمتهم ، وألق في قلوبهم الرعب ، وألق عليهم رجزك وعذابك إله الحق . ثم يصلي على النبي ﷺ ، ثم يدعو للمسلمين ما استطاع من خير ، ثم يستغفر للمؤمنين ، قال : فكان يقول إذا فرغ من لعنة الكفار ، وصلاته على

---

(١) عروة بن الزبير بن العوام الأسدي أبو عبد الله المدني ، تابعي ثقة فقيه مشهور ، ولد في أوائل خلافة الفاروق ، وتوفي سنة أربع وتسعين على الصحيح . تهذيب التهذيب (٧ / ١٨٠ - ١٨٥) .

(٢) عبد الرحمن بن عبد من غير إضافة القارئ بتشديد الياء من ولد القارة ابن الديش ، ذكره العجلي في ثقات التابعين واختلف قول الواقدي فيه قال تارة له صحبة ، وتارة تابعي ، مات سنة ثمان وثمانين تقريب التهذيب (٢٠٦) .

(٣) عبد الله بن الأرقم بن عبد يغوث بن وهب القرشي الزهري ، صحابي أسلم يوم الفتح ، وكتب للنبي ﷺ ولأبي بكر وعمر وكان على بيت المال أيام عمر ، وتوفي في خلافة عثمان . الإصابة (٢ / ٢٦٥) .

النبي ﷺ واستغفاره للمؤمنين ، ومسألته : اللهم إياك نعبد ، ولك نصلي ونسجد ، وإليك نسعى ونحفد[١] ونرجو رحمتك ، ونخاف عذابك إن عذابك الجد لمن عاديت ملحق ، ثم يكبر ويهوي ساجدا[٢] .

وروى إسماعيل بن اسحاق بسنده عن قتادة ، عن عبد الله بن الحارث[٣] أنَّ أبا حليمة ـ معاذا ـ[٤] كان يصلى على النبي ﷺ في القنوت[٥] [٦] .

الموطن الرابع من مواطن الصلاة عليه ﷺ : في صلاة الجنازة بعد التكبيرة الثانية :

لا خلاف في مشروعيتها فيها ، واختلف في توقف صحة الصلاة عليها . فقال الشافعي ، وأحمد في المشهور من مذهبهما : إنها واجبة في الصلاة ،

(١) « وإليك نسعى ونحفد » أي نسرع في العمل والخدمة . النهاية (١ / ٤٠٦) .

(٢) أخرجه الشافعي في الأم (١ / ٢٣٩ - ٢٤٠) والبيهقي في السنن (٤ / ٣٩) ورجاله كلهم ثقات .

(٣) عبد الله بن الحارث الأنصاري أبو الوليد البصري ، ثقة من رجال الشيخين .
تهذيب التهذيب (٥ / ١٨١ - ١٨٢) .

(٤) معاذ بن الحارث الأنصاري النجاري أبو حليمة ويقال أبو الحارث المدني القاري ، قال ابن عبد البر شهد الخندق ، ويقال لم يدرك من حياة رسول الله ﷺ إلا ست سنين ، وهو الذي أقامه عمر فيمن أقام في رمضان ليصلي التراويح ، يقال إنه قتل يوم الحرة .
تهذيب التهذيب (١٠ / ١٨٨ - ١٨٩) .

(٥) فضل الصلاة على النبي ﷺ (ص ٤٥) رقم ١٠٧ ، قال الألباني : « إسناده موقوف صحيح ، وأبو حليمة معاذ هو ابن الحارث الأنصاري القاري قال ابن أبي حاتم : (٤ / ١ / ٢٤٦) « وهو الذي أقامه عمر يصلي بهم في شهر رمضان صلاة التراويح » وعبد الله بن الحارث هو أبو الوليد البصري ثقة من رجال الشيخين » . ورواه ابن نصر في « قيام الليل » (ص ١٣٦) بلفظ « كان يقوم في القنوت في رمضان يدعو ويصلي على النبي ﷺ ، ويستسقي الغيث » .

(٦) جلاء الأفهام (ص ٢٧٩ - ٢٨١) .

لا تصح إلا بها ، ورواه البيهقي عن عبادة بن الصامت وغيره من الصحابة .

وقال مالك وأبو حنيفة : تستحب وليست بواجبة ، وهو وجه لأصحاب الشافعي .

والدليل على مشروعيتها في صلاة الجنازة ، ما روى الشافعي بسنده عن الزهري ، قال أخبرني أمامة بن سهل ، أنه أخبره رجل من أصحاب النبي ﷺ أن السنة في الصلاة على الجنازة أن يكبر الإمام ثم يقرأ بفاتحة الكتاب بعد التكبيرة الأولى سرًا في نفسه ثم يصلي على النبي ﷺ ، ويخلص الدعاء للجنازة في التكبيرات لا يقرأ في شيء منهن ثم يسلم سرا في نفسه[١] .

وروى إسماعيل بن اسحاق في كتاب « الصلاة على النبي ﷺ » بسنده عن الزهري قال سمعت أبا أمامة بن سهل بن حنيف[٢] يحدث سعيد بن المسيب[٣] قال : إن السنة في صلاة الجنازة أن يقرأ بفاتحة الكتاب ، ويصلي على النبي ﷺ ثم يخلص الدعاء للميت حتى يفرغ ، ولا يقرأ إلا مرة واحدة ، ثم يسلم في نفسه[٤] .

---

(١) الأم (١ / ٢٣٩ - ٢٤٠) والبيهقي في السنن الكبرى (٤ / ٣٩) .

(٢) أبو أمامة بن سهل بن حنيف الأنصاري ، ولد في حياة النبي ﷺ وسمي باسم جده لأمه أسعد بن زرارة وكني بكنيته ، وكان من أكابر الأنصار وعلمائهم ، توفي سنة مائة للهجرة . تهذيب التهذيب (١ / ٢٦٣ - ٢٦٤) .

(٣) سعيد بن المسيب بن حزن المخزومي القرشي ، وسيد التابعين وأحد فقهاء المدينة السبعة ، وكان زاهدًا ورعًا يعيش من كسب يده توفي سنة ٩٤ هـ . تهذيب التهذيب (٤ / ٨٤ - ٨٨) .

(٤) فضل الصلاة على النبي ﷺ (ص ٣٩) رقم ٩٤ . و قال الألباني في تعليقه على هذا الكتاب : إسناده صحيح ، وأبو أمامة هذا صحابي صغير كما قال ابن القيم ، وقد رواه عن جماعة من الصحابة ، فقال يونس عن ابن شهاب ، قال أخبرني أبو أمامة بن سهل بن حنيف - وكان من كبراء الأنصار وعلمائهم ، وأبناء الذين شهدوا بدرا مع رسول الله ﷺ - أخبره رجال من أصحاب رسول الله في الصلاة على الجنازة أن يكبر الإمام ثم يصلي على النبي ﷺ الحديث نحوه وزاد : قال الزهري : حدثنا بذلك أبو أمامة وابن المسيب يسمع فلم ينكر ذلك عليه . =

وأبو أمامة هذا صحابي صغير ، وقد رواه عن صحابي آخر كما ذكره الشافعي .

وقال صاحب « المغني »[١] يروى عن ابن عباس أنه صلى على جنازة بمكة فكبر ، ثم قرأ وجهر وصلى على النبي ﷺ ، ثم دعا لصاحبه فأحسن ثم انصرف ، وقال : هكذا ينبغي أن تكون الصلاة على الجنازة .

وفي الموطأ برواية يحيى بن يحيى الليثي[٢] حدثنا مالك بن أنس عن سعيد بن أبي سعيد المقبري[٣] عن أبيه[٤] أنه سأل أبا هريرة كيف نصلي على الجنازة ؟ فقال أبو هريرة رضي اللَّه عنه : أنا لعمر اللَّه أخبرك ، أتبعها من أهلها ، فإذا وضعت كبرت وحمدت اللَّه تعالى ، وصليت على النبي ﷺ ، ثم أقول :

= قال ابن شهاب : فذكرت الذي أخبرني أبو أمامة من السنة في الصلاة على الميت لمحمد بن سويد فقال وأنا سمعت الضحاك بن قيس يحدث عن حبيب بن مسلمة في صلاة صلاها على الميت مثل الذي حدثنا أبو امامة .

أخرجه الحاكم (١ / ٣٦٠) وعنه البيهقي (٤ / ٣٩ ، ٤٠) وقال الحاكم : « صحيح على شرط الشيخين » ووافقه الذهبي ، وهو كما قالا ، ورواه النسائي (١ / ٢٨١) من طريق الليث عن ابن شهاب به مختصرا » انتهي .

(١) (٢ / ٤٨٦) .

(٢) يحيى بن يحيى بن أبي عيسى كثير بن وسلاس الليثي بالولاء ، أبو محمد عالم الأندلس في عصره بربري الأصل ، سمع الموطأ من مالك قال عنه الإمام مالك هذا عاقل أهل الأندلس ، توفي بقرطبة سنة ٢٣٤ هـ . الأعلام (٨ / ١٧٦) .

(٣) سعيد بن كيسان المقبري أبو سعد المدني ، ثقة جليل تغير قبل موته بأربع سنين ، مات في حدود العشرين ومائة وقيل قبلها وقيل بعدها . تهذيب التهذيب (٤ / ٣٨ - ٤٠) .

(٤) كيسان أبو سعيد المقبري مولى أم شريك ، تابعي ثقة كثير الحديث توفي سنة مائة للهجرة . تهذيب التهذيب (٨ / ٤٥٣ - ٤٥٤) .

اللهم إنه عبدك وابن عبدك ، وابن أمتك ، كان يشهد أن لا إله إلا أنت ، وأن محمدًا عبدك ورسولك ، وأنت أعلم به ، اللهم إن كان محسنا فزد في إحسانه ، وإن كان مسيئا فتجاوز عن سيئاته ، اللهم لا تحرمنا أجره ولا تفتنا بعده »[١] .

إذا تقرر هذا فالمستحب أن يصلى عليه ﷺ في الجنازة كما يصلى عليه في التشهد ، لأن النبي ﷺ علم ذلك أصحابه لما سألوه عن كيفية الصلاة عليه .

وفي مسائل « عبد الله بن أحمد » عن أبيه قال : يصلى على النبي ﷺ ويصلى على الملائكة المقربين .

قال القاضي : يقول : اللهم صل على ملائكتك المقربين وأنبيائك والمرسلين ، وأهل طاعتك أجمعين من أهل السموات والأرضين ، إنك على كل شيء قدير[٢] .

الموطن الخامس من مواطن الصلاة عليه ﷺ : في الخطب كخطبة الجمعة والعيدين ، والإستسقاء ، وغيرها :

وقد اختلف في اشتراطها لصحة الخطبة

قال الشافعي وأحمد في المشهور من مذهبهما : لا تصح الخطبة إلا بالصلاة عليه ﷺ .

وقال أبو حنيفة ومالك : تصح بدونها ، وهو وجه في مذهب أحمد واحتج لوجوبها في الخطبة بقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ * وَوَضَعْنَا عَنكَ

---

(١) الموطأ (ص ١٥١ - ١٥٢) ح ٥٣٥، وأخرجه إسماعيل القاضي في كتابه فضل الصلاة على النبي ﷺ (ص ٣٩) ح ٩٣ . وقال الألباني المحقق عند تعليقه عليه : إسناده موقوف صحيح على شرط الشيخين . وأخرجه البيهقي في السنن (٤ / ٤٠) .

(٢) جلاء الأفهام (ص ٢٨١ - ٢٨٤) .

وِزْرَكَ * ٱلَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ * وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾[١]

قال ابن عباس رضي الله عنهما : رفع الله ذكره ، فلا يذكر إلا ذكر معه .

وفي هذا الدليل نظر ، لأن ذكره ﷺ مع ذكر ربه هو الشهادة له بالرسالة إذا شهد لمرسله بالوحدانية ، وهذا هو الواجب في الخطبة قطعا بل هو ركنها الأعظم ، وقد روى أبو داود ، وأحمد وغيرهما من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال : « كل خطبة ليس فيها تشهد فهي كاليد الجذماء[٢] واليد الجذماء : المقطوعة ، فمن أوجب الصلاة على النبي ﷺ في الخطبة دون التشهد فقوله في غاية الضعف .

وقد روى ابن جرير في تفسيره بسنده عن قتادة ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة ، فليس خطيب ولا متشهد ، ولا صاحب صلاة إلا ينادى بها : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله[٣] .

وعن الضحاك ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ قال إذا ذكرت ذكرت معي ولا يجوز خطبة ولا نكاح إلا بذكرك[٤] معي .

وعن مجاهد ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ قال : لا أذكر إلا ذكرت معي أشهد

---

(١) الآيات (١ - ٤) من سورة الشرح .

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٢ / ٣٠٢ ، ٣٤٣) .
وأخرجه أبو داود في سننه ، كتاب الأدب ، باب في الخطبة (٥ / ١٧٣) ح ٤٨٤١ وأخرجه الترمذي في سننه ، كتاب النكاح ، باب ما جاء في خطبة النكاح (٣ / ٤١٤) ح ١١٠٦ وقال هذا حديث حسن صحيح غريب .

(٣) تفسير الطبري (٣٠ / ٢٣٥) .

(٤) أورده السيوطي في الدر المنثور وعزاه لعبد بن حميد (٦ / ٣٦٣) .

أن لا إله إلا اللَّه وأشهد أن محمدا رسول اللَّه[١] .

فهذا هو المراد من الآية ، وكيف لا يجب التشهد الذي هو عقد الإسلام في الخطبة ، وهو أفضل كلماتها وتجب الصلاة على النبي ﷺ فيها .

والدليل على مشروعية الصلاة على النبي ﷺ في الخطبة ما رواه الإمام أحمد في المسند بسنده عن عون بن أبي جحيفة[٢]قال : كان أبي[٣]من شرط علي ، وكان تحت المنبر ، فحدثني : أنه صعد المنبر - يعني عليا - رضي اللَّه عنه فحمد اللَّه وأثنى عليه وصلى على النبي ﷺ وقال خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر والثاني عمر ، وقال يجعل اللَّه الخير حيث شاء[٤] .

قال ابن القيم : « وقد كانت الصلاة على النبي ﷺ في الخطب أمرًا مشهورًا معروفًا عند الصحابة رضي اللَّه عنهم أجمعين .

أما وجوبها فيعتمد دليلا يجب المصير إليه وإلى مثله[٥] .

الموطن السادس من مواطن الصلاة عليه ﷺ : الصلاة عليه بعد إجابة المؤذن وعند الإقامة :

لما روى مسلم في صحيحه من حديث عبد اللَّه بن عمرو أنه سمع رسول اللَّه

---

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٣٠ / ٢٣٥) .

(٢) عون بن أبي جحيفة وهب بن عبد اللَّه السوائي الكوفي ، ثقة من الرابعة ، مات سنة ست عشرة ومائة . تهذيب التهذيب (٨ / ١٧٠) .

(٣) واسمه وهب بن عبد اللَّه السوائي (بضم المهملة) ويقال اسم أبيه وهب ايضا ، أبو جحيفة مشهور بكنيته ، ويقال له وهب الخير ، قدم على النبي ﷺ في أواخر عمره وحفظ عنه ثم صحب عليا بعده وولاه شرطة الكوفة . مات سنة أربع وستين . الإصابة (٣ / ٦٠٦) .

(٤) المسند (١ / ١٠٦) .

(٥) جلاء الأفهام (ص ٢٨٦) .

ﷺ يقول : « إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي ، فإن من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرا ، ثم سلوا الله لي الوسيلة ، فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله تعالى ، وأرجو أن أكون أنا هو ، فمن سأل الله لي الوسيلة حلت عليه شفاعتي »(١).

الموطن السابع من مواطن الصلاة عليه ﷺ : عند الدعاء :

والدليل على ذلك حديث فضالة بن عبيد(٢) رضي الله عنه قال : سمع رسول الله ﷺ رجلا يدعو في صلاة لم يحمد الله ولم يصل على النبي ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : « عجل هذا » ثم دعاه ، فقال له أو لغيره : « إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد ربه والثناء عليه ثم يصلي على النبي ﷺ ، ثم يدعو بما شاء »(٣).

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : « إن الدعاء موقوف بين السماء والأرض لا يصعد منه شيء حتى تصلي على نبيك ﷺ »(٤).

(١) تقدم تخريجه ص ٣٢٦

(٢) فضالة بن عبيد بن نافذ بن قيس الأنصاري الأوسي ، صحابي جليل أسلم قديما ولم يشهد بدرًا ، وشهد أحدًا فما بعدها وشهد فتح مصر والشام قبلها ، مات في خلافة معاوية .
الإصابة (٣ / ٢٠١) .

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٦ / ١٧) . ، وأخرجه أبو داود في سننه ، كتاب الصلاة ، باب الدعاء (٢ / ١٦٢) ح ١٤٨١ ، وأخرجه الترمذي في سننه كتاب الدعوات ، باب ادع تجب (٥ / ٥١٧) ح ٣٤٧٣ ، ٣٤٧٥ وقال : حديث حسن صحيح . وأخرجه النسائي في سننه (٣ / ٤٤) باب التمجيد والصلاة على النبي ﷺ . والحاكم في المستدرك (١ / ٢٣٢) وصححه ووافقه الذهبي .

(٤) أخرجه الترمذي في سننه ، باب ما جاء في فضل الصلاة على النبي ﷺ (٢ / ٣٥٦) . وقال أحمد شاكر بهامشه : « هذا موقوف بحكم المرفوع » وذكره الألباني في صحيح سنن الترمذي (١ / ١٥٠ ، ١٥١) . وقال : « حسن - الصحيحه ٢٠٣٥ » .

الموطن الثامن من مواطن الصلاة على النبي ﷺ : عند دخول المسجد وعند الخروج منه

لما في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « إذا دخل أحدكم المسجد فليسلم على النبي ﷺ ، وليقل : اللهم افتح لي أبواب رحمتك ، وإذا خرج فليسلم على النبي ﷺ وليقل : اللهم أجرني من الشيطان الرجيم »(١) .

وعن فاطمة بنت الحسين(٢) عن جدتها فاطمة الكبرى(٣) قالت : « كان رسول الله ﷺ إذا دخل المسجد صلى على محمد وسلم ، وقال : « رب اغفر لي ذنوبي وافتح لي أواب رحمتك ، وإذا خرج صلى على محمد وسلم وقال : « رب اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب فضلك »(٤) .

---

(١) صحيح ابن خزيمة (٤٥٢) وابن حبان (٣٢١) موارد .

(٢) فاطمة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمية المدنية روت عن أبيها وأخيها زين العابدين وغيرهم ، وزوجها هو ابن عمها الحسن بن الحسن بن علي ، وتزوجها بعده عبد الله بن عمرو بن عثمان . وذكرها ابن حبان في الثقات ، وقال : ماتت وقد قاربت التسعين .
تهذيب التهذيب (١٢ / ٤٤٢ - ٤٤٣) .

(٣) فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ ، أم الحسنين سيدة نساء هذه الأمة ، تزوجها علي بن أبي طالب رضي الله عنهما في السنة الثانية للهجرة ، وماتت بعد النبي ﷺ بستة أشهر وقد جاوزت العشرين بقليل . تقريب التهذيب (ص ٤٧١) .

(٤) أخرجه بهذا اللفظ : الإمام أحمد في المسند (٦ / ٢٧٢) . والترمذي في السنن أبواب الصلاة باب ما جاء ما يقول عند دخول المسجد (٢ / ١٢٧ ، ١٢٨) ح ٣١٤ ، وقال الترمذي : « وفي الباب عن أبي حميد ، وأبي أسيد ، وأبي هريرة » ، وقال : « حديث فاطمة حديث حسن ، وليس إسناده بمتصل وفاطمة بنت الحسين لم تدرك فاطمة الكبرى ، وإنما عاشت فاطمة بعد النبي ﷺ أشهرا » . وأخرجه بلفظ : « إذا دخل المسجد يقول « بسم الله والسلام على رسول الله اللهم =

قال شيخ الإسلام ابن تيمية « والصلاة والسلام عليه عند دخول المسجد

= اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك » وإذا خرج قال « بسم الله والسلام على رسول الله ، اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب فضلك » . الإمام أحمد في المسند (٦ / ٢٨٣) . وابن ماجة في السنن ، أبواب المساجد ، الدعاء عند دخول المسجد (١ / ١٣٩) ح ٧٥٥ وله شاهد من حديث أبي حميد وأبي أسيد الأنصاري قال : قال رسول الله ﷺ « إذا دخل أحدكم المسجد فليسلم على النبي ﷺ ثم ليقل : اللهم افتح لي أبواب رحمتك ، فإذا خرج فليقل : اللهم إني أسألك من فضلك » . أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب الصلاة ، باب فيما يقوله الرجل عند دخوله المسجد (١ / ٣١٧ ، ٣١٨) ح ٤٦٥ وهو عند مسلم في صحيحه كتاب صلاة المسافرين باب ما يقول إذا دخل المسجد (٢ / ١٥٥) بلفظ « إذا دخل المسجد فليقل اللهم افتح لي أبواب رحمتك » وإذا خرج فليقل : « اللهم افتح لي أبواب فضلك » وهو عند أحمد بهذا اللفظ (٥ / ٤٢٥) . وهو عند النسائي بهذا اللفظ أيضا ، انظر السنن كتاب المساجد باب القول عند دخول المسجد والخروج منه (٢ / ٥٣) وفي سنن ابن ماجه ، أبواب المساجد ، باب الدعاء عند دخول المسجد (١ / ١٣٩) ح ٧٥٦ ، قال رسول الله ﷺ : « إذا دخل أحدكم المسجد فليسلم ثم ليقل « اللهم افتح لي أبواب رحمتك وإذا خرج فليقل « اللهم إني أسألك من فضلك » . وله شاهد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إذا دخل أحدكم المسجد فليسلم على النبي ﷺ وليقل : اللهم افتح لي أبواب رحمتك ، وإذا خرج فليسلم على النبي ﷺ وليقل اللهم اعصمني من الشيطان الرجيم » أخرجه ابن ماجة في سننه ، أبواب المساجد ، باب الدعاء عند دخول المسجد (١ / ١٣٩) ح ٧٥٧ ، وقال البوصيري في الزوائد : إسناده صحيح ورجاله ثقات وأخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة ، باب ما يقول إذا دخل المسجد ح ٩٠ وفيه : فليقل : « اللهم باعدني من الشيطان » بدل قوله : « اللهم اعصمني من الشيطان الرجيم » . وأخرجه من طريق آخر عن أبي هريرة ولم يذكر فيه السلام ح ٩١ ، ٩٢ وتعرض النسائي هنا لاختلاف ألفاظ الحديث فليراجع .

والحديث أخرجه ابن خزيمة في صحيحه (٤٥٢) . وأخرجه الحاكم في المستدرك (١ / ٢٠٧) كتاب الصلاة ولفظه عند الحاكم « إذا دخل أحدكم المسجد فليصل على النبي ﷺ وليقل : اللهم أجرني من الشيطان الرجيم » وقال الحاكم : حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي . والحديث صححه الألباني في صحيح الجامع (٥٢٨) .

مأثور عنه ﷺ وعن غير واحد من الصحابة والتابعين »[١] .

وقال القاضي عياض : « ومن مواطن الصلاة والسلام عند دخول المسجد » وذكرا عددًا من الآثار عن بعض الأئمة[٢] .

الموطن التاسع من مواطن الصلاة عليه ﷺ : على الصفا والمروة

لما روى إسماعيل بن إسحاق القاضي بسنده عن نافع[٣] أن عمر رضي اللَّه عنه كان يكبر على الصفا ثلاثا ، ويقول : لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، ثم يصلي على النبي ﷺ ، ثم يدعو ويطيل القيام والدعاء ، ثم يفعل على المروة نحو ذلك[٤] .

وعن وهب بن الأجدع[٥] قال : سمعت عمر بن الخطاب رضي اللَّه عنه يخطب الناس بمكة يقول : إذا قدم الرجل منكم حاجا فليطف بالبيت سبعا وليصل عند المقام ركعتين ثم يستلم الحجر الأسود ، ثم يبدأ بالصفا ، فيقوم عليها ويستقبل البيت فيكبر سبع تكبيرات بين كل تكبيرتين حمد اللَّه عز وجل

---

(١) الرد على الأخنائي (ص ١٤٧) .

(٢) الشفا (٢ / ٦٣٧) .

(٣) نافع الفقيه مولى ابن عمر أبو عبد اللَّه المدني ، ثقة ثبت فقيه مشهور قال البخاري : « أصح الأسانيد مالك عن نافع عن ابن عمر » مات سنة سبع عشرة ومائة أو بعد ذلك .
تهذيب التهذيب (١٠ / ٤١٢ - ٤١٤) .

(٤) كتاب فضل الصلاة على النبي ﷺ (ص ٣٦ - ٣٧) ح ٨٧ .
وقال الألباني في تعليقه عليه : « إسناده موقوف منقطع فإن نافعا لم يدرك عمر ، ولكن في « جلاء الأفهام » نقلا عن المصنف « أن ابن عمر » فان صح هذا فيكون قد سقط من نسختنا لفظة (ابن) ويكون السند حينئذ متصلا صحيحا ، وهذا مما أستبعده ، واللَّه أعلم » انتهى كلامه .

(٥) وهب بن الأجدع الهمداني الخارفي الكوفي ، تابعي ثقة ، روي عن عمر وعلي وعنه هلال بن سياف والشعبي ، وكان قليل الحديث . تهذيب التهذيب (١ / ١٥٨) .

وثناء عليه عز وجل ، وصلاة على النبي ﷺ ، ومسألة لنفسه وعلى المروة مثل ذلك[١] .

الموطن العاشر من مواطن الصلاة عليه ﷺ : عند اجتماع القوم قبل تفرقهم :

فعن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال : قال رسول اللّه ﷺ « ما جلس قوم مجلسا فلم يذكروا اللّه ولم يصلوا على نبيه ﷺ إلا كان مجلسهم عليهم ترة[٢] يوم القيامة ، إن شاء عفا عنهم ، وإن شاء أخذهم »[٣].

وعن أبي سعيد الخدري رضي اللّه عنه قال : « ما جلس قوم مجلسًا لم يصل فيه على النبي ﷺ إلا كانت عليهم حسرة وإن دخلوا الجنة »[٤] .

---

(١) أخرجه إسماعيل بن إسحاق القاضي في كتاب فضل الصلاة على النبي ﷺ (ص ٣٤) ح ٨١ وأورده ابن القيم في جلاء الأفهام (ص ٢٩٢ - ٢٩٣) وعزاه لجعفر بن عون وأبي ذر الهروي . وأورده السخاوي في القول البديع (ص ٢٠٩) وعزاه للبيهقي وإسماعيل القاضي وأبي ذر الهروي وقال - أي السخاوي - إسناده قوي .

(٢) « ترة » : النقص ، وقيل التبعة . النهاية (١ / ١٨٩) .

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٢ / ٤٤٦ ، ٤٥٣ ، ٤٨١ ، ٤٨٤) وأخرجه الترمذي في السنن ، كتاب الدعاء ، باب في القوم يجلسون لا يذكرون اللّه (٥ / ٤٦١) ح ٣٣٨٠ وقال حديث حسن صحيح . وأخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة (ص ١٥٩) ح ٤٤٩ وأخرجه الحاكم في المستدرك (١ / ٤٩٦) وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وصالح ليس بالساقط وتعقبه الذهبي بقوله صالح ضعيف . وأخرجه ابن حبان في صحيحه . انظر : موارد الظمآن (٢٣٢٢) .

(٤) أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة (ص ٣١٤) ح ٤١٠
وأخرجه إسماعيل بن إسحاق في فضل الصلاة على النبي ﷺ (ص ٢٢) ح ٥٥
وقال الألباني في تعليقه عليه : « إسناده صحيح موقوف ولكنه في حكم المرفوع » .

وعن جابر أن رسول الله ﷺ قال : « ما جلس قوم مجلسًا ثم تفرقوا من غير صلاة على النبي ﷺ إلا تفرقوا على أنتن من ريح جيفة »[١] .

الموطن الحادي عشر من مواطن الصلاة عليه ﷺ : عند ذكره

قال ابن القيم : « وقد اختلف في وجوبها كلما ذكر اسمه ﷺ فقال أبو جعفر الطحاوي[٢] وابو عبيد الله الحليمي : تجب الصلاة عليه ﷺ كلما ذكر اسمه .

وقال غيرهما : إن ذلك مستحب ، وليس بفرض يأثم تاركه . ثم اختلفوا : فقالت فرقة : تجب الصلاة عليه في العمر مرة واحدة ، لأن الأمر مطلق لا يقتضي تكرارا ، والماهية تحصل بمرة ، وهذا محكي عن أبي حنيفة ومالك ، والثوري ، والأوزاعي[٣] .

قال القاضي عياض وابن عبد البر : وهو قول جمهور الأمة .

وقالت فرقة : بل تجب في كل صلاة في تشهدها الأخير كما تقدم ، وهو قول الشافعي وأحمد في آخر الروايتين عنه ، وغيرهما .

وقالت فرقة : الأمر بالصلاة عليه أمر استحباب لا أمر إيجاب ، وهذا قول ابن جرير وطائفة ، وادعى ابن جرير فيه الإجماع ، وهذا على أصله فإنه إذا رأي الأكثرين على قول ، جعله إجماعا يجب اتباعه .

---

(١) أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة (ص ٣١٤) ح ٤١١ .

(٢) أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الطحاوي ، أبو جعفر ، فقيه انتهت إليه رياسة الحنفية بمصر ، وهو أحد الثقات الأثبات الحفاظ ، توفي سنة ٣٢١ هـ . الأعلام (١ / ٢٠٦) .

(٣) عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي ، أصله من سبي السند استقر بدمشق وهو من شيوخ الإسلام كان عابدًا مجاهدًا ، قال عنه الحاكم : « الأوزاعي إمام عصره عموما وإمام أهل الشام خصوصا » ، توفي ببيروت عام ١٥٧ هـ . البداية والنهاية (١٠ / ١١٥ - ١٢٠) .

واحتج الموجبون بحجج :

الحجة الأولى : حديث أبي هريرة رضي اللّه عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي ، ورغم أنف رجل دخل عليه رمضان ثم انسلخ قبل أن يغفر له ، ورغم أنف رجل أدرك عنده أبواه الكبر فلم يدخلاه الجنة »[(١)] .

ورغم أنفه : دعاء عليه وذم له ، وتارك المستحب لا يذم ولا يدعى عليه

الحجة الثانية : حديث أبي هريرة رضي اللّه عنه ، عن النبي ﷺ ، أنه صعد المنبر فقال : « آمين ، آمين ، آمين ، فقيل له : يارسول اللّه ، ما كنت تصنع هذا ؟ فقال : « قال لي جبريل رغم أنف عبد دخل عليه رمضان ولم يغفر له ، فقلت : آمين ، ثم قال : رغم أنف عبد أدرك أبويه أو أحدهما الكبر لم يدخل الجنة ، فقلت : آمين ثم قال : رغم أنف عبد ذكرت عنده فلم يصل عليك ، فقلت : آمين[(٢)] » .

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه ، كتاب الدعوات ، باب قول النبي ﷺ : « رغم أنف رجل » (٥ / ٥٥٠) ح ٣٥٤٥ وقال : « وهذا حديث حسن غريب من هذا الوجه » . وأخرجه الحاكم في المستدرك (١ / ٥٤٩) وصححه ووافقه الذهبي .
وأخرجه إسماعيل بن اسحاق القاضي في كتابه فضل الصلاة على النبي ﷺ (ص ٩) ح ١٦ وقال الألباني في تعليقه عليه إسناده صحيح ، رجاله رجال الصحيح .

(٢) أخرجه إسماعيل بن إسحاق القاضي في كتابه فضل الصلاة على النبي ﷺ (ص ٩) ح ١٨ وقال الألباني في تعليقه عليه : « إسناده حسن » . وأخرجه ابن حبان في صحيحه . انظر : موارد الظمآن (٢٣٨٧) والحديث روي كذلك من طرق أخرى عن كل من :
١ - كعب بن عجرة رضي اللّه عنه :
أخرجه إسماعيل بن إسحاق في كتابه فضل الصلاة على النبي ﷺ (ص ١٠) ح ١٩ .
وأخرجه الحاكم في المستدرك (٤ / ١٥٣ ، ١٥٤) وصححه ووافقه الذهبي . =

الحجة الثالثة : حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من ذكرت عنده فليصل علي ، فإنه من صلى علي مرة صلى الله عليه عشرا ﷺ »[1] . وهذا إسناد صحيح والأمر ظاهره الوجوب .

الحجة الرابعة : حديث الحسين بن علي[2] رضي الله عنهما عن النبي ﷺ

= ٢ - أنس بن مالك رضي الله عنه :

قال السخاوي في القول البديع (ص ١٤٨) أخرجه ابن أبي شيبة والبزار في مسنديهما .

٣ - مالك بن الحويرث رضي الله عنه :

أخرجه ابن حبان في صحيحه (٢٣٨٦) موارد ، وقال السخاوي (ص ١٤٨) أخرجه ابن حبان في صحيحه وثقاته معا ، والطبراني ورجاله ثقات لكن فيهم عمران بن أبان الواسطي وهو وإن وثقه ابن حبان وأخرج حديثه هذا في صحيحه فقد ضعفه غير واحد .

٤ - جابر بن عبد الله رضي الله عنه :

أخرجه البخاري في الأدب المفرد (ص ٩٥) . وقال السخاوي في كتابه القول البديع (ص ١٤٨) : رواه البخاري في الأدب المفرد والطبري في تهذيبه والدارقطني في الأفراد وهو حديث حسن ونحوه من وجه آخر عند الطبراني في الأوسط وابن السني في عمل اليوم والليلة ، وأشار إليه الترمذي في جامعه بقوله وفي الباب عن جابر وقد أخرجه النسائي وساقه الضياء في المختارة من طريق الطيالسي وقال هذا عندي على شرط مسلم . انتهي وفي ذلك نظر والله أعلم .

٥ - جابر بن سمرة :

قال السخاوي : أخرجه الدارقطني في الأفراد والبزار في مسنده ، والطبراني في الكبير والدقيقي في أماليه . وللحديث طرق أخرى ذكرها السخاوي في القول البديع (ص ١٤٧ - ١٥١) ولا يتسع المجال هنا لذكرها . قال ابن القيم « ولا ريب أن الحديث بتلك الطرق المتعددة تفيد الصحة » جلاء الأفهام (ص ٢٩٥) .

(١) أخرجه النسائي في اليوم والليلة رقم (٦١) وابن السني (٣٨٣) وإسناده صحيح . وأخرجه البخاري في الأدب المفرد (٦٤٣) .

(٢) الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي أبو عبد الله المدني سبط رسول الله ﷺ وريحانته من الدنيا ، وأحد سيدي شباب أهل الجنة ، استشهد يوم عاشوراء سنة إحدى وستين وله ست وخمسون سنة . الإصابة (١ / ٣٣١ - ٣٣٤) .

أنه قال : « إن البخيل من ذكرت عنده فلم يصل عليّ »[1] .

وعن عوف بن مالك الأشجعي أن رسول الله ﷺ قعد أو قعد أبو ذر ـ فذكر حديثا طويلا ـ وفيه قال رسول الله ﷺ : « إن أبخل الناس من ذكرت عنده فلم يصل عليّ »[2] .

قالوا : فإذا ثبت أنه بخيل فوجه الدلالة به من وجهين :

أحدهما : أن البخل اسم ذم ، وتارك المستحب لا يستحق اسم الذم قال الله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ * ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ ﴾[3] فقرن البخل بالاختيال والفخر ، والآمر بالبخل ، وذم على المجموع ، فدل على أن البخل صفة ذم ، وقال النبي ﷺ : « وأي داء أدوأ من البخل »[4] .

الثاني : أن البخيل هو مانع ما وجب عليه ، فمن أدى الواجب عليه كله لم يسم بخيلا ، وإنما البخيل مانع ما يستحق عليه إعطاؤه وبذله .

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند (١ / ٢٠١) . والترمذي في سننه ، كتاب الدعوات ، باب قول رسول لله ﷺ « رغم أنف رجل » (٥ / ٥٥١) ح ٣٥٤٦ وقال : حديث حسن صحيح غريب والنسائي في اليوم والليلة (٥٥) . وابن حبان في « صحيحه » (٢٣٨٨) موارد .
والحاكم في المستدرك (١ / ٥٤٩) وصححه ووافقه الذهبي .
وأخرجه إسماعيل بن إسحاق القاضي في فضل الصلاة على النبي ﷺ (ص ١٥) ح ٣٣ .

(٢) أخرجه إسماعيل بن إسحاق القاضي (ص ١٦) رقم ٣٧ وقال الألباني في تعليقه عليه : حديث صحيح بشاهده المتقدم والآتي بعده ، ورجال إسناده ثقات لولا الرجل الذي لم يسم . وقد رواه ابن أبي عاصم في « كتاب الصلاة » من طريق أخرى عن علي بن يزيد عن القاسم عن أبي ذر ، فأحد الطريقين يقوى الآخر .

(٣) الآيتان (٢٣ - ٢٤) من سورة الحديد .

(٤) أخرجه البخاري في الأدب المفرد رقم (٢٩٦) عن جابر رضي الله عنه والإمام أحمد في المسند (٣ / ٣٠٧) .

الحجة الخامسة : أن الله سبحانه وتعالى أمر بالصلاة والتسليم عليه ، والأمر المطلق للتكرار ، ولا يمكن أن يقال : التكرار هو كل وقت ، فإن الأوامر المكررة إنما تتكرر في أوقات خاصة ، أو عند شروط وأسباب تقتضي تكرارها ، وليس وقت أولى من وقت ، فتكرار المأمور بتكرار ذكر النبي ﷺ أولى لما تقدم من النصوص ، فهنا ثلاث مقدمات :

الأولى : أن الصلاة مأمور بها أمرا مطلقا ، وهذه معلومة .

المقدمة الثانية : أن الأمر المطلق يقتضي التكرار ، وهذا مختلف فيه فنفاه طائفة من الفقهاء والأصوليين . وأثبته طائفة . وفرقت طائفة بين الأمر المطلق والمعلق على شرط أو وقت ، فأثبتت التكرار في المعلق دون المطلق .

والأقوال الثلاثة في مذهب أحمد والشافعي ، وغيرهما .

ورجحت هذه الطائفة التكرار بأن عامة أوامر الشرع على التكرار كقوله تعالى : ﴿ ءَامِنُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾[1]وقوله ﴿ ٱدْخُلُوا فِي ٱلسِّلْمِ كَافَّةً ﴾[2]وقوله تعالى : ﴿ أَطِيعُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا ٱلرَّسُولَ ﴾[3]وقوله تعالى : ﴿ وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ ﴾[4] وقوله تعالى ﴿ وَأَقِيمُوا ٱلصَّلَاةَ وَآتُوا ٱلزَّكَاةَ ﴾[5]وقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ ﴾[6]وقوله تعالى : ﴿ وَخَافُونِ ﴾[7]

---

(١) الآية (٧) من سورة الحديد .

(٢) الآية (٢٠٨) من سورة البقرة .

(٣) الآية (٥٩) من سورة النساء .

(٤) الآية (١٩٤) من سورة البقرة .

(٥) الآية (٤٣) من سورة البقرة .

(٦) الآية (٢٠٠) من سورة آل عمران .

(٧) الآية (١٧٥) من سورة آل عمران .

وقوله : ﴿ وَٱخْشَوْنِي ﴾[(١)] ، وقوله : ﴿ وَٱعْتَصِمُوا بِٱللَّهِ ﴾[(٢)] ، وقوله : ﴿ وَٱعْتَصِمُوا بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا ﴾[(٣)] .

وذلك في القرآن أكثر من أن يحصر ، وإذا كانت أوامر الله ورسوله على التكرار حيث وردت إلا في النادر ، علم أن هذا عرف خطاب الله ورسوله للأمة، والأمر وإن لم يكن في لفظه المجرد ما يؤذن بتكرار ولا فور فلا ريب أنه في عرف خطاب الشارع للتكرار ، فلا يحمل كلامه إلا على عرفه والمألوف من خطابه ، وإن لم يكن ذلك مفهومًا من أصل الوضع في اللغة ، وهذا كما قلنا : إن الأمر يقتضي الوجوب ، والنهي يقتضي الفساد ، فإن هذا معلوم من خطاب الشارع وإن كان لا تعرض لصحة المنهي ولا لفساده في أصل موضوع اللغة ، وكذا خطاب الشارع لواحد من الأمة يقتضي معرفة الخاص أن يكون اللفظ متناولًا له ولأمثاله ، وإن كان موضوع اللفظ لغة لا يقتضي ذلك ، فإن هذا لغة صاحب الشرع وعرفه في مصادر كلامه وموارده ، وهذا معلوم بالاضطرار من دينه قبل أن يعلم صحة القياس واعتباره وشروطه ، وهكذا الفرق بين اقتضاء اللفظ وعدم اقتضائه لغة ، وبين اقتضائه في عرف الشارع وعادة خطابه .

المقدمة الثالثة : أنه إذا تكرر المأمور به ، فإنه لا يتكرر إلا بسبب أو وقت ، وأولى الأسباب المقتضية لتكراره ذكر اسمه ﷺ ، لإخباره برغم أنف من ذكر عنده فلم يصل عليه ، وللإسجال عليه بالبخل وإعطائه اسمه .

---

(١) الآية (١٥٠) من سورة البقرة .

(٢) الآية (٧٨) من سورة الحج .

(٣) الآية (١٠٣) من سورة آل عمران .

قالوا : ومما يؤيد ذلك أن الله سبحانه أمر عباده المؤمنين بالصلاة عليه عقب إخباره لهم بأنه وملائكته يصلون عليه ، لم يكن مرة وانقطعت . بل هي صلاة متكررة ، ولهذا ذكرها مبينًا بها فضله وشرفه وعلو منزلته عنده ، ثم أمر المؤمنين بها ، فتكرارها في حقهم أحق وآكد لأجل الأمر .

قالوا : ولأن الله أكد السلام بالمصدر الذي هو التسليم ، وهذا يقتضي المبالغة والزيادة في كميته ، وذلك بالتكرار .

قالوا : ولأن لفظ الفعل المأمور به يدل على التكثير وهو « صلى وسلم » فإن « فعّل » المشدد ، يدل على تكرار الفعل ، كقولك كسّر الخبز وقطّع اللحم ، وعلّم الخير ، وشدّد في كذا ، ونحوه .

قالوا : ولأن الأمر بالصلاة عليه في مقابل إحسانه إلى الأمة ، وتعليمهم وإرشادهم وهدايتهم ، وما حصل لهم ببركته من سعادة الدنيا والآخرة، ومعلوم أن مقابلة مثل هذا النفع العظيم لا يحصل بالصلاة عليه مرة واحدة في العمر ، بل لو صلى العبد عليه بعدد أنفاسه لم يكن موفيًا لحقه ولا مؤديًا لنعمته ، فجعل ضابط شكر هذه النعمة بالصلاة عليه عند ذكر اسمه ﷺ .

قالوا : ولهذا أشار النبي ﷺ إلى ذلك بتسميته من لم يصل عليه عند ذكره بخيلًا ، لأن من أحسن إلى العبد الإحسان العظيم ، وحصل له به هذا الخير الجسيم ، ثم يذكر عنده ولا يثني عليه ولا يبالغ في حمده ومدحه وتمجيده ، ويبدي ذلك ويعيده ، ويعتذر من التقصير في القيام بشكره وحقه ، عده الناس بخيلًا لئيمًا كفورًا فكيف بمن أدنى إحسانه إلى العبد يزيد على أعظم إحسان المخلوقين بعضهم لبعض الذي بإحسانه حصل للعبد خير الدنيا والآخرة ، ونجا من شر الدنيا والآخرة ، الذي لا تتصور القلوب حقيقةنعمته وإحسانه ، فضلًا

عن أن تقوم بشكره ، أليس هذا المنعم المحسن أحق بأن يعظم ويثنى عليه ، ويستفرغ الوسع في حمده ومدحه إذا ذكر بين الملأ ، فلا أقل من أن يصلى عليه مرة إذا ذكر اسمه ﷺ .

قالوا : ولهذا دعا عليه النبي ﷺ برغم أنفه ، وهو أن يلصق أنفه بالرغام وهو التراب ، لأنه لما ذكر عنده فلم يصل عليه استحق أن يذله الله ويلصق أنفه بالتراب .

قالوا : ولأن الله سبحانه نهي الأمة أن يجعلوا دعاء الرسول بينهم كدعاء بعضهم بعضا ، فلا يسمونه إذا خاطبوه باسمه ، كما يسمى بعضهم بعضا بل يدعونه برسول الله ونبي الله ، وهذا من تمام تعزيره وتوقيره وتعظيمه ، فهكذا ينبغي أن يخص باقتران اسمه بالصلاة عليه ، ليكون ذلك فرقا بينه وبين ذكر غيره ، كما كان الأمر بدعائه بالرسول والنبي فرقا بينه وبين خطاب غيره ، فلو كان عند ذكره لا تجب الصلاة عليه كان ذكره كذكر غيره في ذلك ، هذا على أحد التفسيرين في الآية ، وأما على التفسير الآخر وهو أن المعنى لا تجعلوا دعاءه إياكم كدعاء بعضكم بعضا فتؤخروا الإجابة بالاعتذار والعلل التي يؤخر بها بعضكم إجابة بعض ولكن بادروا إليه إذا دعاكم بسرعة الإجابة ومعاجلة الطاعة حتى لم يجعل اشتغالهم بالصلاة عذرا لهم في التخلف عن إجابته والمبادرة إلى طاعته فإذا لم تكن الصلاة التي فيها شغل عذرًا يستباح بها تأخير إجابته فكيف ما دونها من الأسباب والأعذار ؟ فعلى هذا يكون المصدر مضافًا إلى الفاعل ، وعلى القول الأول يكون مضافًا إلى المفعول .

وقد يقال ـ وهو أحسن من القولين ـ إن المصدر هنا لم يضف إضافته إلى فاعل ولا مفعول ، وإنما أضيف إضافة الأسماء المحضة ، ويكون المعنى : لا

تجعلوا الدعاء المتعلق بالرسول المضاف إليه كدعاء بعضكم بعضا ، وعلى هذا فيعم الأمرين معا ، ويكون النهي عن دعائهم له باسمه كما يدعو بعضهم بعضا ، وعن تأخير إجابته ﷺ ، وعلى كل تقدير فكما أمر الله سبحانه أن يميز في خطابه ودعائهم إياه قياما للأمة بما يجب عليه من تعظيمه وإجلاله فتمييزه بالصلاة عليه عند ذكر اسمه من تمام هذا المقصود .

قالوا : وقد أخبر النبي ﷺ « أن من ذكر عنده فلم يصل عليه خطئ طريق الجنة »[(١)] فلولا أن الصلاة عليه واجبة عند ذكره لم يكن تاركها مخطئًا لطريق الجنة .

قالوا : وأيضا فمن ذكر النبي ﷺ أو ذكر عنده فلم يصل عليه فقد جفاه ، ولا يجوز لمسلم جفاؤه ﷺ .

فالدليل على المقدمة الأولى : ما روي عن قتادة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « من الجفاء أن أذكر عند الرجل فلا يصلي علي »[(٢)] ﷺ .

(١) أخرجه ابن ماجة في السنن ، أبواب إقامة الصلاة ، باب الصلاة على النبي ﷺ (١ / ١٦٤) ح ٨٩٥ وقال الألباني حسن صحيح (صحيح ابن ماجة ١ / ١٥٠) . وأخرجه إسماعيل بن إسحاق في فضل الصلاة على النبي ﷺ (ص ١٧ - ١٨) ح ٤١ - ٤٢ - ٤٣ - ٤٤

وقال الألباني في تعليقه عليه : « إسناده مرسل صحيح ، والحديث له طرق وإن كانت لا تخلو من ضعف فبعضها يقوي بعضًا فالحديث يرتقي بها إلى درجة الحسن على أقل الدرجات » انتهى كلامه . وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان (١ / ٤١٨) مرسلا عن محمد بن الحنفية . وأخرجه الطبراني في الكبير (٣ / ١٣٨) رقم ٢٨٨٧ موصولا عن الحسين بن علي من طريق بشر بن محمد الكندي وهو ضعيف . انظر : مجمع الزوائد (١٠ / ١٦٤) . وأخرجه البيهقي في الشعب (١ / ٤١٩) عن أبي هريرة .

(٢) أورده ابن القيم وعزاه لسعيد بن الأعرابي « جلاء الأفهام (ص ٣٠١) » وأورده السخاوي في القول البديع (ص ١٥٢) وقال أخرجه النميري من وجهين من طريق عبد الرزاق وهو في جامعه ورواته ثقات .

ولو تركنا وهذا المرسل وحده لم نحتج به ، ولكن له أصول وشواهد قد تقدمت من تسمية تارك الصلاة عليه عند ذكره بخيلًا وشحيحًا ، والدعاء عليه بالرغم ، وهذا من موجبات جفائه .

والدليل على المقدمة الثانية : أن جفاءه مناف لكمال حبه ، وتقديم محبته على النفس والأهل والمال ، وأنه أولى بالمؤمن من نفسه فإن العبد لا يؤمن حتى يكون رسول اللّٰه ﷺ أحب إليه من نفسه ومن ولده ووالده والناس أجمعين ، كما ثبت عن عمر رضي اللّٰه تعالى عنه أنه قال : يارسول اللّٰه ، واللّٰه لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي ، قال : « لا ياعمر حتى أكون أحب إليك من نفسك »

قال : فواللّٰه لأنت الآن أحب إلي من نفسي ، قال : « الآن ياعمر[1] »

وثبت عنه في الصحيح أنه قال : « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين »[2]فذكر هذا الحديث أنواع المحبة الثلاثة فإن المحبة إما محبة إجلال وتعظيم ، كمحبة الوالد ، وإما محبة تحنن وود ولطف كمحبة الولد ، وإما محبة لأجل الإحسان وصفات الكمال ، كمحبة الناس بعضهم بعضا ، ولا يؤمن العبد حتى يكون حب الرسول ﷺ عنده أشد من هذه المحاب كلها .

ومعلوم أن جفاءه ﷺ ينافي ذلك .

قالوا : فلما كانت محبته فرضا ، وكانت توابعها من الإجلال والتعظيم والتوقير والطاعة والتقديم على النفس ، وإيثاره بنفسه بحيث يقي نفسه بنفسه

---

(١) تقدم تخريجه ص ٣٠٧

(٢) تقدم تخريجه ص ٣٠٨

فرضا ، كانت الصلاة عليه ﷺ إذا ذكر من لوازم هذه الأحبية وتمامها .

قالوا : وإذا ثبت بهذه الوجوه وغيرها وجوب الصلاة عليه ﷺ على من ذكر عنده ، فوجوبها على الذاكر نفسه أولى ، ونظير هذا أن سامع السجدة إذا أمر بالسجود إما وجوبا أو استحبابا ، فوجوبها على التالي أولى ، والله أعلم .

قال نفاة الوجوب : الدليل على قولنا من وجوه :

أحدها : أن من المعلوم الذي لا ريب فيه أن السلف الصالح الذين هم القدوة لم يكن أحدهم كلما ذكر النبي ﷺ يقرن الصلاة عليه باسمه ، وهذا في خطابهم للنبي ﷺ أكثر من أن يذكر فإنهم كانوا يقولون يارسول الله ، مقتصرين على ذلك وربما كان يقول أحدهم « صلى الله عليك » وهذا في الأحاديث ظاهر كثير ، فلو كانت الصلاة عليه واجبة عند ذكره لأنكر عليهم تركها .

الثاني : أن الصلاة عليه لو كانت واجبة كلما ذكر لكان هذا من أظهر الواجبات ، ولبينه النبي ﷺ لأمته بيانًا يقطع العذر وتقوم به الحجة .

الثالث : أنه لا يعرف عن أحد من الصحابة ولا التابعين ولا تابعيهم هذا القول ، ولا يعرف أحد منهم قال به ، وأكثر الفقهاء - بل قد حكى الإجماع - على أن الصلاة عليه ﷺ ليست من فروض الصلاة ، وقد نسب القول بوجوبها إلى الشذوذ ومخالفة الإجماع السابق ، فكيف تجب خارج الصلاة .

الرابع : أنه لو وجبت الصلاة عليه عند ذكره دائمًا ، لوجب على المؤذن أن يقول : أشهد أن محمدًا رسول الله ﷺ ، وهذا لا يشرع له في الأذان فضلا أن يجب عليه .

الخامس : أنه كان يجب على من سمع النداء وأجابه أن يصلي عليه ﷺ ، وقد أمر ﷺ السامع أن يقول كما يقول المؤذن ، وهذا يدل على جواز

اقتصاره على قوله « اشهد أن لا إله إلا اللّٰه وأشهد أن محمدًا رسول اللّٰه » فان هذا مثل ما قال المؤذن .

السادس : أن التشهد الأول ينتهي عند قوله « وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله » اتفاقا ، واختلف هل يشرع أن يصلي على النبي ﷺ وعلى آله فيه ، على ثلاثة أقوال :

أحدها : لا يشرع ذلك إلا في الأخير .

والثاني : يشرع .

والثالث : تشرع الصلاة عليه خاصة دون آله ، ولم يقل أحد بوجوبها في الأول عند ذكر النبي ﷺ .

السابع : أن المسلم إذا دخل في الإسلام بتلفظه بالشهادتين لم يحتج أن يقول أشهد أن محمدا رسول اللّٰه ﷺ .

الثامن : أن الخطيب في الجمع والأعياد وغيرهما لا يحتاج أن يصلي على النبي ﷺ في نفس التشهد ، ولو كانت الصلاة واجبة عليه عند ذكره لوجب عليه أن يقرنها بالشهادة ، ولا يقال تكفي الصلاةعليه في الخطبة فإن تلك الصلاة لا تنعطف على ذكر اسمه عند الشهادة ، ولا سيما مع طول الفصل ، والموجبون يقولون : تجب الصلاة عليه كلما ذكر ومعلوم أن ذكره ثانيًا غير ذكره أولًا .

التاسع : أنه لو وجبت الصلاةعليه كلما ذكر لوجبت على القارئ كلما مر ذكر اسمه أن يصلي عليه ، ويقطع لذلك قراءته ليؤدي هذا الواجب ، وسواء كان في الصلاة أو خارجها ، فإن الصلاة عليه ﷺ لا تبطل الصلاة ، وهي واجب قد تعين فلزم أداؤه ، ومعلرم أن ذلك لو كان واجبًا لكان

الصحابة والتابعون أقوم به وأسرع إلى أدائه وترك إهماله .

العاشر : أنه لو وجبت الصلاة عليه كلما ذكر لوجب الثناء على الله عز وجل كلما ذكر اسمه ، فكان يجب على من ذكر اسم الله أن يقرنه بقوله : « سبحانه وتعالى » أو « عز وجل » أو « تبارك وتعالى » أو « جلت عظمته » أو « تعالى جده » ونحو ذلك ، بل كان ذلك أولى وأحرى فإن تعظيم الرسول وإجلاله ومحبته وطاعته تابع لتعظيم مرسله سبحانه وإجلاله ومحبته وطاعته ، فمحال أن تثبت المحبة والطاعة والتعظيم والإجلال للرسول ﷺ دون مرسله ، بل انما يثبت ذلك له تبعا لمحبة الله وتعظيمه وإجلاله ، ولهذا كانت طاعة الرسول طاعة لله ، فمن يطع الرسول فقد أطاع الله ، ومبايعته مبايعة لله ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾[1]ومحبته محبة لله قال تعالى : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾[2]، وتعظيمه تعظيم لله ، ونصرته نصرة لله ، فإنه رسوله وعبده الداعي إليه وإلى طاعته ومحبته وإجلاله ، وتعظيمه وعبادته وحده لا شريك له ، فكيف يقال تجب الصلاة عليه كلما ذكر اسمه ، وهي ثناء وتعظيم كما تقدم ، ولا يجب الثناء والتعظيم للخالق سبحانه وتعالى كلما ذكر اسمه ؟ هذا محال من القول .

الحادي عشر : لو جلس إنسان ليس له هجيرى[3]إلا قوله : محمد رسول الله ، أو اللهم صل على محمد ، وبشر كثير يسمعونه ، فإن قلتم تجب على كل أولئك السامعين أن يكون هجيراهم الصلاة عليه ﷺ ، ولو طال المجلس

(١) الآية (١٠) من سورة الفتح .

(٢) الآية (٣١) من سورة آل عمران .

(٣) هجيرى : الدأب والشأن .

ما طال ، كان ذلك حرجا ومشقة وتركا لقراءة قارئهم ، ودراسة دارسهم ، وكلام صاحب الحاجة منهم ، ومذاكرته في العلم ، وتعليمه القرآن وغيره ، وإن قلتم لا تجب عليهم الصلاة عليه في هذه الحال ، نقضتم مذهبكم ، وإن قلتم : تجب عليه مرة أو أكثر ، كان تحكما بلا دليل مع أنه مبطل لقولكم .

الثاني عشر : أن الشهادة له بالرسالة أفرض وأوجب من الصلاة عليه بلا ريب ، ومعلوم أنه لا يدخل في الإسلام إلا بها ، فإذا كانت لا تجب كلما ذكر اسمه ، فكيف تجب الصلاة عليه كلما ذكر اسمه ، وليس من الواجبات بعد كلمة الاخلاص أفرض من الشهادة له بالرسالة ، فمتى أقر له بوجوبها عند ذكر اسمه تذكر العبد الإيمان وموجبات هذه الشهادة فكان يجب على كل من ذكر اسمه أن يقول محمد رسول الله ، ووجوب ذلك أظهر بكثير من وجوب الصلاة عليه كلما ذكر اسمه .

ولكل فرقة من هاتين الفرقتين أجوبة عن حجج الفرقة المنازعة لها ، بعضها ضعيف جدا وبعضها محتمل ، وبعضها قوي ، ويظهر ذلك لمن تأمل حجج الفريقين ، والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب »[1] .

الموطن الثاني عشر من مواطن الصلاة عليه ﷺ يوم الجمعة

فعن أوس بن أوس[2] قال : قال رسول الله ﷺ « من أفضل أيامكم يوم الجمعة فيه خلق آدم ، وفيه قبض ، وفيه النفخة وفيه الصعقة ، فأكثروا علي من الصلاة فيه ، فإن صلاتكم معروضة علي »

---

(١) جلاء الأفهام (ص ٢٩٤ إلى ٣٠٥) .

(٢) أوس بن أوس الثقفي ، صحابي ، سكن الشام ومات بها .
الإصابة (١ / ٩٢) وتهذيب التهذيب (١ / ٣٨١) .

قالوا : يارسول الله كيف تعرض عليك صلاتنا وقد أرمت ؟ - يعني وقد بليت - فقال : « إن الله عز وجل حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء »[1]

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٤ / ٨) وأخرجه إسماعيل القاضي في فضل الصلاة على النبي (ص ١١) رقم ٢٢ . وأخرجه أبو داود في سننه (١ / ٦٣٥) كتاب الصلاة ، باب فضل يوم الجمعة وليلة الجمعة ح ١٠٤٧

وأخرجه النسائي في السنن (٣ / ٩١) كتاب الجمعة ، باب ذكر فضل الجمعة .

وأخرجه ابن ماجة في سننه (١ / ١٩٥) أبواب إقامة الصلاة ، باب فضل الجمعة ح ١٠٧١ وفي أبواب ما جاء في الجنائز باب ذكر وفاته ودفنه ﷺ (١ / ٣٠٠) ح ١٦٣٧

وأخرجه الحاكم في المستدرك (٤ / ٦٠) وصححه ووافقه الذهبي .

ورواه ابن حبان في صحيحه . انظر الموارد (٥٥٠) .

قال ابن القيم : « وقد أعله بعض الحفاظ بأن حسينا الجعفي حدث به عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر ، عن أبي الأشعث الصنعاني ، عن أوس بن أوس ، قال ومن تأمل هذا الإسناد لم يشك في صحته ، لثقة رواته وشهرتهم وقبول الأئمة أحاديثهم وعلته : أن حسينًا الجعفي لم يسمع من عبد الرحمن بن يزيد بن جابر ، وإنما سمع من عبد الرحمن بن يزيد بن تميم ، وعبد الرحمن بن يزيد ابن تميم لا يحتج به ، فلما حدث به حسين الجعفي غلط في اسم الجد ، فقال ابن جابر ، وقد بين ذلك الحفاظ ونبهوا عليه .

فقال البخاري في « التاريخ الكبير » (٥ / ١٣٦٥) عبد الرحمن بن يزيد بن تميم السلمي الشامي عن مكحول ، سمع منه الوليد بن مسلم ، عنده مناكير ، ويقال : هو الذي روى عنه أبو أسامة وحسين الجعفي ، وقالا : هو يزيد بن جابر ، وغلطا في نسبه ويزيد بن تميم أصح ، وهو ضعيف الحديث . وقال الخطيب : روى الكوفيون أحاديث عبد الرحمن بن يزيد بن تميم ، عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر ووهموا في ذلك ، والحمل عليهم في تلك الأحاديث . وقال موسى بن هارون الحافظ : روى أبو أسامة عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر وكان ذلك وهمًا منه ، وهو لم يلق عبد الرحمن بن يزيد بن جابر ، وإنما لقي عبد الرحمن بن يزيد بن تميم ، فظن أنه ابن جابر نفسه ، وابن تميم ضعيف . وقد أشار غير واحد من الحفاظ إلى ما ذكره هؤلاء الأئمة .

وجواب هذا التعليل من وجوه :

أحدها : أن حسينًا الجعفي قد صرح بسماعه له من عبد الرحمن بن يزيد بن جابر . =

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « خير يوم طلعت

= قال ابن حبان في « صحيحه » : حدثنا ابن خزيمة ، حدثنا أبو كريب ، حدثنا حسين بن علي حدثنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر ، فصرح بالسماع منه .

وقولهم : إنه ظن أنه ابن جابر وإنما هو ابن تميم ، فغلط في اسم جده بعيد ، فإنه لم يكن يشتبه على حسين هذا بهذا ، مع نقده وعلمه بهما وسماعه منهما .

فإن قيل : فقد قال عبد الرحمن بن أبي حاتم في كتاب « العلل » سمعت أبي يقول عبد الرحمن ابن يزيد بن جابر ، لا أعلم أحدًا من أهل العراق يحدث عنه ، والذي عندي أن الذي يروي عنه أبو أسامة وحسين الجعفي واحد ، وهو عبد الرحمن بن يزيد بن تميم لأن أبا أسامة روى عن عبد الرحمن بن يزيد ، عن القاسم عن أبي أمامة خمسة أحاديث أو ستة أحاديث منكرة ، لا يحتمل أن يحدث عبد الرحمن بن يزيد بن جابر بمثله ، ولا أعلم أحدا من أهل الشام روى عن ابن جابر من هذه الأحاديث شيئا . وأما حسين الجعفي فإنه يروي عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن أبي الأشعث ، عن أوس بن أوس عن النبي ﷺ في يوم الجمعة أنه قال : « أفضل الأيام يوم الجمعة ، فيه الصعقة وفيه النفخة ، وفيه كذا » وهو حديث منكر لا أعلم أحدا رواه غير حسين الجعفي ، وأما عبد الرحمن بن يزيد بن تميم فهو ضعيف الحديث ، وعبد الرحمن بن يزيد بن جابر ثقة ، تم كلامه . قيل : وقد تكلم في سماع حسين الجعفي ، وأبي أسامة من ابن جابر فأكثر أهل الحديث أنكروا سماع أبي أسامة منه . قال شيخنا (أبو الحجاج المزي) في التهذيب : قال ابن نمير - وذكر أبا أسامة - فقال : الذي يروي عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر يرى أنه ليس بابن جابر المعروف ، ذكر لي أنه رجل يسمى باسم ابن جابر ، قال يعقوب : صدق ، هو عبد الرحمن ابن فلان بن تميم ، فدخل عليه أبو أسامة فكتب عنه هذه الأحاديث فروى عنه ، وإنما هو إنسان يسمى بابن جابر . قال يعقوب : وكأني رأيت ابن نمير يتهم أبا أسامة أنه علم ذلك وعرف ولكن تغافل عن ذلك قال : وقال لي ابن نمير أما ترى روايته لا تشبه سائر حديثه الصحاح الذي روى عنه أهل الشام وأصحابه ؟ وقال عبد الرحمن بن أبي حاتم : سألت محمد بن عبد الرحمن ابن أخي حسين الجعفي عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر ، (فقال قدم الكوفة عبد الرحمن بن يزيد بن تميم وعبد الرحمن بن يزيد بن جابر) ثم قدم عبد الرحمن بن يزيد بن جابر بعد ذلك بدهر والذي يحدث عنه أبو أسامة ليس هو ابن جابر ، بل هو ابن تميم وقال ابن داود سمع أبو أسامة من ابن المبارك عن ابن جابر وجميعا يحدثان عن مكحول ، وابن جابر أيضا دمشقي ، فلما قدم هذا قال : أخبرنا عبد الرحمن بن يزيد الدمشقي ، وحدث عن مكحول ، فظن أبو أسامة أنه ابن =

فيه الشمس يوم الجمعة ، فيه خلق آدم وفيه أهبط ، وفيه تيب عليه ، وفيه مات وفيه تقوم الساعة ، وما من دابة إلا هي مصيخة[1]يوم الجمعة ، من حين تصبح حتى تطلع الشمس ، شفقا من الساعة ، إلا الجن والانس ، وفيها ساعة لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلي ، يسأل الله شيئا إلا أعطاه الله إياه »[2] .

= جابر الذي روى عنه ابن المبارك وابن جابر ثقة مأمون يجمع حديثه ، وابن تميم ضعيف .

وقال أبو داود : متروك الحديث ، حدث عنه أبو أسامة وغلط في اسمه ، وقال : حدثنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر الشامي وكل ما جاء عن أبي أسامة عن عبد الرحمن بن يزيد ، فإنما هو ابن تميم .

وأما رواية حسين الجعفي عن ابن جابر ، فقد ذكر شيخنا في التهذيب وقال : روى عنه حسين بن علي الجعفي ، وأبو أسامة حماد بن أسامة إن كان محفوظا فجزم برواية حسين عن ابن جابر ، وشك في رواية حماد فهذا ما ظهر في جواب هذا التعليل .

ثم بعد أن كتبت ذلك رأيت الدارقطني قد ذكر ذلك نصا فقال في كلامه على كتاب أبي حاتم في « الضعفاء » قوله : حسين الجعفي روى عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر ، وأبو أسامة يروي عن عبد الرحمن بن يزيد بن تميم . فيغلط في اسم جده ، تم كلامه .

وللحديث علة أخرى : وهي أن عبد الرحمن بن يزيد لم يذكر سماعه من أبي الأشعث .

قال علي بن المديني : حدثنا الحسين بن علي بن الجعفي ، حدثنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر سمعته يذكر عن أبي الأشعث الصنعاني عن أوس بن أوس ... فذكره .

وقال إسماعيل بن إسحاق في كتابه (ص ١١) رقم ٢٢ حدثنا على بن عبد الله ... فذكره .

وليست هذه بعلة قادحة فإن للحديث شواهد من حديث أبي هريرة وأبي الدرداء ، وأبي أمامة ، وأبي مسعود الأنصاري ، وأنس بن مالك والحسن عن النبي ﷺ » . انتهي كلام ابن القيم جلاء الأفهام (ص ٦٩ - ٧١) .

(١) مصيخة : أي مستمعة ، مصغية .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الجمعة ، باب فضل يوم الجمعة (٣ / ٦) وأخرجه الترمذي في سننه ، أبواب الجمعة ، باب ما جاء في فضل يوم الجمعة (٢ / ٣٥٩) ح ٤٨٨ وأخرجه النسائي في سننه ، كتاب الجمعة ، باب ذكر فضل يوم الجمعة (٣ / ٨٩) . وأخرجه مالك في الموطأ (١ / ١٠٨) .

قال ابن القيم : « فهذا الحديث الصحيح مؤيد لحديث أوس بن أوس ، دال على مثل معناه »(١) .

وعن أبي الدرداء رضي اللّه عنه قال : « قال رسول اللّه ﷺ : « أكثروا الصلاة علي يوم الجمعة ، فإنه يوم مشهود تشهده الملائكة ، وإن أحدًا لا يصلي عليّ إلا عرضت عليّ صلاته حتى يفرغ منها » قال : قلت بعد الموت ؟ قال : « إن اللّه حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء » فنبي اللّه حي يرزق »(٢) .

وعن أبي أمامة(٣) قال : قال رسول اللّه ﷺ « أكثروا علي من الصلاة في كل يوم جمعة ، فإن صلاة أمتي تعرض علي في كل يوم جمعة ، فمن كان أكثرهم صلاة كان أقربهم مني منزلة »(٤) .

---

(١) جلاء الأفهام (ص ٧١) .

(٢) أخرجه ابن ماجة في سننه ، أبواب ما جاء في الجنائز ، باب ذكر وفاته ودفنه ﷺ (١ / ٣٠٠) ١٦٣٨ ، وقال في الزوائد : هذا حديث صحيح ، إلا أنه منقطع في موضعين لأن عبادة روايته عن أبي الدرداء مرسلة ، قاله العلاء ، وزيد بن أيمن عن عبادة مرسلة قاله البخاري .
وقال السخاوي : أخرجه ابن ماجه ورجاله ثقات لكنه منقطع .
وأخرجه الطبراني في الكبير بلفظ « أكثروا الصلاة يوم الجمعة فإنه يوم مشهود تشهده الملائكة ليس من عبد يصلي علي إلا بلغتني صلاته حيث كان » قلنا وبعد وفاتك ؟ قال : « وبعد وفاتي إن اللّه تعالى حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء » .
وقال العراقي إن إسناده لا يصح . القول البديع (ص ١٦٤) .

(٣) صدي (بالتصغير) ابن عجلان بن الحارث الباهلي ، أبو أمامة صحابي مشهور بكنيته ، سكن الشام ومات بها سنة ست وثمانين . الإصابة (٢ / ١٧٥ - ١٧٦) .

(٤) أخرجه البيهقي في السنن (٣ / ٢٤٩) . وقال السخاوي : « رواه البيهقي بسند حسن لا بأس به ، إلا أن مكحولًا قيل إنه لم يسمع من أبي أمامة في قول الجمهور . وقد رواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس له فأسقط منه ذكر مكحول وسنده ضعيف » . القول البديع (ص ١٦٤) .
وقال ابن القيم : « ولكن لهذا الحديث علتان : =

وعن أنس رضي اللَّه عنه قال : « قال رسول اللَّه ﷺ « أكثروا الصلاة على يوم الجمعة ، فإنه أتاني جبريل آنفا من ربه عز وجل فقال : ما على الأرض من مسلم يصلي عليك مرة واحدة إلا صليت أنا وملائكتي عليه عشرا »[(١)] .

وعنه رضي اللَّه عنه قال : قال رسول اللَّه ﷺ « أكثروا الصلاة علي يوم الجمعة فإن صلاتكم تعرض عليّ »[(٢)] .

قال ابن القيم : « هذان وإن كانا ضعيفين فيصلحان للاستشهاد »[(٣)]

وعنه رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ : « أكثروا الصلاة علي يوم الجمعة »[(٤)] وكان الصحابة رضي اللَّه عنهم يستحبون إكثار الصلاة على النبي ﷺ يوم الجمعة .

وعن زيد بن وهب[(٥)] قال : قال لي ابن مسعود رضي اللَّه عنه : « يا زيد بن وهب لا تدع ـ إذا كان يوم الجمعة ـ أن تصلي على النبي ﷺ ألف مرة تقول : اللهم صل على محمد النبي الأمي »[(٦)] .

وعن أبي مسعود الأنصاري رضي اللَّه عنه ، عن النبي ﷺ قال : « أكثروا

= إحداهما : أن برد بن سنان قد تكلم فيه ، وقد وثقه يحيى بن معين وغيره .
العلة الثانية : أن مكحولا قد قيل إنه لم يسمع من أبي أمامة واللَّه أعلم » .
جلاء الأفهام (ص ٧٢ - ٧٣) .

(١) قال السخاوي : رواه الطبراني بسند لا بأس به في المتابعات ، القول البديع (ص ١٦٢) .

(٢) أخرجه ابن عدي في الكامل (٣ / ٩٤٤) وسنده ضعيف ، كما ذكر السخاوي فيه ثلاثة رواة ضعفاء هم : جبارة بن مغلس ، وأبو إسحاق خازم ، ويزيد الرقاشي . القول البديع (ص ١٦٢) .

(٣) جلاء الأفهام (ص ٧٣) .

(٤) الكامل لابن عدي (٣ / ١٠٣٩) .

(٥) زيد بن وهب الجهني أبو سليمان الكوفي ، رحل إلى النبي ﷺ فقبض وهو في الطريق ، ثقة جليل ، كثير الحديث ، توفي سنة ست وتسعين وقيل قبلها . تهذيب التهذيب (٣ / ٤٢٧) .

(٦) جلاء الأفهام (ص ٧٣ ، ٧٤) والقول البديع (ص ١٥٩) .

علي من الصلاة يوم الجمعة ، فإنه ليس أحد يصلي علي يوم الجمعة إلا عرضت علي صلاته »[1] .

وفي مراسيل الحسن[2] عن النبي ﷺ قال : « أكثروا الصلاة علي يوم الجمعة فإنها تعرض علي »[3] .

وعن عمر بن عبد العزيز أنه كتب : « أن انشروا العلم يوم الجمعة فإن غائلة العلم النسيان ، وأكثروا الصلاة على النبي ﷺ يوم الجمعة »[4] .

وهناك مواطن أخرى غير ما ذكرنا ذكرها ابن القيم في كتابه جلاء الأفهام[5]

---

(١) أورده السخاوي في القول البديع وقال : رواه الحاكم ، وقال صحيح الإسناد والبيهقي في شعب الإيمان وحياة الأنبياء في قبورهم له ، وابن أبي عاصم في فضل الصلاة له ، وفي سنده أبو رافع وهو إسماعيل بن رافع وثقه البخاري وقال يعقوب بن سفيان يصلح حديثه للشواهد والمتابعات لكن قد ضعفه النسائي ويحيى بن معين وقيل إنه منكر الحديث » . (ص ١٦٤) .
وأورده ابن القيم في جلاء الأفهام (ص ٣١٠) وقال : « وفيه إسماعيل بن رافع قال يعقوب بن سفيان : يصلح حديثه للشواهد والمتابعات .

(٢) الحسن البصري وقد تقدم ترجمته ص ٢٦٩

(٣) أخرجه إسماعيل القاضي في فضل الصلاة على النبي ﷺ ، من وجهين .
انظر (ص ١٣) ح ٢٨ ، ح ٢٩ ، قال الألباني : حديث صحيح بشاهده عن أوس بن أوس .

(٤) أورده ابن القيم في جلاء الأفهام (ص ٣١١) وعزاه لابن وضاح ، والسخاوي في القول البديع (ص ١٩٩ - ٢٠٠) وعزاه لابن وضاح وابن بشكوال .

(٥) من المواطن التي ذكرها ابن القيم غير ما تقدم ما يلي :
١ - الصلاة عليه ﷺ عند استلام الحجر الاسود .
٢ - الصلاة عليه ﷺ عند قبره ﷺ .
٣ - الصلاة عليه ﷺ إذا خرج إلى السوق أو إلى دعوة أو غيرها .
٤ - الصلاة عليه ﷺ إذا قام الرجل من نوم الليل .
٥ - الصلاة عليه ﷺ عقب ختم القرآن . =

وكذلك السخاوي في كتابه القول البديع ، والفيروز أبادي في الصلات والبشر لمن أراد الاستزادة فليرجع إليها ، وحسبي أني أشرت لأشهرها .

o o o o

= ٦ - الصلاة عليه ﷺ عند القيام من المجلس .
٧ - الصلاة عليه ﷺ عند المرور على المساجد ورؤيتها .
٨ - الصلاة عليه ﷺ عند الهم ، والشدائد وطلب المغفرة .
٩ - الصلاة عليه ﷺ عند كتابة اسمه ﷺ .
١٠ - الصلاة عليه ﷺ عند تبليغ العلم إلى الناس ، والتذكير والقصص .
١١ - الصلاة عليه ﷺ في أول النهار وآخره .
١٢ - الصلاة عليه ﷺ عقب الذنب إذا أراد أن يكفر عنه .
٣١ - الصلاة عليه ﷺ عند العطاس .
١٤ - الصلاة عليه ﷺ بعد الفراغ من الوضوء .
١٥ - الصلاة عليه ﷺ عند دخول المنزل .
١٦ - الصلاة عليه ﷺ في كل موطن يجتمع فيه لذكر الله سبحانه وتعالى .
١٧ - الصلاة عليه ﷺ عقب الصلوات .
١٨ - الصلاة عليه ﷺ عند النوم .
١٩ - الصلاة عليه ﷺ في أثناء صلاة العيد .

المطلب الرابع

فضل الصلاة على النبي ﷺ

قال ابن القيم : « إن طلب الصلاة من الله على رسوله ﷺ هو من أجل أدعية العبد وأنفعها له في دنياه وآخرته »[١]يدلك على ذلك ما جاء في فضلها من الأحاديث .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من صلى علي واحدة صلى عليه عشرا » رواه مسلم[٢] .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه سمع النبي ﷺ يقول : « إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا عليّ فإنه من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرا ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة » رواه مسلم[٣] .

وعن أُبَي بن كعب رضي الله عنه قال : قلت يارسول الله ، إني أكثر الصلاة عليك ، فكم أجعل لك من صلاتي ؟ قال : « ما شئت » . قلت : الربع ؟

قال : « ما شئت ، وإن زدت فهو خير » . قلت : النصف ؟

قال : « ما شئت ، وإن زدت فهو خير » . قلت : الثلثين ؟

قال : « ما شئت وإن زدت فهو خير » .

---

(١) بدائع الفوائد (٢ / ١٩٠) .

(٢) تقدم تخريجه ص ٣٨١ .

(٣) تقدم تخريجه ص ٣٢٦ .

قلت : أجعل لك صلاتي كلها ؟ قال : « إذًا تكفي همك ويغفر لك ذنبك »[(١)]؟

وللحديث طريق آخر عن يعقوب بن زيد بن طلحة التيمي[(٢)] قال : قال رسول الله ﷺ : « أتاني آتٍ من ربي فقال : ما من عبد يصلي عليك صلاة إلا صلى الله عليه بها عشرًا » فقام إليه رجل فقال : يارسول الله أجعل نصف دعائي لك ؟ قال : « إن شئت » قال : ألا أجعل ثلثي دعائي لك ؟ قال : « إن شئت » قال : ألا أجعل دعائي كله ؟ قال : « إذن يكفيك الله هم الدنيا وهم الآخرة »[(٣)]

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « من ذكرت عنده فليصل علي ومن صلى علي مرة صلى الله عليه عشرا »[(٤)] .

وفي رواية « من صلى علي صلاة واحدة صلىّ الله عليه عشر صلوات وحط عنه عشر خطيئات »[(٥)] .

وفي رواية « من صلّى علي صلاة واحدة صلى الله عليه عشر صلوات وحط

---

(١) تقدم تخريجه .

(٢) يعقوب بن زيد بن طلحة التيمي ، أبو يوسف المدني ، قاضي المدينة ، ثقة قليل الحديث و مات في ولاية أبي جعفر . تهذيب التهذيب (١١ / ٣٨٥) .

(٣) أخرجه إسماعيل القاضي في فضل الصلاة على النبي ﷺ (ص ٨٧) ح رقم ١٣ وقال : قال شيخ كان بمكة يقال له منيع لسفيان : عمن أسنده ؟ قال : لا أدري ، وقال الألباني في تعليقه : هذا مرسل صحيح الإسناد ، ويشهد له الحديث الذي بعده – يعني الحديث الذي تقدم ذكره .

(٤) أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة (ص ١٦٥) ح رقم ٦١ باب ثواب الصلاة على النبي ﷺ وابن السني في عمل اليوم والليلة (ص ١٣٥ ، ١٣٦) ح رقم ٣٨٠

(٥) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٣ / ١٠٢ ، ٢٦١) . والبخاري في الأدب المفرد (ص ٩٤ ، ٩٥) باب الصلاة على النبي ﷺ . والنسائي في عمل اليوم والليلة (ص ١٦٦) ح ٦٣ باب ثواب الصلاة على النبي ﷺ . وأخرجه ابن حبان في صحيحه . انظر موارد الظمآن (٢٣٩٠) .

عنه عشر سيئات ، ورفعه بها عشر درجات »[١] .

وفي رواية : « خرج النبي ﷺ يتبرز ، فلم يجد أحدًا يتبعه فهرع عمر فاتبعه بمطهرة - يعني إداوة - فوجده ساجدا في شربة ، فتنحى عمر فجلس وراءه حتى رفع رأسه قال : فقال : « أحسنت يا عمر حين وجدتني ساجدا فتنحيت عني إن جبريل عليه السلام أتاني فقال : من صلى عليك واحدة صلى الله عليه عشرا ، ورفعه عشر درجات »[٢] .

وأخرج هذا الحديث عن عمر بن الخطاب قال : « خرج النبي ﷺ يتبرز ، فاتبعته بإدواة ، فوجدته قد فرغ ، ووجدته ساجدا لله في شربة ، فتنحيت عنه فلما فرغ ،

---

(١) أخرجه النسائي في السنن (٣ / ٥٠) باب الفضل في الصلاة على النبي ﷺ وكذلك في عمل اليوم والليلة (ص ١٦٥ ، ١٦٦) ح ٦٢ ، ثواب الصلاة على النبي ﷺ . وأخرجه الحاكم في المستدرك (١ / ٥٥٠) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي .
وكل من رواية « صلى الله عليه عشر صلوات وحط عنه عشر خطيئات » .
ورواية « صلى الله عليه عشر صلوات وحط عنه بها عشر سيئات ، ورفعه بها عشر درجات » جاءت من طريق بريد بن أبي مريم وقد جاء في بعض الروايات عن بريد بن أبي مريم عن الحسن عن أنس وفي بعضها عن بريد بن أبي مريم عن أنس ، وقد ذكر ابن القيم (أن هذه العلة لا تقدح فيه شيئًا ، لأن الحسن لاشك في سماعه من أنس ، وقد صح سماع بريد بن أبي مريم من أنس أيضا هذا الحديث ، فرواه ابن حبان في صحيحه « موارد ٢٣٩٠ » والحاكم في المستدرك (١ / ٥٥٠) من حديث يونس بن أبي إسحاق ، عن بريد بن أبي مريم ، قال سمعت أنس بن مالك ... فذكره . ولعل بريدًا سمعه من الحسن ثم سمعه من أنس ، فحدث به على الوجهين ، فإنه قال : كنت أزامل الحسن بن محمد ، فقال حدثنا أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ ... فذكره ، ثم إنه حدثه به أنس فرواه عنه كما تقدم) . جلاء الأفهام (ص ٥٦) .

(٢) أخرجه إسماعيل القاضي في فضل الصلاة على النبي ﷺ (ص ٤) ح رقم ٤ .
وقال الألباني : إسناده ضعيف ، ولكن المرفوع من الحديث صحيح له شواهد كثيرة .
وأخرجه البخاري في الأدب المفرد (ص ٩٤) باب الصلاة على النبي ﷺ .

رفع رأسه فقال : « أحسنت ياعمر حين تنحيت عني إن جبريل أتاني فقال : من صلى عليك صلاة صلى الله عليه عشرا ورفعه عشر درجات »[١].

وعن عبد الرحمن بن عوف[٢] قال : أتيت النبي ﷺ وهو ساجد فأطال السجود قال : « أتاني جبريل قال : من صلى عليك صليت عليه ، ومن سلم عليك سلمت عليه ، فسجدت لله شكرًا »[٣].

وفي رواية « كان لا يفارق فيء النبي ﷺ بالليل والنهار خمسة نفر من أصحابه أو أربعة لما ينوبه من حوائجه قال : فجئت فوجدته قد خرج فتبعته ، فدخل حائطا من حيطان الأسواف[٤] فصلى فسجد سجدة أطال فيها ، فحزنت وبكيت فقلت : لأرى رسول الله ﷺ قد قبض الله روحه ، قال : فرفع رأسه ، وتراءيت له ، فدعاني ، فقال : مالك ؟ قلت : يارسول الله سجدت سجدة أطلت فيها فحزنت ، وبكيت ، وقلت : لأرى رسول الله

(١) أخرجه إسماعيل القاضي في فضل الصلاة على النبي ﷺ (ص ٥) ح رقم ٥ .
وأخرجه البخاري في الأدب المفرد (ص ٩٤) عن أوس بن الحدثان عن النبي ﷺ وذكره .
وهذا الحديث والذي قبله هما من طريق سلمة بن وردان وقال الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحه (٢ / ٥٠٣) ح رقم ٨٢٩ (وسلمة بن وردان ضعيف بغير تهمة ، فيصلح للاستشهاد به وللحديث شاهد آخر من حديث عبد الرحمن بن عوف .

(٢) عبد الرحمن بن عوف الزهري ، ولد بعد الفيل بعشر سنين وأسلم قبل دخول دار الأرقم ، وهاجر الهجرتين وشهد المشاهد كلها ، وأحد العشرة المبشرين بالجنة ، وأحد رجال الشورى الستة ، توفي سنة ٣١ هـ وقيل سنة ٣٢ هـ وهو الأشهر . الإصابة (٢ / ٤٠٨ - ٤١٠) .

(٣) أخرجه بهذا اللفظ إسماعيل القاضي في فضل الصلاة على النبي ﷺ (ص ٥) ح ٧
وأخرجه الإمام أحمد في المسند (١ / ١٩١) ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢ / ٢٨٧) (رواه أحمد ورجاله ثقات) . وأخرجه الحاكم في المستدرك (١ / ٢٢٢) وقال هذا حديث على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي .

(٤) الأسواف بالفتح آخره « فاء » موضع شامي البقيع . وفاء الوفاء (٤ / ١١٢٥) .

ﷺ قد قبض الله روحه .

قال : « هذه سجدة سجدتها شكرًا لربي فيما آتاني في أمتي ، من صلى علي صلاة كتب الله له عشر حسنات »[1] .

وفي رواية « إني سجدت هذه السجدة شكرًا لله عز وجل فيما أبلاني في أمتي ، فإنه من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرا »[2] .

وعن أبي طلحة « أن رسول الله ﷺ خرج عليهم يوما يعرفون البشر في وجهه فقالوا : إنا نعرف الآن في وجهك البشر يارسول الله . قال : أجل أتاني الآن آتٍ من ربي فأخبرني أنه لن يصلي علي أحد من أمتي إلا ردها الله عليه عشر أمثالها[3] .

وفي رواية « أن رسول الله ﷺ جاء يوما والبشر يرى في وجهه فقالوا : يارسول الله إنا نرىٰ في وجهك بشرًا لم نكن نراه ،

قال : أجل إنه أتاني ملك فقال يا محمد إن ربك يقول أما يرضيك ألا يصلي عليك أحد من أمتك إلا صليت عليه عشرًا ، ولا سلم عليك إلا سلمت عليه عشرا »[4] .

---

(١) أخرجه بهذا اللفظ إسماعيل القاضي في فضل الصلاة على النبي ﷺ (ص ٦ - ٧) ح ١٠ .

(٢) أورده ابن القيم في جلاء الأفهام (ص ٦٤) وعزاه لابن أبي الدنيا والسخاوي في القول البديع (ص ١١٢) وعزاه لابن أبي عاصم وابن أبي الدنيا .

(٣) أخرجه إسماعيل القاضي في فضل الصلاة على النبي ﷺ (ص ٣) ح رقم ١

(٤) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٤ / ٣٠) . وإسماعيل القاضي ، في فضل الصلاة على النبي ﷺ (ص ٣ - ٤) ح ٢ ، والنسائي في السنن (٣ / ٤٤ و ٥٠) كتاب الصلاة ، باب فضل التسليم على النبي ﷺ ، وباب الفضل في الصلاة على النبي ﷺ . وكذلك أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة ، باب ثواب الصلاة على النبي ﷺ . وقال الحافظ ابن حجر (رواته ثقات) فتح الباري (١١ / ١٦٧) وأخرجه الحاكم في المستدرك (١ / ٥٥٠) وابن حبان في صحيحه (٢٣٩١) موارد .

وفي رواية « أصبح رسول لله ﷺ يوما طيب النفس يرى في وجهه البشر . قالوا : يارسول الله أصبحت اليوم طيب النفس يرى في وجهك البشر . قال : أجل أتاني آتٍ من ربي عز وجل فقال : من صلى عليك من أمتك صلاة كتب الله له بها عشر حسنات ومحا عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات ورد عليه مثلها »[1] .

وعن أبي بردة بن نيار[2] قال : قال رسول لله ﷺ « من صلى علي من أمتي صلاة مخلصًا من قلبه ، صلى الله عليه بها عشر صلوات ، ورفعه بها عشر درجات وكتب له بها عشر حسنات ومحا عنه عشر سيئات »[3] .

وعن فضالة بن عبيد رضي الله عنه قال : « سمع رسول الله ﷺ رجلاً يدعو في صلاته لم يمجد الله ، ولم يصل على النبي ﷺ فقال رسول الله ﷺ : عجل هذا »

ثم دعاه فقال له أو لغيره : « إذا صلى أحدكم فليبدأ بتمجيد الله والثناء عليه

---

(١) أخرجه بهذا اللفظ الإمام أحمد في المسند (٤ / ٢٩) .
قال الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢ / ٥٠٣) ح رقم ٨٢٩ عن رواية أحمد هذه (وهذا إسناد ضعيف ، لسوء حفظ أبي معشر ، وإسحاق بن كعب مجهول الحال فهو إسناد لا بأس به في الشواهد والمتابعات) انتهي كلامه والحديث له شواهد متعددة سبق ذكر بعضها .

(٢) هانئ بن نيار بن عمرو البلوي أبو بردة بن نيار حليف الأنصار ، خال البراء بن عازب مشهور بكنيته وقيل اسمه الحرث وقيل مالك والأول أشهر ، صحابي جليل شهد بدرًا وما بعدها ، مات في أول خلافة معاوية . الإصابة (٣ / ٥٦٥) - (٤ / ١٩) .

(٣) أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة (ص ١٦٦ ، ١٦٧) ح رقم ٦٤ ، باب ثواب الصلاة على النبي ﷺ . وقال ابن حجر : رواته ثقات . فتح الباري (١١ / ١٦٧) . وأورده ابن القيم في جلاء الأفهام (ص ٨٣ ، ٨٤) وعزاه للطبراني في المعجم الكبير وابن أبي عاصم في كتاب الصلاة على النبي ﷺ .

ثم يصلي علي ، ثم يدعو بما شاء »[١] .

وفي رواية : « سمع رسول الله ﷺ رجلا يدعو في صلاته لم يمجد الله ولم يصل على النبي ﷺ فقال رسول الله ﷺ « عجلت أيها المصلي » ثم علمهم رسول الله ﷺ وسمع رسول الله ﷺ رجلًا يصلي فمجد الله وحمده وصلى على النبي ﷺ فقال رسول الله ﷺ « ادع تجب وسل تعط »[٢] .

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إن أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم علي صلاة »[٣]

فالمتأمل في هذه الأحاديث يعرف عظم فضل الصلاة على النبي ﷺ .

وقد ذكر ابن القيم رحمه الله في الباب الرابع من كتابه القيم جلاء الأفهام عددا من الفوائد والثمرات الحاصلة بالصلاة عليه ﷺ أنتقي منها ما يلي :

الفائدة الأولى : امتثال أمر الله تعالى .

الثانية : موافقته سبحانه في الصلاة عليه ﷺ ، وإن اختلفت الصلاتان ، فصلاتنا عليه دعاء وسؤال ، وصلاة الله تعالى عليه ثناء وتشريف .

---

(١) تقدم تخريجه (ص ٥٣٥) .

(٢) سنن النسائي (٣ / ٤٤) باب التمجيد والصلاة على النبي ﷺ . قال الألباني في صحيح سنن النسائي ، صحيح الترمذي (٣٧٢٤)

(٣) أخرجه الترمذي في سننه (٢ / ٣٥٤) باب ما جاء في فضل الصلاة على النبي ﷺ رقم ٤٨٤ وقال الترمذي : هذا حديث حسن غريب . وأخرجه ابن حبان في صحيحه . انظر موارد الظمآن (٢٣٨٩) . وأورده ابن القيم في جلاء الأفهام وعزاه كذلك إلى البزار والبغوي جلاء الأفهام (ص ٥٣) . وقال ابن حجر في الفتح (١١ / ١٦٧) « وله شاهد عند البيهقي عن أبي أمامة بلفظ « صلاة أمتي تعرض علي في كل يوم جمعة فمن كان أكثرهم علي صلاة كان أقربهم مني منزلة « ولا بأس بسنده » انتهى كلامه .

الثالثة : موافقة ملائكته فيها .

الرابعة : حصول عشر صلوات من اللّه على المصلي مرة .

الخامسة : أنه يرفع عشر درجات .

السادسة : أنه يكتب له عشر حسنات .

السابعة : أنه يمحى عنه عشر سيئات .

الثامنة : أنه يرجى إجابة دعائه إذا قدمها أمامه ، فهي تصاعد الدعاء إلى عند رب العالمين .

التاسعة : أنها سبب لشفاعته ﷺ إذا قرنها بسؤال الوسيلة له .

العاشرة : أنها سبب لغفران الذنوب .

الحادية عشرة : أنها سبب لكفاية اللّه العبد ما أهمه .

الثانية عشرة : أنها سبب لقرب العبد منه ﷺ يوم القيامة .

الثالثة عشرة : أنها سبب لدوام محبته للرسول ﷺ وزيادتها وتضاعفها ، وذلك عقد من عقود الإيمان الذي لا يتم إلا به ، لأن العبد كلما أكثر من ذكر المحبوب ، واستحضاره في قلبه ، واستحضار محاسنه ومعانيه الجالبة لحبه ، تضاعف حبه له وتزايد شوقه إليه ، واستولى على جميع قلبه ، وإذا أعرض عن ذكره وإحضار محاسنه بقلبه ، نقص حبه من قلبه ، ولا شيء أقر لعين المحب من رؤية محبوبه ، ولا أقر لقلبه من ذكره وإحضار محاسنه فإذا قوي هذا في قلبه جرى لسانه بمدحه والثناء عليه وذكر محاسنه ، وتكون زيادة ذلك ونقصانه بحسب زيادة الحب ونقصانه في قلبه ، والحس شاهد بذلك . فقلب المؤمن توحيد اللّه وذكر رسوله مكتوبان فيه لا يتطرق إليهما محو ولا إزالة ودوام الذكر سبب لدوام المحبة ، فالذكر للقلب كالماء للزرع ، بل كالماء للسمك ، لا حياة له إلا به ...

الرابعة عشرة : أن الصلاة عليه ﷺ سبب لمحبته للعبد ، فإنها إذا كانت سببا لزيادة محبة المصلي عليه له ، فكذلك هي سبب لمحبته هو للمصلي عليه ﷺ .

الخامسة عشرة : أنها سبب لهداية العبد وحياة قلبه ، فإنه كلما أكثر الصلاة عليه وذكره ، استولت محبته على قلبه ، حتى لا يبقى في قلبه معارضة لشيء من أوامره ولا شك في شيء مما جاء به ، بل يصير ما جاء به مكتوبًا مسطورًا في قلبه لا يزال يقرؤه على تعاقب أحواله ، ويقتبس الهدى والفلاح وأنواع العلوم منه ، وكلما ازداد في ذلك بصيرة وقوة ومعرفة ازدادت صلاته عليه ﷺ .

ولهذا كانت صلاة أهل العلم ـ العارفين بسنته وهديه المتبعين له عليه ، خلاف صلاة العوام عليه الذين حظهم منها إزعاج أعضائهم بها ورفع أصواتهم .

وأما أتباعه العارفون بسنته العالمون بما جاء به فصلاتهم عليه نوع آخر ، فكلما ازدادوا فيما جاء به معرفة ازدادوا له محبة ومعرفة بحقيقة الصلاة المطلوبة له من اللّه .

وهكذا ذكر اللّه سبحانه ، كلما كان العبد به أعرف وله أطوع وإليه أحب كان ذكره غير ذكر الغافلين واللاهين ، وهذا أمر إنما يعلم بالخبر لا بالحبر وفرق بين من يذكر صفات محبوبه الذي قد ملك حبه جميع قلبه ويثني عليه بها ويمجده بها ، وبين من يذكرها إما إمارة وإما لفظًا ، لا يدري ما معناه ، ولا يطابق فيه قلبه لسانه ، كما أنه فرق بين بكاء النائحة وبكاء الثكلى .

فذكره ﷺ وذكر ما جاء به ، وحمد اللّه تعالى على إنعامه علينا ومنته بإرساله هو حياة الوجود وروحه ، كما قيل :

روح المجالس ذكره وحديثه وهدى لكل ملدد حيران
وإذا أخل بذكره في مجلس فأولئك الأموات في الحيان

السادسة عشرة : أنها سبب لعرض اسم المصلي عليه ﷺ وذكره عنده ، كما تقدم قوله ﷺ « إن صلاتكم معروضة علي » وكفى بالعبد نبلا أن يذكر اسمه بين يدي رسول الله ﷺ .

السابعة عشرة : أن الصلاة عليه ﷺ أداء لأقل القليل من حقه ، وشكر له على نعمته التي أنعم الله بها علينا ، مع أن الذي يستحقه من ذلك لا يحصى علمًا ولاقدرة ولا إرادة ، ولكن الله سبحانه لكرمه رضي من عباده باليسير من شكره وأداء حقه .

الثامنة عشرة : أنها متضمنة لذكر الله وشكره ، ومعرفة إنعامه على عبده بإرساله ، فالمصلي عليه ﷺ قد تضمنت صلاته عليه ذكر الله وذكر رسوله ، وسؤاله أن يجزيه بصلاته عليه ما هو أهله ، كما عرفنا ربنا أسماءه وصفاته ، وهدانا إلى طريق مرضاته ، وعرفنا ما لنا بعد الوصول إليه والقدوم عليه ، فهي متضمنة لكل الإيمان ، بل هي متضمنة للإقرار بوجود الرب المدعو وعلمه وسمعه وقدرته وإرادته وصفاته وكلامه ، وإرسال رسوله وتصديقه في أخباره كلها ، وكمال محبته ، ولا ريب أن هذه هي أصول الإيمان ، فالصلاة عليه ﷺ متضمنة لعلم العبد ذلك ، وتصديقه به ، ومحبته له ، فكانت من أفضل الأعمال .

التاسعة عشرة : أن الصلاة عليه ﷺ من العبد هي دعاء ، ودعاء العبد وسؤاله من ربه نوعان :

أحدهما : سؤاله حوائجه ومهماته ، وما ينوبه في الليل والنهار فهذا دعاء وسؤال ، وإيثار لمحبوب العبد ومطلوبه .

الثاني : سؤاله أن يثني على خليله وحبيبه ، ويزيد في تشريفه وتكريمه ،

وإيثار ذكره ، ورفعه ، ولا ريب أن اللَّه تعالى يحب ذلك ورسوله يحبه ، فالمصلي عليه ﷺ قد صرف سؤاله ورغبته وطلبه إلى محاب اللَّه ورسوله ، وآثر ذلك على طلبه وحوائجه ومحابه هو ، بل كان هذا المطلوب من أحب الأمور إليه وآثرها عنده ، فقد آثر ما يحبه اللَّه ورسوله على ما يحبه هو ، وقد آثر اللَّه ومحابه على ما سواه ، والجزاء من جنس العمل ، فمن آثر اللَّه على غيره آثره اللَّه على غيره .

واعتبر هذا بما تجد الناس يعتمدونه عند ملوكهم ورؤسائهم إذا أرادوا التقرب والمنزلة عندهم ، فإنهم يسألون المطاع أن ينعم على من يعلمونه أحب رعيته إليه ، وكلما سألوه أن يزيد في حبائه وإكرامه وتشريفه ، علت منزلتهم عنده ، وازداد قربهم منه ، وحظوا به لديه ، لأنهم يعلمون منه إرادة الإنعام والتشريف والتكريم لمحبوبه ، فأحبهم إليه أشدهم له سؤالا ورغبة أن يتم عليه إنعامه وإحسانه ، وهذا أمر مشاهد بالحس ، ولا تكون منزلة هؤلاء ومنزلة من سأل المطاع حوائجه هو - وهو فارغ من سؤاله تشريف محبوبه والإنعام عليه - واحدة .

فكيف بأعظم محب وأجله لأكرم محبوب وأحقه بمحبة ربه له ؟ ولو لم يكن من فوائد الصلاة عليه إلا هذا المطلوب وحده لكفى المؤمن به شرفًا[1] .

وكما وردت أحاديث ترغب في الصلاة على النبي ﷺ وتبين فضلها فقد وردت أحاديث تذم تارك الصلاة عليه ﷺ .

فعن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي ، ورغم أنف رجل دخل عليه رمضان ثم انسلخ

---

(١) جلاء الأفهام (ص ٣٣٥ ، ٣٤٤) بتصرف .

قبل أن يغفر له ، ورغم أنف رجل أدرك عنده أبواه الكبر فلم يدخلاه الجنة »[١].

وعن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ « البخيل من ذكرت عنده فلم يصل علي »[٢].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ « من نسي الصلاة علي خطئ طريق الجنة »[٣].

○ ○ ○ ○

(١) تقدم تخريجه ص ٤٧٢

(٢) تقدم تخريجه ص ٣٢٨

(٣) تقدم تخريجه ص ٥٤٨

المبحث الثالث

السلام عليه ﷺ

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : مشروعية السلام عليه .

المطلب الثاني : السلام عليه عند حجرته التي دفن فيها .

● ● ● ●

المطلب الأول

الأدلة على مشروعية السلام على النبي ﷺ

إن نصوص الكتاب والسنة متظاهرة بأن اللَّه أمرنا أن نصلي على النبي ونسلم عليه ﷺ(١) .

أما في القرآن :

فقد أمر اللَّه عباده المؤمنين أن يسلموا على نبيهم مع أمره لهم بالصلاة عليه فقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾(٢) .

والشاهد من الآية معنا هو قوله عز وجل ﴿ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ .

فهذا نص في مشروعية السلام على النبي ﷺ ، وبيان لحق من حقوقه صلوات اللَّه وسلامه عليه ، وإظهار لشرفه ورفعة منزلته .

والآية في جملتها فيها من تشريف اللَّه وتكريمه ما لا يوجد في غيرها من الآيات .

وأما في السنة :

فقد جاء تشريع السلام عليه ﷺ مع تعليمهم التشهد الذي كان متقدما على تعليمهم الصلاة عليه ﷺ .

فتعليم الصلاة عليه إنما كان بعد نزول الآية فلهذا سأل الصحابة عن كيفية الصلاة ولم يسألوا عن كيفية السلام فقالوا : يارسول اللَّه قد علمنا كيف نسلم

(١) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ص ١٥٩) .
(٢) الآية (٥٦) من سورة الأحزاب .

عليك فكيف نصلى عليك[١] فقولهم « قد علمنا كيف نسلم عليك » إشارة إلى السلام الذي في التشهد وهو قول « السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته »[٢] .

قد بينت السنة المواطن التي يشرع فيها السلام على النبي ﷺ .

فالسلام على النبي ﷺ مشروع في التشهد عند كل صلاة ففي الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : « كنا إذا كنا مع النبي ﷺ في الصلاة قلنا : السلام على الله من عباده السلام على فلان وفلان .

فقال النبي ﷺ : « لا تقولوا السلام على الله ، فإن الله هو السلام ، ولكن قولوا : التحيات لله الصلوات الطيبات ، والسلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ـ فإنكم إذا قلتم أصاب كل عبد في السماء أو بين السماء والأرض أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ، ثم يتخير من الدعاء أعجبه إليه فيدعو »[٣] .

وشرع السلام كذلك عند دخول المسجد والخروج منه .

فعن فاطمة بنت رسول الله ﷺ ورضي الله عنها أن النبي ﷺ قال : « إذا دخل أحدكم المسجد فليقل : بسم الله والسلام على رسول الله ، اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الدعوات ، باب الصلاة على النبي ﷺ . فتح الباري (١١ / ١٥٢) ح ٦٣٥٧

(٢) فتح الباري (١١ / ١٥٥) .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الأذان ، باب ما يتخير من الدعاء بعد التشهد ، وليس بواجب . فتح الباري (٢ / ٣٢٠) ح ٨٣٥ . وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الصلاة ، باب التشهد في الصلاة (٢ / ١٣) .

وإذا خرج قال : بسم الله والسلام على رسول الله ، اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب فضلك »[١] .

وقد ورد كذلك في فضل السلام على النبي ﷺ عدد من الأحاديث أورد بعضًا منها هنا :

١ ـ عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « إن لله في الأرض ملائكة سياحين يبلغوني من أمتي السلام »[٢]

٢ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ما من أحد يسلم على إلا رد الله عز وجل إلى روحي حتى أرد عليه السلام »[٣] .

---

(١) تقدم تخريجه ص ٥٣٦ .

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند (١ / ٣٨٧ ، ٤٤١ ، ٤٥٢) .
وأخرجه النسائي في السنن ، كتاب السهو ، باب السلام على النبي ﷺ (٣ / ٤٣) .
وأخرجه أيضا في اليوم الليلة ، فضل السلام على النبي ﷺ ح ٦٦ .
وأخرجه الدارمي في السنن ، كتاب الرقائق ، باب فضل الصلاة على النبي ﷺ (٢ / ٣١٧) ح ٢٧٧٧ ، وأخرجه ابن حبان في صحيحه ، كتاب الأدعية ، باب الصلاة على النبي ﷺ .
انظر : موارد الظمآن (ح ٢٣٩٣) . وأخرجه إسماعيل القاضي في فضل الصلاة على النبي ﷺ (ص ١١) ح ٢١ ، وقال ابن القيم في جلاء الأفهام (ص ٥٤) : إسناده صحيح .

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٢ / ٥٢٧) . وأخرجه أبو داود في سننه ، كتاب المناسك ، باب زيارة القبور (٢ / ٥٣٤) ح ٢٠٤١ ، وعزاه السخاوي في القول البديع (ص ١٦١) إلى الطبراني والبيهقي أيضا والحديث لا يسلم من مقال في إسناده . قال ابن عبد الهادى : أما المقال في إسناده فمن جهة تفرد أبي صخر به عن ابن قسيط عن أبي هريرة . ولم يتابع ابن قسيط أحد في روايته عن أبي هريرة ولا تابع أبا صخر أحد في روايته عن ابن قسيط . الصارم المنكي (ص ٢٥٠) وحميد بن زياد أبو صخر ، ويزيد بن عبد الله بن قسيط فيهما كلام قال ابن عبد الهادي : وأبو صخر حميد بن زياد قد اختلف الأئمة في عدالته والاحتجاج بخبره مع الاضطراب في اسمه وكنيته واسم أبيه ، فما تفردبه من الحديث ولم يتابعه عليه أحد لا ينهض إلى درجة الصحة =

٣ ـ وقد تقدم حديث عبد الرحمن بن عوف عن النبي ﷺ أنه قال : « أتاني جبريل فقال : من صلى عليك صليت عليه ، ومن سلم عليك سلمت عليه »[(١)].

٤ ـ وكذلك حديث أبي طلحة وفيه « أما يرضيك ألا يصلي عليك أحد من أمتك إلا صليت عليه عشرًا ، ولا سلم عليك إلا سلمت عليه عشرًا »[(٢)].

وبما تقدم من نصوص يعلم أن السلام هو حق من الحقوق التي للنبي ﷺ على أمته ، والمسلم مأمور بالقيام بهذا الحق حيث كان إما مطلقا ، وإما عند الأسباب المؤكدة لذلك كما في التشهد وعند الدخول إلى المسجد أو الخروج منه .

وهذا السلام فيه من الخاصية للنبي ﷺ والفضل على هذه الأمة ما فيه .

أما الخاصية التي فيه للنبي ﷺ .

فالأمر بالسلام عليه ﷺ مع الغيبة من خصائصه التي خصه الله بها ، فلم يرد في الشرع الأمر بالسلام على معين مع مغيبه إلا عليه ﷺ وذلك كما في التشهد فليس فيه سلام على معين إلا عليه وكذلك عند دخول المسجد والخروج منه[(٣)] .

وأما الفضل الذي جعله الله لهذه الأمة بهذا السلام فهو جعله سبحانه وتعالى

= بل يستشهد به ويعتبر به . انتهي كلامه . وهذا الحديث مما تفرد به كما سبق بيانه من كلام ابن عبد الهادى . وقد ذكر ابن عبد الهادي أقوال أئمة الجرح والتعديل في كل من حميد بن زياد أبي صخر ويزيد بن عبد الله بن قسيط وقال في نهاية نقله والحديث إسناده مقارب وهو صالح أن يكون متابعا لغيره عاضدا له والله أعلم .

الصارم المنكى (ص ٢٥٩) .

(١) تقدم تخريجه ص ٥٦٤ .

(٢) تقدم تخريجه ص ٥٦٥

(٣) مجموع الفتاوى (٢٧ / ٤١٢) .

هذا السلام مطلقا لا يتكلف فيه المرء قطع المسافة ولا يشترط فيه اللقاء به في حياته أو المجيء إلى قبره بعد وفاته .

فالمسلم يسلم على النبي ﷺ في أي مكان في هذه الدنيا وفي أي وقت وزمان يشاء وهذا من الفضل والنعمة التي امتن الله بها علينا .

○ ○ ○ ○

المطلب الثاني

السلام على النبي ﷺ عند حجرته التي دفن فيها

وهذه المسألة أشكلت على كثير من الناس ، ولكن الذي ينبغي على من أراد أن يعرف الحق ودين الإسلام ، أن يتأمل في النصوص النبوية الواردة في جوانب هذه المسألة ، وأن يعرف ما كان يفعله الصحابة والتابعون وما قاله أئمة المسلمين ، ليعرف ما هو المشروع وما هو المبتدع وما هو مجمع عليه وما هو متنازع فيه .

وسيرًا على هذا الأساس فسأعرض هذه المسألة بشيء من التوسع متناولًا في ذلك عددًا من الجوانب التي جاءت بها النصوص الشرعية بغرض إبراز أمور هامة قد تخفى على كثير من الناس ويغفلون عنها ، وهي أمور على درجة كبيرة من الأهمية إذ على أساسها ينبني الفهم الصحيح الموافق لنصوص الشرع في هذه المسألة .

وقد قسمت هذا المطلب إلى نقاط ختمتها بذكر خلاصة لأقوال العلماء في عدد من المسائل الواردة في هذا الشأن .

النقطة الأولى :

لم يرد عن النبي ﷺ نص صحيح صريح يأمر فيه أمته بالسلام عليه عند قبره فالمتأمل للنصوص الواردة في شأن السلام عليه ﷺ - والتي سبق إيرادها - لا يجد فيها أن النبي ﷺ قد خص قبره بالسلام ، كما قد ورد تخصيص التشهد بالسلام عليه وكذا الدخول إلى المسجد والخروج منه .

وهنا يحسن توضيح الأمور الهامة التالية :

١ ـ أن عدم التخصيص للقبر بالسلام فيه إظهار لخاصية اختص بها النبي ﷺ لا يماثله فيها أحد من الخلق .

فالمقصود عند قبر غيره من الدعاء له هو مأمور به في حق الرسول ﷺ في الصلوات الخمس وعند دخول المساجد والخروج منها . فالله عز وجل فضله بهذا الأمر على غيره ، وأغناه بذلك عما يفعل عند قبور غيره[1] .

٢ ـ أن الذي تدل عليه نصوص السلام عليه ﷺ أن هذا السلام يستوى فيه القريب والبعيد ، وهذا أمر اختص به النبي ﷺ .

ولهذا قال الحسن بن الحسن بن على بن أبي طالب[2]لذلك الرجل الذي رآه يختلف إلى قبر النبي ﷺ ويدعو عنده . فقال له : يا هذا إن رسول الله ﷺ قال « لا تتخذوا قبري عيدًا وصلوا علي فإن صلاتكم حيثما كنتم تبلغني »[3] فما أنت ورجل بالأندلس منه إلا سواء .

فالحسن بن الحسن ـ شيخ أهل بيته ـ وغيره لا يفرقون بين أهل المدينة والغرباء ولا بين المسافر وغيره ولا يرون في السلام عليه عند قبره مزية[4]فالسلام يصل إليه من مشارق الأرض ومغاربها .

---

(١) الصارم المنكي (ص ٥٤) .

(٢) الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب الهاشمي ، المدني الإمام أبو محمد ، وهو قليل الرواية مع صدقه وجلالته ، توفي سنة تسع وتسعين وقيل سبع وتسعين للهجرة .
سير أعلام النبلاء (٤ / ٤٨٣ ، ٤٨٧) .

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٧٦٢٦) . وأخرجه إسماعيل القاضي في فضل الصلاة على النبي ﷺ (ص ١٣ – ١٤) ح ٣٠ وقال الألباني بهامشه : حديث صحيح . وابن عساكر (٤ / ٢١٧ / أ) . وأورده الذهبي في سير أعلام النبلاء (٤ / ٤٨٣ – ٤٨٤) . وعزاه الألباني في تحذير الساجد (ص ١٤١) إلى ابن خزيمة في حديث علي بن حجر (٤ / رقم ٤٨) .

(٤) الرد على الأخنائي (ص ١٤٦) .

وهذا من فضل اللّٰه على هذه الأمة فالمسلم في أي بقعة من الأرض له أن يقوم بهذا الحق للنبي ﷺ .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « ثبت بالسنة واتفاق الأمة أن كل ما يفعل من الأعمال الصالحة في المسجد عند حجرته من صلاة عليه وسلام وثناء وإكرام وذكر محاسن وفضائل ، ممكن فعله في سائر الأماكن ، ويكون لصاحبه من الأجر ما يستحقه ، كما قال : « لا تتخذوا قبري عيدًا وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم » . ولو كان للأعمال عند القبر فضيلة لفتح للمسلمين باب الحجرة ، ولما منعوا من الوصول إلى القبر »[1] .

« فاللّٰه سبحانه خص رسوله ﷺ بما خصه به تفضيلًا له وتكريمًا لما يجب من حقه على كل مسلم في كل موضع ، فإن اللّٰه أوجب الإيمان به ومحبته وموالاته ونصره وطاعته واتباعه على كل أحد في كل مكان ، وأمر من الصلاة عليه والسلام عليه في كل مكان ومن سؤال الوسيلة له عند كل أذان ومن ذكر فضائله ومناقبه وما يعرف به قدر نعمة اللّٰه به على أهل الأرض ، وأن اللّٰه لم ينعم على أهل الأرض نعمة أعظم من إرسال محمد ﷺ إليهم ، وأنه هو أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، وأنه لا يؤمن العبد حتى يكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين ، بل حتى يكون أحب إليه من نفسه إلى غير ذلك من حقوقه ، وكل هذه مشروعة في جميع البقاع ليس منها شيء يختص بالقبر ولا بما هو قريب من القبر . ولا شرع للناس أن يكون قيامهم بهذه الحقوق عند القبر أفضل من قيامهم بها في بلادهم . بل المشروع أن يقوموا بها في كل مكان . ومن قام بها عند القبر وفتر عن القيام بها في بلده كما يوجد في بعض

(١) الجامع الفريد (ص ٣٩٦) .

الناس يوجد من محبته وتعظيمه وثنائه ودعائه للرسول عند قبره أعظم مما يوجد في بلده وطريقه ، فهذه حالة منقوصة غير محمودة ، وصاحبها منحوس الحظ ناقص النصيب وهو ناقص الدين والإيمان إما بترك واجب يأثم بتركه وإما بترك مستحب تنقص درجته بتركه بخلاف من منَّ اللّه عليه فجعل محبته وثناءه وتعظيمه ودعاءه للرسول في بلده مثل ما إذا كان بالمدينة عند قبره أو أعظم .

فهذه هي الحالة المحمودة المشروعة وهي حال الصحابة والتابعين لهم بإحسان إلى يوم القيامة ولا يعرف عن أحد منهم أنه كان يزيد حبه وتعظيمه ودعاؤه وثناؤه عند القبر ، ولهذا لم يكونوا يأتونه لأن قيامهم بما يجب من حقوق الرسول في جميع الأمكنة سواء .

وقد نهى عن تخصيص القبر بذلك وأن يتخذوه عيدا ومسجدا لأنه مظنة أن يتخذ وثنا ويفضي إلى الشرك ومظنة أن ينقص قيامهم بحقه في سائر البقاع إذا خصوا تلك البقعة بمزيد القيام ، كما أن المشاعر لما خصت بالعبادات فالمؤمن تجد إيمانه فيها أعظم من إيمانه في غيرها ، والرسول ﷺ حقه في جميع البقاع سواء ولكن تتنوع حقوقه بحسب الأحوال ، ولهذا إذا اعتبرت أحوال الناس كان من يعظم النبي ﷺ عند قبره مقصرًا في حقوقه التي أمر بها في سائر البقاع بحسب ما زاد عند القبر . وهذا أمر مطرد معروف من جميع أحوال الناس .

ولما كان السابقون الأولون أقوم بحقوقه في جميع المواضع كانوا أبعد الناس عن تخصيص القبر بشيء ، والخلفاء الراشدون ونحوهم لما كانوا أقوم بحقوقه من غيرهم لم يفعلوا ما فعله ابن عمر ونحوه ، فأبوه عمر كان أقوم بحقه ﷺ منه وكان ينهي أن يقصد الصلاة في موضع صلى فيه النبي ﷺ ، خلاف ما

فعله ابنه عبد اللّٰه مع فضله ودينه رضي اللّٰه عنهم أجمعين »[١] .

فمن يجد قلبه عند قبر الرسول أكثر محبة له وتعظيمًا ، ولسانه أكثر صلاة عليه وتسليما مما لايجده في سائر المواضع ، كان ذلك دليلًا على أنه ناقص الحظ منحوس النصيب من كمال المحبة والتعظيم وكان فيه من نقص الإيمان وانخفاض الدرجة بحسب هذا التفاوت ، بل المأمور به أن تكون محبته وتعظيمه وصلاته وتسليمه عند غير القبر أعظم فإن القبر قد حيل بين الناس وبينه .

فمن لم يجد إيمانه به ومحبته له وتعظيمه له وصلاته عليه وتسليمه عليه إذا كان في بلده أعظم مما يكون لو كان في نفس الحجرة من داخل ، فهو ناقص الحظ من الدين وكمال الإيمان واليقين ، فكيف إذا لم يكن من داخل بل من خارج ؟ هذا واللّٰه أعلم[٢] .

٣ ـ أن عدم تخصيص النبي ﷺ للقبر بالسلام ولا بغيره من العبادات هو لما في ذلك من مظنة اتخاذه وثنًا أو عيدًا فيفضي ذلك إلى الشرك ، والمعروف عنه ﷺ أنه حريص على سد كل ذريعة قد توصل إلى الشرك .

وسيأتي توضيح هذه المسألة في النقطة الثالثة بإذن اللّٰه .

النقطة الثانية :

الأحاديث الواردة في زيارة قبره كلها موضوعة .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « لم يثبت عن النبي ﷺ حديث واحد في زيارة قبر مخصوص ، ولا روى أحد في ذلك شيئًا ، لا أهل الصحاح ولا السنن ولا الأئمة المصنفون في المسانيد كالإمام أحمد وغيره ، وإنما روى هذه

(١) الرد على الأخنائي (ص ٧٤ - ٧٦) .

(٢) الرد على الأخنائي (ص ٩٧ - ٩٨) .

الأحاديث من جمع الموضوع وغيره »[١] .

وقال أيضا : « وأما قوله : « من زار قبري فقد وجبت له شفاعتي » .

وأمثال هذا الحديث مما روي في زيارة قبره ﷺ فليس منها شيء صحيح[٢] ولم يروها أحد من أهل الكتب المعتمدة لا أصحاب الصحيح كالبخاري ومسلم . ولا أصحاب السنن كأبي داود والنسائي ولا الأئمة من أهل المسانيد : كالإمام أحمد وأمثاله ، ولا اعتمد على ذلك أحد من أئمة الفقه كمالك والشافعي وأحمد ، وإسحاق بن راهويه ، وأبي حنيفة ، والثوري ، والأوزاعي وأمثالهم .

بل عامة هذه الأحاديث مما يعلم أنها كذب موضوعة ، كقوله « من زارني وزار أبي في عام واحد ضمنت له على الله الجنة » وقوله « من حج ولم يزرني فقد جفاني » فإن هذه الأحاديث ونحوها كذب .

وقال أيضا : وما ذكروه من الأحاديث في زيارة قبر النبي ﷺ فكلها ضعيفة باتفاق أهل العلم بالحديث ، بل هي موضوعة لم يرو أحد من أهل السنن المعتمدة شيئًا منها ولم يحتج أحد من الأئمة بشيء منها ، بل مالك ـ إمام أهل المدينة النبوية الذين هم أعلم الناس بحكم هذه المسألة ـ كره أن يقول الرجل زرت قبره ﷺ ولو كان هذا اللفظ معروفا عندهم ، أو مشروعًا ، أو مأثورًا

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (ص ٤٠٠) .

(٢) جمع الإمام الحافظ محمد بن أحمد بن عبد الهادى في كتابه الصارم المنكي في الرد على السبكي ، الأحاديث التي وردت في زيارة قبر النبي ﷺ وبين درجتها ورد على من احتج بها وكذلك الشيخ حماد الأنصاري في رسالة له سماها كشف الستر عما ورد في السفر إلى القبر الأحاديث الواردة في هذه المسألة وبين حكمها .

عن النبي ﷺ لم يكرهه عالم المدينة[(١)] .

ومما يوضح هذا أنه لم يعرف عن أحد من الصحابة أنه تكلم باسم زيارة قبره لا ترغيبا في ذلك ولا غير ترغيب ، فعلم أن مسمى هذا الاسم لم يكن له حقيقة عندهم[(٢)] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : ولا أعرف عن أحد من الصحابة أنه تكلم بلفظ زيارة قبره ألبتة ، فلم يكن هذا اللفظ معروفًا عندهم[(٣)] .

ولهذا كره من كره من العلماء إطلاق هذا الاسم .

« والذين أطلقوا هذا الاسم من العلماء انما أرادوا به إتيان مسجده والصلاة فيه والسلام عليه فيه إما قريبا من الحجرة وإما بعيدا عنها إما مستقبلا للقبلة وإما مستقبلا للحجرة .

وليس في أئمة المسلمين لا الأربعة ولا غيرهم من احتج على ذلك بلفظ روى في زيارة قبره .

بل إنما يحتجون بفعل ابن عمر مثلا وهو أنه « كان يسلم » أو بما روي عنه من قوله ﷺ « ما من رجل يسلم علي إلا رد اللّٰه علي روحى حتى أرد عليه السلام » وذلك احتجاج بلفظ السلام لا بلفظ الزيارة .

وليس في شيء من مصنفات المسلمين التي يعتمدون عليها في الحديث والفقه أصل عن الرسول ﷺ ولا عن أصحابه في زيارة قبره .

أما أكثر مصنفات جمهور العلماء فليس فيها استحباب شيء من ذلك بل

(١) الجامع الفريد - كتاب الزيارة (ص ٣٩٥ ، ٣٩٦) .

(٢) الرد على الأخنائي (ص ١٣٧) .

(٣) الرد على الأخنائي (ص ١٣٧) .

يذكرون المدينة وفضائلها وأنها حرم ويذكرون مسجده وفضله وفضل الصلاة فيه والسفر إليه وإلى المسجد الحرام ونذر ذلك ونحو ذلك من المسائل ولا يذكرون اسستحباب زيارة قبره لا بهذا اللفظ ولا بغيره فليس في الصحيحين وأمثالهما شيء من ذلك ولا في عامة السنن مثل النسائي والترمذي وغيرهما ولا في مسند الشافعي وأحمد وإسحاق ونحوهم من الأئمة .

وطائفة أخرى ذكروا ما يتعلق بالقبر لكن بغير لفظ زيارة قبره ، كما روى مالك في الموطأ عن ابن عمر أنه كان يسلم على النبي ﷺ وعلى أبي بكر وعمر كما قال أبو داود في سننه ، (باب ما جاء في زيارة القبور) وذكر قوله ﷺ : « ما من أحد يسلم علي إلا رد الله على روحي حتى أرد عليه السلام » .

ولهذا أكثر كتب الفقه المختصرة التي تحفظ ليس فيها استحباب زيارة قبره مع ما يذكرون من أحكام المدينة .

وإنما يذكر ذلك قليل منهم ، والذين يذكرون ذلك يفسرونه بإتيان المسجد كما تقدم .

ومعلوم أنه لو كان هذا من سنته المعروفة عند أمته المعمول بها من زمن الصحابة والتابعين لكان ذكر ذلك مشهورا عند علماء الإسلام في كل زمان كما اشتهر ذكر الصلاة عليه والسلام عليه ، وكما اشتهر عندهم ذكر مسجده وفضل الصلاة فيه ، فلا يكاد يعرف مصنف للمسلمين في الحديث والفقه إلا وفيه ذكر الصلاة والسلام عليه وذكر فضل مدينته والصلاة في مسجده[1] .

فالمعنى الذي أراده العلماء بقولهم « يستحب زيارة قبر النبي ﷺ » أو قولهم

---

(١) الرد على الأخنائي (ص ١٧٢ - ١٧٣) .

« يستحب السفر لزيارة قبره » ـ كما هو موجود في كلام كثير منهم عند ذكرهم للحج ـ هو السفر إلى مسجده إذ كان المصلون والزوار لا يصلون إلا إلى مسجده ، ولا يصل أحد إلى قبره ولا يدخل أحد إلى حجرته .

ولكن قد يقال هذا في الحقيقة ليس زيارة لقبره ؟ ولهذا كره من كره من العلماء أن يقال زرت قبره . ومنهم من لم يكره . والطائفتان متفقون على أنه لا يزار قبره كما تزار القبور بل إنما يدخل إلى مسجده .

وأيضا فالنية في السفر إلى مسجده وزيارة قبره مختلفة .

فمن قصد السفر إلى مسجده للصلاة فيه فهذا مشروع بالنص والإجماع .

وإن كان لم يقصد إلا القبر ولم يقصد المسجد فمالك والأكثرون يحرمون هذا السفر وكثير من الذين يحرمونه لا يجوزون قصر الصلاة فيه .

وآخرون يجعلونه سفرا جائزا وإن كان غير مستحب ولا واجب بالنذر .

وأما إن كان قصده السفر إلى مسجده وقبره معا فهذا قد قصد مستحبا مشروعا بالإجماع[1] أي السفر إلى المسجد لا السفر إلى القبر .

النقطة الثالثة :

استفاضت الأحاديث عن النبي ﷺ التي ينهي فيها عن الصلاة إلى القبور أو اتخاذها مساجد ، ولعن من اتخذ تلك القبور من الأمم السابقة مساجد .

وقد جاء هذا التحذير منه حتى وهو في آخر أيام حياته كما جاءت بذلك بعض روايات تلك الأحاديث .

فعن عائشة رضي اللّه عنها قالت : قال رسول اللّه ﷺ في مرضه الذي لم

(١) الرد على الأخنائي (ص ٢١) بتصرف .

يقم منه « لعن اللّٰه اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » قالت : فلولا ذاك أبرز قبره غير أنه خشي أن يتخذ مسجدًا »[١] .

وعنها رضي اللّٰه عنها وعن ابن عباس رضي اللّٰه عنهما قالا : « لما نزل برسول اللّٰه ﷺ طفق يطرح خميصة له على وجهه فإذا اغتم كشفها عن وجهه فقال وهو كذلك « لعنة اللّٰه على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » يحذر مثل ما صنعوا[٢] .

وعن عائشة رضي اللّٰه عنها قالت : لما اشتكى النبي ﷺ ذكرت بعض نسائه كنيسة رأينها بأرض الحبشة يقال لها مارية وكانت أم سلمة وأم حبيبة رضي اللّٰه عنهما أتتا أرض الحبشة فذكرتا من حسنها وتصاوير فيها .

فرفع رأسه فقال : « أولئك إذا مات منهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا ثم صوروا فيه تلك الصورة ، أولئك شرار الخلق عند اللّٰه »[٣] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « ومن حكمة اللّٰه أن عائشة أم المؤمنين صاحبة الحجرة التي دفن فيها ﷺ تروي هذه الأحاديث وقد سمعتها منه ، وإن كان

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الجنائز ، باب ما يكره من اتخاذ المساجد على القبور . فتح الباري (٣ / ٢٠٠) ح ١٣٣٠ . وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب المساجد ، باب النهي عن بناء المساجد على القبور (٢ / ٦٧) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الصلاة ، باب حدثنا أبو اليمان فتح الباري (١ / ٥٣٢) ح ٤٣٥ ، ٤٣٦ ، وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب المساجد ، باب النهي عن بناء المساجد على القبور (٢ / ٦٧) .

(٣) أخرجه البخاري « واللفظ له » كتاب الجنائز ، باب بناء المسجد على القبر .
فتح الباري (٣ / ٢٠٨) ح ١٣٤١ ، وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب المساجد ، باب النهي عن بناء المساجد على القبور (٢ / ٦٦) .

غيرها من الصحابة أيضا يرويها كابن عباس ، وأبي هريرة ، وجندب بن عبد الله[١] وابن مسعود رضي الله عنهم » ، انتهى كلامه[٢] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد »[٣] .

وعنه أيضا قال : قال رسول الله ﷺ : « قاتل الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد »[٤] .

وعن جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال : سمعت النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس وهو يقول إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل فإن الله قد اتخذني خليلًا كما اتخذ إبراهيم خليلًا ولو كنت متخذًا من أمتي خليلا لاتخذت أبا بكر خليلًا ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك »[٥].

وعن أبي مرثد الغنوي[٦] قال : قال رسول الله ﷺ « لا تجلسوا إلى القبور

---

(١) جندب بن عبد الله بن سفيان البجلي ، صحابي ، سكن الكوفة ثم البصرة ، ومات زمن فتنة ابن الزبير . الإصابة (١ / ٢٥٠) .

(٢) مجموع الفتاوى (٢٧ / ٤٠٤) .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب المساجد وباب النهي عن بناء المساجد على القبور (٢ / ٦٧) .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الصلاة ، باب حدثنا أبو اليمان فتح الباري (١ / ٥٣٢) ح ٤٣٧ ، وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب المساجد ، باب النهي عن بناء المساجد على القبور (ص / ٦٧) .

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب المساجد ، باب النهي عن بناء المساجد على القبور (٢ / ٦٧ – ٦٨) .

(٦) أبو مرثد الغنوى كناز بن حصين ويقال حصين بن كناز ، وقيل غير ذلك ، صحابي ، ذكره ابن اسحاق فيمن شهد بدرا ، سكن الشام وتوفي سنة ١٢ من الهجرة .
الإصابة (٤ / ١٧٧) وتهذيب التهذيب (٨ / ٤٤٨) .

ولا تصلوا إليها »[١] .

فهذه النصوص النبوية وردت لحماية جناب التوحيد ، ولسد كل ذريعة إلى الشرك فقد لعن فيها من يتخذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد وجل هذه الأحاديث قالها النبي ﷺ في مرض موته ، نصيحة للأمة وحرصا منه على هداها .

وقد ثبت عنه ﷺ نهيه لهذه الأمة عن اتخاذ قبره عيدًا أو وثنًا وهذا أبلغ في بيان مراده في سد كل ذريعة إلى الشرك بالله .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ لا تتخذوا قبري عيدًا ولا تجعلوا بيوتكم قبورًا وحيثما كنتم فصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني »[٢] .

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الجنائز ، باب النهي عن الجلوس على القبر والصلاة إليه (٣ / ٦٢)

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٢ / ٣٦٧) « واللفظ له » . وأخرجه أبو داود في سننه ، كتاب المناسك ، باب زيارة القبور (٢ / ٥٣٤) ح ٢٠٤٢ . والبيهقي في حياة الأنبياء (ص ١٢) .
كلهم من طريق عبد الله بن نافع الصائغ عن ابن أبي ذئب عن سعيد المقبري عن أبي هريرة مرفوعًا
قال الشيخ ربيع المدخلي في تعليقه على كتاب قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ص ١٤٤)
« عبد الله بن نافع ، ثقة صحيح الكتاب في حفظه لين ، فالحديث حسن على أقل الأحوال وصححه النووي في الأذكار (ص ٩٣) وقال شيخ الإسلام في الاقتضاء « إسناده حسن » وحسنه الحافظ في تخريج الأذكار - كما في الفتوحات الربانية وله شواهد تقويه .
وقال الألباني في تحذير الساجد (ص ٢٥) رواه أحمد (رقم ٧٣٥٢) وابن سعد (٢ / ٢٤١ - ٢٤٢) والمفضل الجندي في فضائل المدينة (٦٦ / ١) وأبو يعلى في مسنده (٣١٢ / ١) ، والحميدي (١٠٢٥) وأبو نعيم في الحلية (٦ / ٢٨٣ و ٧ / ٣١٧) بسند صحيح .
وله شاهد مرسل رواه عبد الرزاق في المصنف (١ / ٤٠٦) ح ١٥٨٧ وكذا ابن أبي شيبة (٤ / ١٤١) عن زيد بن أسلم وإسناده قوي .
وآخر أخرجه مالك في الموطأ (١ / ١٨٥) وعنه ابن سعد (٢ / ٢٤٠ ، ٢٤١) عن عطاء بن يسار مرفوعا وسنده صحيح ، وقد وصله البزار عن أبي سعيد الخدري وصححه ابن عبد البر مرسلًا وموصولًا ... » . =

وعن عطاء بن يسار[١] أن رسول الله ﷺ قال : « اللهم لا تجعل قبري وثنًا يعبد ، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد »[٢] .

قال أبو عمر بن عبد البر « الوثن : الصنم ، وهو الصورة من ذهب كان أو من فضة أو غير ذلك من التمثال ، وكل ما يعبد من دون الله فهو وثن صنمًا كان أو غير صنم ، وكانت العرب تصلي إلى الأصنام وتعبدها فخشي رسول الله ﷺ على أمته أن تصنع كما صنع بعض من مضى من الأمم ، كان اذا مات نبي عكفوا حول قبره كما يصنع بالصنم ، فقال ﷺ : « اللهم لا تجعل قبرى وثنا يصلى إليه ويسجد نحوه ويعبد ، فقد اشتد غضب الله على من فعل ذلك ، وكان رسول الله ﷺ يحذر أصحابه وسائر أمته من سوء صنيع الأمم قبله الذين صلوا إلى قبور أنبيائهم واتخذوها قبلة ومسجدا كما

= وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : « هذا حديث حسن ورواته ثقات ، مشاهير ، لكن عبد الله بن نافع الصائغ فيه لين لا يمنع الاحتجاج به قال يحيى بن معين ، هو ثقة ، وحسبك بابن معين موثقًا .
وقال أبو زرعة : لابأس به ، وقال أبو حاتم الرازي : ليس بالحافظ هو لين تعرف وتنكر .
قلت : ومثل هذا يخاف أن يغلط أحيانا ، فإذا كان لحديثه شواهد علم أنه محفوظ ، وهذا له شواهد متعددة » . الرد على الأخنائي (ص ١٤٥) .

(١) عطاء بن يسار الهلالي أبو محمد المدني القاص مولى ميمونة زوج النبي ﷺ ، كان مولده سنة ١٩ هـ ، ثقة ، فاضل ، صاحب مواعظ وعبادة ، مات سنة ٩٤ وقيل بعد ذلك .
تهذيب التهذيب (٧ / ٢١٧ – ٢١٨) .

(٢) أخرجه الإمام مالك في الموطأ (ص ١١٩) ح رقم ٤١٤ كتاب جامع الصلاة عن عطاء بن يسار مرسلا . وأخرجه عبد الرزاق في المصنف (١ / ٤٠٦) باب الصلاة على القبور برقم ١٥٨٧) عن معمر عن زيد بن اسلم . وابن سعد في الطبقات (٢ / ٢٤١) وابن أبي شيبة (٣ / ٣٤٥) .
قال الشيخ ربيع المدخلي : « فهو معضل عند هؤلاء ، لكنه جاء موصولًا عن أبي هريرة ... » انظر قاعدة جليله في التوسل والوسيلة (ص ٣٤) ، وقد تقدم تخريج حديث أبي هريرة .

صنعت الوثنية بالأوثان التي كانوا يسجدون إليها ويعظمونها ، وذلك الشرك الأكبر ، فكان رسول الله ﷺ يخبرهم بما في ذلك من سخط الله وغضبه ، وأنه مما لا يرضاه خشية عليهم امتثال طرقهم ، وكان صلى الله عليه وسلم يحب مخالفة أهل الكتاب وسائر الكفار ، وكان يخاف على أمته اتباعهم »[(١)].

والعيد إذا جعل اسما للمكان : فهو المكان الذي يقصد للاجتماع فيه وإتيانه للعبادة عنده ، أو لغير العبادة[(٢)] .

وقد استجاب الله دعوة نبيه ﷺ فلم يتخذ قبره ـ ولله الحمد والمنة ـ عيدًا ولا وثنا كما اتخذ قبر غيره بل ولا يتمكن أحد من الدخول إلى حجرته بعد أن بنيت الحجرة . وقبل ذلك ما كانوا يمكنون أحدًا من أن يدخل إليه ليدعو عنده ولا يصلي عنده ، ولا غير ذلك مما يفعل عند قبر غيره .

ولكن من الجهال من يصلي إلى حجرته ، أو يرفع صوته أو يتكلم بكلام منهي عنه ، وهذا إنما يفعل خارجا عن حجرته لا عند قبره .

وإلا فهو ولله الحمد استجاب الله دعوته فلم يمكن أحد قط أن يدخل إلى قبره فيصلي عنده أو يدعو أو يشرك به كما فعل بغيره اتخذ قبره وثنا فإنه في حياة عائشة رضي الله عنها ما كان أحد يدخل إلا لأجلها ، ولم تمكن أحدا أن يفعل عند قبره شيئا مما نهي عنه ، وبعدها كانت مغلقة إلى أن أدخلت في المسجد فسد بابها وبني عليها حائط آخر .

كل ذلك صيانة له ﷺ أن يتخذ بيته عيدًا وقبره وثنًا .

وإلا فمعلوم أن أهل المدينة كلهم مسلمون ، ولا يأتي إلى هناك إلا مسلم ،

---

(١) التمهيد (٥ / ٤٥) .

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم (ص ٣٢٤) .

وكلهم معظمون للرسول ﷺ ، وقبور آحاد أمته في البلاد معظمة .

فما فعلوا ذلك ليستهان بالقبر المكرم ، بل فعلوه لئلا يتخذ وثنا يعبد ، ولا يتخذ بيته عيدًا .

ولئلا يفعل به كما فعل أهل الكتاب بقبور أنبيائهم .

والقبر المكرم في الحجرة إنما عليه بطحاء - وهو الرمل الغليظ - ليس عليه حجارة ولا خشب ، ولا هو مطين كما فعل بقبور غيره .

وهو ﷺ إنما نهى عن ذلك سدا للذريعة ، كما نهي عن الصلاة وقت طلوع الشمس ووقت غروبها ، لئلا يفضي ذلك إلى الشرك .

ودعا اللّٰه أن لا يتخذ قبره وثنا يعبد ، فاستجاب اللّٰه دعاءه ﷺ ، فلم يكن مثل الذين اتخذت قبورهم مساجد فإن أحدًا لا يدخل إلى قبره ألبتة ، فإن من كان قبله من الأنبياء إذا ابتدع أممهم بدعة بعث اللّٰه نبيا ينهي عنها .

وهو ﷺ خاتم الأنبياء لا نبي بعده ، فعصم اللّٰه أمته أن تجتمع على ضلالة ، وعصم قبره المكرم أن يتخذ وثنًا ، فإن ذلك والعياذ باللّٰه لو فعل لم يكن بعده نبي ينهى عن ذلك ، وكان الذين يفعلون ذلك قد غلبوا الأمة ، وهو ﷺ قد أخبر أنه لا تزال طائفة من أمته ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم إلى يوم القيامة ، فلم يكن لأهل البدع سبيل أن يفعلوا بقبره المكرم كما فعل بقبور غيره ﷺ .

فالدخول عند قبره للصلاة والسلام عليه هناك ، أو الصلاة والدعاء مما لم يشرعه لهم ، بل نهاهم فقال : « لا تتخذوا قبري عيدًا وصلوا علي حيثما كنتم ، فإن صلاتكم تبلغني فبين أن الصلاة تصل إليه من البعيد ، وكذلك السلام ، ومن صلى عليه مرة صلى اللّٰه عليه بها عشرا ومن سلم عليه مرة سلم

الله عليه عشرا ، كما قد جاء في بعض الأحاديث .

وتخصيص الحجرة بالصلاة والسلام جعل لها عيدا ، وهو قد نهاهم عن ذلك ، ونهاهم أن يتخذوا قبره أو قبر غيره مسجدا ، ولعن من فعل ذلك ليحذروا أن يصيبهم مثل ما أصاب غيرهم من اللعنة .

وكان أصحابه خير القرون ، وهم أعلم بسنته ، وأطوع الأمة لأمره ، وكانوا إذا دخلوا إلى مسجده لا يذهب أحد منهم إلى قبره لا من داخل الحجرة ولا من خارجها .

وكانت الحجرة في زمانهم يدخل إليها من الباب إذ كانت عائشة رضي الله عنها فيها ، وبعد ذلك إلى أن بني الحائط الآخر .

وهم مع ذلك التمكن من الوصول إلى قبره لا يدخلون إليه : لا لسلام ولا لصلاة عليه ، ولا لدعاء لأنفسهم ، ولا لسؤال عن حديث أو علم ، ولا كان الشيطان يطمع فيهم حتى يسمعهم كلامًا أو سلامًا فيظنون أنه هو كلمهم وأفتاهم وبين لهم الأحاديث ، أو أنه قد رد عليهم السلام بصوت يسمع من خارج ، كما طمع الشيطان مع غيرهم ، فأضلهم عند قبره ، وقبر غيره حتى ظنوا أن صاحب القبر يحدثهم ويفتيهم ويأمرهم وينهاهم في الظاهر ، وأنه يخرج من القبر ويرونه خارجا من القبر ، ويظنون أن نفس أبدان الموتى خرجت من القبر تكلمهم ، وأن روح الميت تجسدت لهم فرأوها كما رآهم النبي ﷺ ليلة المعراج يقظة لا مناما .

فإن الصحابة رضوان الله عليهم خير قرون هذه الأمة التي هي خير أمة أخرجت للناس .

وهم تلقوا الدين عن النبي ﷺ بلا واسطة ، ففهموا من مقاصده ﷺ

وعاينوا من أفعاله وسمعوا منه شفاهًا ما لم يحصل لمن بعدهم ...

ولهذا لم يطمع الشيطان أن ينال منهم من الإضلال والإغواء ما ناله ممن بعدهم من أهل البدع . فلم يكن أحد من الصحابة رضوان اللّٰه عليهم يأتيه فيسأله عند القبر عن بعض ما تنازعوا فيه وأشكل عليهم من العلم ، لا خلفاؤه الأربعة ولا غيرهم ، مع أنهم أخص الناس به ﷺ .

والمقصود هنا أن الصحابة رضوان اللّٰه عليهم تركوا البدع المتعلقة بالقبور كقبره المكرم وقبر غيره ، لنهيه ﷺ لهم عن ذلك ، ولئلا يتشبهوا بأهل الكتاب الذين اتخذوا قبور أنبيائهم أوثانا .

والصحابة رضوان اللّٰه عليهم خير القرون وأفضل الخلق بعد الأنبياء بل ان خير الناس بعدهم أتبعهم لهم .

قال عبد اللّٰه بن مسعود رضي اللّٰه عنه : من كان منكم مستنا فليستن بمن قد مات ، فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة ، أولئك أصحاب محمد أبر هذه الأمة قلوبًا وأعمقها علمًا وأقلها تكلفًا قوم اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه ، فاعرفوا لهم حقهم ، وتمسكوا بهديهم فإنهم كانوا علي الهدي المستقيم »[1] .

« ثم إن أفضل التابعين من أهل بيته على بن الحسين [2] رضي اللّٰه عنه نهي ذلك الرجل أن يتحرى الدعاء عند قبره ﷺ »[3] .

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٧ / ٣٨٧ - ٣٩٥) بتصرف .

(٢) هو علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي ، المدني زين العابدين من أَجَلِّ التابعين علمًا ودينًا ، حتى قال عنه الزهري : « ما رأيت هاشميًا مثله » وكان ثقةً ، مأمونًا ، كثير الحديث عاليًا رفيعًا ورعًا ، توفي سنة ٩٤ هـ . سير أعلام النبلاء (٤ / ٣٨٦ - ٤٠١) .

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم (ص ٣٢٤) .

فقد روى إسماعيل بن إسحاق بسنده عن علي بن الحسين بن علي أن رجلا كان يأتي كل غداة فيزور قبر النبي ﷺ ويصلي عليه ويصنع من ذلك ما اشتهره عليه علي بن الحسين ، فقال له علي بن الحسين ما يحملك على هذا ؟

قال : أحب التسليم على النبي ﷺ .

فقال له علي بن الحسين : هل لك أن أحدثك حديثًا عن أبي ؟

قال : نعم ، فقال له علي بن الحسين أخبرني أبي عن جدي أنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تجعلوا قبري عيدًا ، ولا تجعلوا بيوتكم قبورًا وصلوا علي وسلموا حيثما كنتم ، فسيبلغني سلامكم وصلاتكم »[1] .

فاستدل رضي الله عنه بالحديث ، وهو راوي الحديث الذي سمعه من أبيه الحسين عن جده علي وهو أعلم بمعناه من غيره .

وهذا يقتضي أنه لا مزية للسلام عليه عند قبره كما لا مزية للصلاة عليه عند قبره بل قد نهي عن تخصيص القبر بهذا[2] .

فتبين أن قصد قبره للدعاء ونحوه : اتخاذ له عيدا[3] .

وكذلك ابن عمه حسن بن حسن شيخ أهل بيته : كره أن يقصد القبر

(١) أخرجه في كتابه فضل الصلاة على النبي ﷺ (ص ١٠) ح رقم ٢٠ .

قال الألباني : أخرجه ابن أبي شيبة (٢ / ٨٣ / ٢) . وعنه أبو يعلى في مسنده ، ورواه الضياء في المختارة (١ / ١٥٤) من طريق أبي يعلى والخطيب في الموضح (٢ / ٣٠) . وسنده مسلسل بأهل البيت رضي الله عنهم إلا أن أحدهم وهو علي بن عمر مستور كما قال الحافظ في التقريب . تحذير الساجد (ص ١٤٠) . وقال أيضا : « حديث صحيح بطرقه وشواهده » انظر هامش كتاب فضل الصلاة على النبي ﷺ (ص ١٠) .

(٢) الرد على الأخنائي (ص ١٤٤) .

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم (ص ٣٢٤) .

للسلام ونحوه غير دخول المسجد ، ورأى أن ذلك من اتخاذه عيدا .

فعن سهيل بن أبي سهيل[١] عن الحسن بن الحسن قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تتخذوا قبري عيدًا ولا بيوتكم قبورًا وصلوا علي حيثما كنتم فإن صلاتكم تبلغني[٢] » .

وفي رواية عند إسماعيل بن إسحاق القاضي عن سهيل قال : جئت أسلم على النبي ﷺ وحسن بن حسن يتعشى في بيت عند النبي ﷺ ، فدعاني فجئته فقال : أدن فتعش ، قال : قلت : لا أريده .

قال : مالي رأيتك وقفت ؟ قال : وقفت أسلم على النبي ﷺ

قال : إذا دخلت المسجد فسلم عليه ، ثم قال : إن رسول الله ﷺ قال : « صلوا في بيوتكم ولا تجعلوا بيوتكم مقابر ، لعن الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ، وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيثما كنتم »[٣] .

فهذا فيه أنه أمره أن يسلم عند دخول المسجد وهو السلام المشروع الذي روي عن النبي ﷺ[٤] .

---

(١) سهيل هذا أورده ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٤ / ٢٤٩)
ولم يذكر فيه جرحا ولا تعديلًا ، وذكر له عنه راويين :
أحدهما : محمد بن عجلان وهو الراوي لهذا الحديث عن ابن أبي شيبة .
والآخر : سفيان الثوري . قال الألباني في تحذير الساجد (ص ١٤١) وله راو ثالث وهو : إسماعيل بن علية الراوي لهذا الحديث عنه عند ابن خزيمة ، فقد روى عنه ثلاثة من الثقات ، فهو معروف غير مجهول ، انتهى كلامه .

(٢) تقدم تخريجه ص ٥٨٠ .

(٣) كتاب فضل الصلاة على النبي ﷺ (ص ١٣ - ١٤) .
ح رقم ٣٠ وقال الألباني بهامشه : « حديث صحيح » .

(٤) الرد على الأخنائي (ص ١٤٦) .

فانظر هذه السنة كيف مخرجها من أهل المدينة ، وأهل البيت الذين لهم من رسول الله ﷺ قرب النسب ، وقرب الدار ؟ لأنهم إلى ذلك أحوج من غيرهم فكانوا لها أضبط .

النقطة الرابعة :

نظرا لتعلق المسألة بزيارة القبور فيحسن إعطاء نبذة موجزة عن أقوال العلماء في مسألة زيارة القبور :

اتفق العلماء على أن النبي ﷺ كان قد نهي عن زيارة القبور .

ثم اختلفوا هل نسخ ذلك ؟

فقالت طائفة : لم ينسخ ذلك .

وقد ذهب إلى ذلك طائفة من السلف فقد نقل ذلك عن إبراهيم النخعي[١] والشعبي ومحمد بن سيرين وهؤلاء من أجل علماء المسلمين في زمن التابعين باتفاق المسلمين ويحكى قولًا في مذهب مالك[٢] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « وتنازع المسلمون في زيارة القبور ، فقال طائفة من السلف إن ذلك كله منهي عنه لم ينسخ ، فإن أحاديث النسخ لم يروها البخاري ، ولم تشتهر ، ولما ذكر البخاري زيارة القبور احتج بحديث المرأة التي بكت عند القبر »[٣] .

وروي عن الشعبي أنه قال : لولا أن رسول الله ﷺ نهى عن زيارة القبور

(١) إبراهيم بن يزيد بن قيس النخعي الإمام الحافظ فقيه العراق أحد الأعلام ، مات سنة ست وتسعين ولما بلغ الشعبي موته قال : والله ما ترك بعده مثله . سير أعلام النبلاء (٤ / ٥٢٠ - ٥٢٩)

(٢) مجموع الفتاوى (٢٧ / ٣٤٣) والرد على الأخنائي (٥٧ ، ٥٨ ، ١٢٠) .

(٣) انظر صحيح البخاري ، كتاب الجنائز ، باب زيارة القبور . فتح الباري (٣ / ١٤٨) ح ١٢٨٣

لزرت قبر ابنتي[١] .

وقال النخعي : كانوا يكرهون زيارة القبور[٢]وعن ابن سيرين مثله[٣]قال ابن بطال[٤] : وقد سئل مالك عن زيارة القبور ؟

فقال : قد كان نهي عنها عليه السلام ثم أذن فيها ، فلو فعل ذلك إنسان ولم يقل إلا خيرًا لم أر بذلك بأسًا ، وليس من عمل الناس .

وروي عنه أنه كان يضعف زيارتها »[٥] .

فهذا قول طائفة من السلف ، ومالك في القول الذي رخص فيه يقول : « ليس من عمل الناس » وفي الآخر ضعفها ، فلم يستحبها لا في هذا ولا في هذا[٦] .

وقالت طائفة : بل نسخ ذلك وهم على قسمين :

القسم الأول : قالوا إنما نسخ إلى الإباحة ، فزيارة القبور مباحة لا مستحبة وهذا قول في مذهب مالك وأحمد .

قالوا : لأن صيغة أفعل بعد الحظر إنما تفيد الإباحة كما قال ﷺ في الحديث الصحيح : « كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ، وكنت نهيتكم عن الانتباذ في الأوعية فانتبذوا ولا تشربوا مسكرا »[٧] .

(١،٢،٣) انظر المصنف لابن أبي شيبة ، كتاب الجنائز ، باب من كره زيارة القبور (٣ / ٣٤٥) .

(٤) علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال ، أبو الحسن ، عالم بالحديث من أهل قرطبة له كتاب شرح البخاري ، توفي سنة ٤٤٩ هـ . الأعلام (٤ / ٢٨٥) .

(٥) مجموع الفتاوى (٢٧ / ٣٧٥) والرد على الأخنائي (١٢٠) .

(٦) الرد على الأخنائي (ص ١٢٠) .

(٧) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الجنائز ، باب استئذان النبي ﷺ ربه عز وجل في زيارة قبر أمه (٣ / ٦٥) .

وروي « فزوروها ولا تقولوا هجرا »[١] وهذا يدل على أن النهي كان لما كان يقال عندها من الأقوال المنكرة سدا للذريعة ، كالنهي عن الإنتباذ في الأوعية أولًا لأن الشدة المطربة تدب فيها ولا يدري بذلك فيشرب الشارب الخمر وهو لا يدري .

القسم الثاني : قال الأكثرون زيارة قبور المؤمنين مستحبة للدعاء للموتى مع السلام عليهم ، كما كان النبي ﷺ يخرج إلى البقيع فيدعو لهم[٢] وكما ثبت عنه ﷺ في الصحيحين أنه خرج إلى شهداء أحد فصلى عليهم صلاته على الموتى كالمودع للأحياء والأموات[٣] .

وثبت عنه ﷺ في الصحيح أنه كان يعلم أصحابه إذا زاروا القبور أن يقولوا « السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين ، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون يرحم الله المستقدمين منا ومنكم والمستأخرين نسأل الله لنا ولكم العافية »[٤] .

وهذا في زيارة قبور المؤمنين .

وأما زيارة قبر الكافر فرخص فيها لأجل تذكار الآخرة ، ولا يجوز الإستغفار لهم ، وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه زار قبر أمه فبكى وأبكى من حوله ، وقال : « استأذنت ربي في أن أستغفر لها فلم يؤذن لي ، واستأذنته في

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ، كتاب الجنائز (١ / ٣٧٦) .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الجنائز ، باب ما يقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها (٣ / ٦٣ - ٦٤) .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب المغازي ، باب غزوة أحد ، فتح الباري (٧ / ٣٤٨) ح ٤٠٤٢ وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الفضائل ، باب إثبات حوض نبينا ﷺ (٧ / ٦٧)

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الجنائز ، باب ما يقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها (٣ / ٦٤ - ٦٥) .

أن أزور قبرها فأذن لي فزوروا القبور فإنها تذكر الموت »[١] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « والعلماء المتنازعون كل منهم يحتج بدليل شرعي ويكون عند بعضهم من العلم ما ليس عند الآخر . فإن العلماء ورثة الأنبياء . وقال تعالى : ﴿ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ * فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾[٢]

والأقوال الثلاثة صحيحة باعتبار : فهناك زيارة محرمة ، وزيارة مباحة وزيارة مستحبة ، فالذي تدل عليه الأدلة الشرعية أن نحمل المطلق من كلام العلماء على المقيد ، ونفصل الزيارة إلى ثلاثة أنواع : منهي عنه ، ومباح ، ومستحب ، وهو الصواب :

وأما النوع الأول : فإن الزيارة إذا تضمنت أمرًا محرمًا من شرك ، أو كذب أو ندب أو نياحة أو قول هجر : فهي محرمة بالإجماع ، كزيارة المشركين والساخطين لحكم الله ، فإن هؤلاء زيارتهم محرمة ، فإنه لا يقبل دين إلا دين الإسلام : وهو الاستسلام لخلقه وأمره . فيسلم لما قدره وقضاه .

ويسلم لما يأمر به ويحبه ، وهذا نفعله وندعو إليه ، وذاك نسلمه ونتوكل فيه عليه ، فنرضى بالله ربا وبالإسلام دينًا وبمحمد نبيا ونقول في صلاتنا : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾[٣] مثل قوله تعالى ﴿ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ﴾[٤] .

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الجنائز ، باب استئذان النبي ﷺ ربه عز وجل في زيارة قبر أمه (٣ / ٦٥) .

(٢) الآيتان (٧٨ – ٧٩) من سورة الأنبياء .

(٣) الآية (٥) من سورة الفاتحة .

(٤) الآية (١٢٣) من سورة هود .

والنوع الثاني : زيارة القبور لمجرد الحزن على الميت ، لقرابته أو صداقته فهذه مباحة كما يباح البكاء على الميت بلا ندب ولا نياحة .

كما زار النبي ﷺ قبر أمه فبكى وأبكى من حوله ، وقال : « زوروا القبور فإنها تذكر الموت » فهذه الزيارة كان نهي عنها لما كانوا يفعلون من المنكر ، فلما عرفوا الإسلام أذن فيها لأن فيها مصلحة ، وهو تذكر الموت فكثير من الناس إذا رأى قريبه وهو مقبور ، ذكر الموت ، واستعد للآخرة ، وقد يحصل منه جزع ، فيتعارض الأمران ، ونفس الحزن مباح ، وإن قصد به طاعة كان طاعة وإن عمل معصية كان معصية .

وأما النوع الثالث : فهو زيارتها للدعاء لها كالصلاة على الجنازة فهذا هو المستحب الذي دلت السنة على استحبابه ، لأن النبي ﷺ فعله ، وكان يعلم أصحابه ما يقولون إذا زاروا القبور .

فيستحب عند الجمهور لمن أتى المدينة أن يأتي البقيع وشهداء أحد كما كان النبي ﷺ يفعل .

فزيارة القبور للدعاء للميت من جنس الصلاة على الجنائز يقصد فيها الدعاء لهم ، لا يقصد فيها أن يدعو مخلوقًا من دون اللَّه ، ولا يجوز أن تتخذ مساجد ، ولا تقصد لكون الدعاء عندها أو بها أفضل من الدعاء في المساجد والبيوت ، والصلاة على الجنائز أفضل باتفاق المسلمين من الدعاء للموتى عند قبورهم ، وهذا مشروع بل فرض كفاية متواتر متفق عليه بين المسلمين[1] .

□ والذي يجب معرفته هنا أن زيارة القبور على وجهين :

زيارة بدعية ، وزيارة شرعية .

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٧ / ٣٦٥ - ٣٨١) بتصرف .

فالزيارة البدعية : هي التي نهي عنها رسول اللّٰه ﷺ واتفق العلماء على أنها غير مشروعة وهي مثل اتخاذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد ، والصلاة إلى القبر ، واتخاذه وثنا أو عيدًا فلا يجوز أن تقصد القبور للصلاة الشرعية ، ولا أن تعبد كما تعبد الأوثان ولا أن تتخذ عيدا يجتمع إليها في وقت معين كما يجتمع المسلمون في عرفة ومِنىٰ .

فكل زيارة تتضمن فعل ما نهي عنه وترك ما أمر به - كالتي تتضمن الجزع وقول الهجر وترك الصبر ، أو تتضمن الشرك ودعاء غير اللّٰه وترك إخلاص الدين للّٰه فهي منهي عنها .

وأما الزيارة الشرعية : فهي السلام على الميت والدعاء له وهي مستحبة عند الأكثرين . وقيل : مباحة . وقيل : كلها منهي عنها كما تقدم .

والقول الراجح الذي تدل عليه الأدلة الشرعية أن نحمل المطلق من كلام العلماء على المقيد ونفصل الزيارة إلى ثلاثة أنواع :

١ - منهي عنه . ٢ - مباح . ٣ - مستحب .

وهو الصواب ، كما تقدم .

قال مالك وغيره : لا نأتي إلا هذه الآثار : مسجد النبي ﷺ ، ومسجد قباء وأهل البقيع ، وأحد .

فإن النبي ﷺ لم يكن يقصد إلا هذين المسجدين وهاتين المقبرتين »[1] .

ولكن بعد هذا التوضيح هل يصح أن يقاس قبر النبي ﷺ على قبور سائر المسلمين فيقال إذا كانت زيارة قبور المؤمنين مشروعة فزيارة قبره من باب أولى ؟

هذا ما سيأتي تفصيله في النقطة التالية :

(١) مجموع الفتاوى (٢٧ / ٣٨٠) بتصرف .

النقطة الخامسة :

أقوال العلماء في مسألة السلام على النبي ﷺ عند قبره .

سبق وأن وضحت في النقطة الثانية من هذا المطلب أنه لم يثبت عن النبي ﷺ نص ثابت صحيح في هذه المسألة ، يأمر فيه الأمة بالإتيان إلى قبره للسلام عليه ، كما ورد ذلك في شأن السلام عليه في التشهد وعند دخول المساجد والخروج منها ، وكذلك فإن الذي كان عليه فعل جمهور الصحابة من بعده ﷺ هو عدم الإتيان للقبر للسلام ، ولا تخصيصه بأي عمل من الأعمال .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « وجمهور الصحابة كانوا يدخلون المسجد ويصلون فيه على النبي ﷺ ، ولا يسلمون عليه عند الخروج من المدينة وعند القدوم من السفر ، بل يدخلون المسجد فيصلون فيه ويسلمون على النبي ﷺ ولا يأتون القبر ، ومقصود بعضهم التحية »[1].

وعلى هذا سار كثير من السلف من بعدهم . روى ابن أبي شيبة[2] في المصنف[3] عن خالد بن الحارث[4] قال سئل هشام[5] أكان عروة[6] يأتي قبر النبي

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٧ / ٤١٤) .

(٢) عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن أبي شيبة ، أبو بكر ، الكوفي ، ثقة حافظ صاحب تصانيف ، ومن أشهر كتبه المصنف ، توفي سنة ٢٣٥ هـ . تهذيب التهذيب (٦ / ٢ - ٤) .

(٣) (٣ / ٣٤١) .

(٤) خالد بن الحارث بن عبيد الهجيمي ، أبو عثمان البصري ، ثقة ثبت من الثامنة ، مات سنة ست وثمانين ومائة . تهذيب التهذيب (٣ / ٨٣ - ٨٤) .

(٥) هشام بن عروة بن الزبير بن العوام الأسدي ، ثقة ، فقيه ربما دلس من الخامسة ، مات سنة خمس أو ست وأربعين ومائة . تهذيب التهذيب (١١ / ٤٨ - ٥١) .

(٦) هو عروة بن الزبير وقد تقدم ترجمته ص ٥٢٨ .

ﷺ فيسلم عليه ؟ قال : لا .

وعن نوح بن يزيد قال : أخبرنا أبو إسحاق يعني إبراهيم بن سعد قال : ما رأيت أبي قط يأتي قبر النبي ﷺ ، وكان يكره إتيانه »[1] .

ولكن ابن عمر كان يأتيه فيسلم عليه وعلى صاحبيه عند قدومه من السفر

---

(١) الرد على الأخنائي (ص ٢٦٨) . وقال شيخ الإسلام بعد إيراده لهذا الأثر وعزوه إلى أبي الحسن علي بن عمر القزويني في أماليه ما نصه : « ونوح بن يزيد بن سيار المؤدب هذا الراوي عن إبراهيم ابن سعد هو ثقة معروف بصحبة إبراهيم وله اختصاص به روى عنه أحمد بن حنبل وأبو داود وغيرهما قال أبو بكر الأثرم : ذكر لي أبو عبد الله نوح بن يزيد المؤدب فقال هذا شيخ كبير أخرج إلي كتاب إبراهيم بن سعد فرأيت فيه ألفاظًا وقال محمد بن المثنى : سألت أحمد بن حنبل عنه فقال : اكتب عنه فإنه ثقة حج مع إبراهيم بن سعد وكان يؤدب ولده . وذكره ابن حبان في الثقات .
وأما إبراهيم بن سعد فهو من أكابر علماء المدينة وأكثرهم علمًا وأوثقهم وكان قد خرج إلى بغداد روى عنه الناس : أحمد بن حنبل وطبقته ، ومن سعة علمه روى عنه الليث بن سعد وهو أقدم وأجل منه . وأما أبوه سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف الزهري الذي ذكر عنه ابنه إبراهيم أنه قال : ما رأيت أبي قط أتى قبر النبي ﷺ وكان يكره إتيانه » وهو من أفضل أهل المدينة في زمن التابعين ومن أصلحهم وأعبدهم ، وكان قاضي المدينة في زمن التابعين في زمن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق وأمثاله ... توفي سنة ست وعشرين ومائة ... وقد أدرك بالمدينة جابر ابن عبد الله وسهل بن سعد الساعدى وغيرهما من الصحابة ، ورأى كبار التابعين مثل سعيد بن المسيب وسائر الفقهاء السبعة ، ومعلوم أنه لم يكن ليخالفهم فيما اتفقوا عليه ، بل قد يخالف ابن عمر ، فإن ما نقله عنه ابنه يقتضي أنه كان لا يأتيه لا عندالسفر ولا غيره بل يكره إتيانه مطلقا كما كان جمهور الصحابة على ذلك لما فهموا من نهيه ﷺ عن ذلك وأنه أمر بالصلاة والسلام عليه في كل زمان ومكان ... مع أن سعد بن إبراهيم هذا في دينه وعبادته وصيامه وتلاوته للقرآن بحيث كان يختم باليوم والليلة كثيرًا .
وأبو الحسن علي بن عمر القزويني وغيره من أهل العلم والدين ذكروا هذه الآثار عن الصحابة والتابعين وتابعيهم ليبينوا للناس كيف كان السلف يفعلون في مثل ذلك .
الرد على الأخنائي (ص ٢٦٨ ، ٢٧٠) .

وقد يكون فعله غير ابن عمر أيضا[١] .

فلهذا رأى من رأى من العلماء هذا جائزا اقتداء بمن فعل ذلك من الصحابة رضوان الله عليهم وابن عمر كان يسلم ثم ينصرف ، ولا يقف ، يقول : السلام عليك يارسول الله ، السلام عليك يا أبا بكر ، السلام عليك يا أبت ثم ينصرف[٢] . وكان يفعل ذلك إذا قدم من سفر أو أراده .

فعن عبد الله بن دينار[٣]قال رأيت ابن عمر إذا قدم من سفر دخل المسجد

---

(١) لعل شيخ الإسلام يقصد هنا بقوله : « وقد يكون فعله غيره » ما نقل عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، وهذا ما صرح به شيخ الإسلام في كتابه قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ص ٢٩٣)

وكذلك أنس بن مالك وغيره نقل عنهم أنهم كانوا يسلمون على النبي ﷺ فإذا أرادوا الدعاء استقبلوا القبلة يدعون الله تعالى .

وقال في اقتضاء الصراط المستقيم (ص ٣٧٢) وذكر محمد بن الحسن بن زبالة في كتاب أخبار المدينة ... قال حدثني عمر بن هارون عن سلمة بن وردان قال « رأيت أنس بن مالك يسلم على النبي ﷺ ثم يسند ظهره إلى جدار القبر ثم يدعو » فهذا إن كان ثابتا عن أنس فإن أنسا لم يكن ساكنا بالمدينة ، وإنما كان يقدم من البصرة ، إما مع الحجيج أو نحوهم .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : ومحمد بن الحسن هذا صاحب أخبار ، وهو مضعف عند أهل الحديث كالواقدي ونحوه ، ولكن يستأنس بما يرويه ويعتبر به .

اقتضاء الصراط المستقيم (ص ٣٧١) .

وهذا يعني أنه لا يعول على أحاديثه وإنما تؤخذ شاهدا ومقويا هامش اقتضاء الصراط (ص ٣٧١)

وهذا الأثر أورده السخاوي في القول البديع (ص ٢١٢) وعزاه لابن أبي الدنيا والبيهقي في الشعب من حديث عبد الله بن أبي أمامة عن أبيه قال : رأيت أنس بن مالك أتى قبر النبي ﷺ فوقف فرفع يديه حتى ظننت أنه افتتح الصلاة فسلم على النبي ﷺ ثم انصرف » .

(٢) مجموع الفتاوى (٢٧ / ٤٠٠) .

(٣) عبد الله بن دينار العدوي مولاهم أبو عبدالرحمن المدني ، مولى ابن عمر ، ثقة من الرابعة ، مات سنة سبع وعشرين ومائة . تهذيب التهذيب (٥ / ٢٠١ - ٢٠٣) .

فقال : السلام عليك يارسول اللّٰه ، السلام على أبي بكر ، السلام على أبي ، ويصلي ركعتين(١). وفي رواية عنه أنه قال : « رأيت عبد اللّٰه بن عمر يقف على قبر النبي ﷺ ويصلي على النبي ﷺ وأبي بكر وعمر رضي اللّٰه عنهما »(٢).

وفي المصنف لابن أبي شيبة بسنده عن نافع عن ابن عمر أنه كان إذا أراد أن يخرج دخل المسجد فصلى ثم أتى قبر النبي ﷺ فقال : السلام عليك يارسول اللّٰه ، السلام عليك يا أبا بكر ، السلام عليك يا أبتاه ثم يأخذ وجهه ، وكان إذا قدم من سفر يفعل ذلك قبل أن يدخل منزله(٣) » .

وفي المصنف لعبد الرزاق(٤) عن معمر(٥) عن أيوب(٦) عن نافع(٧) قال : كان ابن عمر إذا قدم من سفر أتى قبر النبي ﷺ فقال السلام عليك يارسول اللّٰه ، السلام عليك يا أبا بكر ، السلام عليك يا أبتاه .

قال معمر : فذكرت ذلك لعبيد اللّٰه بن عمر(٨) فقال : « لا نعلم أحدا من

---

(١) أخرجه إسماعيل القاضي (ص ٤١) ح ٩٩ وقال الألباني : إسناده موقوف صحيح .

(٢) أخرجه إسماعيل القاضي (ص ٤١) ح ٩٨ وقال الألباني : إسناده موقوف صحيح وهو في الموطأ ح ٣٩٧ برواية يحيى بن يحيى الليثي بهذا اللفظ ، ومن طريقه رواه البيهقي (٥ / ٢٤٥) .

(٣) المصنف (٣ / ٣٤١) .

(٤) عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري ، مولاهم ، أبو بكر الصنعاني ثقة ، حافظ ، مصنف شهير مات سنة إحدى عشر ومائتين . تهذيب التهذيب (٦ / ٣١٠ - ٣١٥) .

(٥) معمر بن راشد الأزدي الحداني مولاهم ، البصري ، نزيل اليمن ثقة ، ثبت ، فاضل ، أخرج له الجماعة ، مات سنة أربع وخمسين ومائة . تهذيب التهذيب (١ / ٢٤٣ - ٢٤٦) .

(٦) هو أيوب السختياني وقد تقدم ترجمته .

(٧) هو نافع مولى ابن عمر وقد تقدم ترجمته .

(٨) عبيد اللّٰه بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب ، أبو عثمان القرشي العدوي ثم العمري المدني ، إمام ، مجود ، حافظ ، ثقة ثبت ، من صغار التابعين ، مات سنة بضع وأربعين ومائة . سير أعلام النبلاء (٦ / ٣٠٤ - ٣٠٧) .

أصحاب النبي ﷺ فعل ذلك(١) .

واستنادا لفعل عبد اللّٰه بن عمر رضي اللّٰه عنهما أجاز الإمام مالك وأحمد وغيرهما(٢) من الأئمة السلام على النبي ﷺ عند القبر على الحال التي كان يفعلها ابن عمر رضي اللّٰه عنهما وهي حال القدوم من السفر أو إرادته ، واقتصروا في مشروعية السلام على النبي ﷺ عند القبر على هذه الحال ولم يفتوا في غيرها .

وهم وإن استحب بعضهم وأجاز بعضهم السلام على النبي عند القبر للقادم

---

(١) المصنف لعبد الرزاق (٣ / ٥٧٦) ح ٦٧٢٤

قال الشيخ ربيع بن هادي المدخلي بعد أن أورد هذا الأثر في تعليقه على كتاب شيخ الإسلام ابن تيمية « قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة » (ص ١٢٨ - ١٢٩) أقول : يستفاد من قول عبيد اللّٰه ابن عمر الإمام المدني ، الثقة الثبت . أن الصحابة الكرام - وفيهم الخلفاء الراشدون - ما كانوا يأتون قبر النبي ﷺ إلا ما كان من عبد اللّٰه بن عمر رضي اللّٰه عنهما إذا قدم من سفر . مع حبهم الشديد لرسول اللّٰه وإكرامهم إياه وطاعتهم وانقيادهم له فهل آن للأمة الإسلامية أن تثوب إلى رشدها ، فتتبع هؤلاء العظماء والفقهاء النبلاء ، وإننا على ثقة أنهم ما وقفوا جميعا هذا الموقف إلا على أساس متين ، وصراط مستقيم من العلم النبوي الصحيح ، وعلى إدراك واع لمقاصد الشريعة وأهدافها .

إنه ما كان ذلك منهم - مع حبهم الشديد الصادق لرسول اللّٰه ﷺ - إلا تنفيذا لتوجيهاته الكريمة مثل قوله « لا تتخذوا قبري عيدًا ومثل قوله اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد ومثل قوله ﷺ : « لعنة اللّٰه على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » . تنفيذا لهذه التوجيهات العظيمة الهادفة إلى حماية التوحيد وصيانة العقيدة الإسلامية من شوائب الغلو والضلال الذي وقع فيه أهل الكتاب ، كان ذلك الموقف الواعي الرشيد من الصحابة الكرام وعلى رأسهم الخلفاء الراشدون والفقهاء المبرزون مثل زيد بن ثابت وابن مسعود وابن عباس وأبي بن كعب وغيرهم من علماء الصحابة وعظمائها وساداتها ... » .

(٢) الرد على الأخنائي (ص ٧٣) .

إلا أنهم لم يقولوا بوجوبه وتعيينه فالذي نقل عن الإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة من قول في هذه المسألة يدل على أنه استدل بفعل ابن عمر رضي الله عنهما ، وأن فتواه لم تتجاوز ما فعله رضي الله عنه وهذا من دقة فقه الإمام مالك ، ويتضح لك هذا من عبارته ففي الشفا للقاضي عياض : وقال مالك في « المبسوط » وليس يلزم من دخل المسجد وخرج منه من أهل المدينة الوقوف بالقبر ، وإنما ذلك للغرباء .

وقال فيه أيضا : لا بأس لمن قدم من سفر أن يقف على قبر النبي ﷺ ، فيصلي عليه ويدعو له ولأبي بكر وعمر .

فقيل له : فإن ناسًا من أهل المدينة لا يقدمون من سفر ولا يريدونه يفعلون ذلك في اليوم مرة أو أكثر ، وربما وقفوا في الجمعة أو في الأيام المرة والمرتين أو أكثر عند القبر فيسلمون ويدعون ساعة ؟

فقال : لم يبلغني هذا عن أحد من أهل الفقه ببلدنا وتركه واسع ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها ، ولم يبلغني عن أول هذه الأمة وصدرها أنهم كانوا يفعلون ذلك ، ويكره إلا لمن جاء من سفر أو أراده »[٢] .

وقد ذكر الإمام مالك في موطئه فعل عبد الله بن عمر وأنه كان يأتي فيقول : « السلام عليك يارسول الله ، السلام عليك يا أبا بكر ، السلام عليك يا أبت ، ثم ينصرف .

وفي رواية : كان إذا قدم من سفر . رواه معمر عن نافع عنه .

وعلى هذا اعتمد مالك رحمه الله فيما يفعل عند الحجرة إذ لم يكن عنده إلا

---

(٢) الشفا (٢ / ٦٧٥ ، ٦٧٦) .

أثر ابن عمر رضي الله عنهما .

وأما ما زاد على ذلك مثل الوقوف للدعاء للنبي ﷺ وكثرة التردد على القبر للصلاة والسلام عليه فقد كرهه مالك ، وقال هو بدعة لم يفعلها السلف ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها[(١)] .

وقد تقدم ذكر نص كلامه وإذا كان مالك رحمه الله يكره أن يطيل الرجل الوقوف عنده ﷺ للدعاء فكيف بمن لا يقصد لا السلام ولا الدعاء له ، وإنما يقصد دعاءه وطلب حوائجه منه ، ويرفع صوته عنده فيؤذي الرسول ، ويشرك بالله ويظلم نفسه ؟[(٢)]

وقد كره الإمام مالك رحمه الله أن يقول القائل : زرت قبر النبي ﷺ . كره هذا اللفظ لأن السنة لم تأت به في قبره[(٣)] .

وقد ذكروا في تعليل ذلك وجوها ، ورخص غيره في هذا اللفظ للأحاديث العامة في زيارة القبور .

ومالك يستحب ما يستحبه سائر العلماء من السفر إلى المدينة والصلاة في مسجده . وكذلك السلام عليه وعلى صاحبيه عند قبورهم اتباعا لابن عمر .

ومالك من أعلم الناس بهذا لأنه قد رأى التابعين الذين رأوا الصحابة بالمدينة ولهذا كان يستحب اتباع السلف في ذلك ، ويكره أن يبتدع أحد هناك بدعة .

فكره أن يطيل الرجل القيام والدعاء عند قبر النبي ﷺ ؛ لأن الصحابة رضوان الله عليهم ما كانوا يفعلون ذلك .

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٧ / ٣٨٤) .

(٢) مجموع الفتاوى (٢٧ / ٣٨٥) .

(٣) فالسنة إنما وردت بزيارة مسجده والصلاة فيه .

وكره الإمام مالك لأهل المدينة كلما دخل انسان المسجد أن يأتي قبر النبي ﷺ لأن السلف لم يكونوا يفعلون ذلك .

وقال رحمة الله عليه : ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها »[١].

وقد صرح مالك وغيره : بأن من نذر السفر إلى المدينة النبوية إن كان مقصوده الصلاة في مسجد رسول الله ﷺ وفى بنذره وإن كان مقصوده مجرد زيارة القبر من غير صلاة في المسجد لم يف بنذره ؛ لأن النبي ﷺ قال : « لا تعمل المطي إلا إلى ثلاثة مساجد » والمسألة ذكرها القاضي إسماعيل بن إسحاق في المبسوط »[٢] .

وما أفتى به الإمام مالك من جواز السلام على النبي ﷺ عند حجرته التي دفن فيها وذلك لمن قدم من سفر هو ما أفتي به باقي الأئمة الأربعة .

وقد احتجوا بفعل ابن عمر كما احتج به مالك[٣] .

ومنهم من احتج بحديث « ما من أحد يسلم علي إلا رد الله علي روحي حتى أرد عليه السلام »[٤] .

فقد اعتمد الإمام أحمد في زيارة قبره المكرم على هذا الحديث . وعن أحمد

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٧ / ٣٨٦) .

(٢) مجموع الفتاوى (٢٧ / ٣٣٤) . والإمام مالك نظر إلى قصد المسافر ونيته ومسمى الزيارة في لغته ، فقد يكون السائل من عرفه أن لفظ زيارة قبر النبي ﷺ يتناول من أتى المسجد وكان قصده القبر ، ومن أتاه وقصده المسجد ، وهذاعرف عامة الناس المتأخرين يسمون هذا كله زيارة ، ولم يكن هذا لغة السلف من الصحابة والتابعين لهم بإحسان .

الرد على الأخنائي (ص ٢٣) بتصرف

(٣) الرد على الأخنائي (ص ١٣٧ - ١٣٨) .

(٤) تقدم تخريجه ص ٥٧٦ .

أخذ ذلك أبو داود[(١)] فلم يذكر في زيارة قبره المكرم غير هذا الحديث وترجم عليه « باب زيارة القبر »[(٢)] .

فهذا الحديث هو عمدة الإمام أحمد وأبي داود وأمثالهم وهو غاية ما عندهم في هذا الباب عن النبي ﷺ إلا أن دلالة الحديث على المقصود فيها نزاع وتفصيل[(٣)] .

فليس في لفظ الحديث المعروف في السنن والمسند (عند قبري) مع أن الذين احتجوا بهذا الحديث قالوا إن هذا هو المراد ، ولم يرد على كل مسلم عليه في شرق الأرض وغربها مع أن هذا المعنى أي أنه يرد على كل مسلم في شرق الأرض وغربها إن كان هو المراد بطل الاستدلال بالحديث من كل وجه على اختصاص تلك البقعة بالسلام .

وإن كان المراد بالسلام في الحديث هو السلام عليه عند قبره كما فهمه عامة العلماء ، فهل يدخل فيه من سلم من خارج الحجرة ؟

---

(١) سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد الأزدي ، السجستاني أبو داود ، مصنف السنن وغيرها ، ثقة حافظ من كبار العلماء وأئمة الحديث ، مات سنة خمس وسبعين ومائتين . تهذيب التهذيب (٤ / ١٦٩ - ١٧٣) .

(٢) مجموع الفتاوى (٢٧ / ٣٣٠) .

(٣) قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « ولو أريد إثبات سنة لرسول الله ﷺ بمثل هذا الحديث لكان هذا مختلفا فيه ، فالنزاع في إسناده ودلالة متنه » . الرد على الأخنائي (ص ٢٠٣) .

وقال ابن عبد الهادي : « وهذا الحديث لا يسلم من مقال في إسناده ونزاع في دلالته » وقد تقدم الكلام على إسناده (وأما النزاع في دلالة الحديث فمن جهة احتمال لفظه فإن قوله : « ما من أحد يسلم علي » يحتمل أن يكون المراد به عند قبره كما فهمه جماعة من الأئمة ويحتمل أن يكون معناه على العموم وأنه لا فرق في ذلك بين القريب والبعيد وهذا هو ظاهر الحديث وهو الموافق للأحاديث المشهورة . الرد على السبكي (ص ٢٥٩) .

فهذا مما تنازع فيه الناس ، وقد توزعوا في دلالته .

فمن الناس من يقول هذا إنما يتناول من سلم عليه عند قبره كما كانوا يدخلون الحجرة في زمن عائشة رضي الله عنها فيسلمون على النبي ﷺ فكان يرد عليهم فأولئك سلموا عليه عند قبره وكان يرد عليهم[1] .

وهذا السلام عليه عند قبره كان مشروعا لما كان ممكنا بدخول من يدخل على عائشة رضي الله عنها .

وقالوا : فأما من كان في المسجد فهؤلاء لم يسلموا عليه عند قبره بل سلامهم عليه كالسلام عليه إذا دخل المسلم المسجد وخرج منه .

والذين استدلوا بهذا الحديث على اختصاص تلك البقعة بالسلام جعلوه متناولا لمن سلم عليه من داخل الحجرة أو من خارجها .

وقد اعترض على من احتج بهذا الحديث « ما من أحد يسلم علي إلا رد الله علي روحي حتى أرد عليه السلام » على استحباب السلام للقادم عند الحجرة .

فقيل : إن هذا الحديث لو دل على استحباب السلام عليه من المسجد لما اتفق الصحابة على ترك ذلك ، ولم يفرق في ذلك بين القادم من السفر وغيره ؟

فقد اتفق الصحابة ابن عمر وغيره على أنه لا يستحب لأهل المدينة الوقوف عند القبر للسلام إذا دخلوا وخرجوا بل يكره ذلك ، فلما اتفقوا على ترك ذلك مع تيسره علم أنه غير مستحب بل لو كان جائزًا لفعله بعضهم وبهذا يتبين ضعف حجة من احتج بالحديث على استحباب السلام عليه من المسجد .

---

(١) هذا على قول من خص الحديث على السلام القريب وقالوا « إنما هو فيمن سلم عليه من قريب والقريب أن يكون في بيته ، فإن لم يحد بذلك لم يبق له حد محدود من جهة الشرع » .
الرد على الأخنائي (ص ١٧٠) .

ولهذا كان أكثر السلف لا يفرقون بين الغرباء وأهل المدينة ولا بين حال السفر وغيره فإن استحباب هذا لهؤلاء وكراهته لهؤلاء حكم شرعي يفتقر إلى دليل شرعي ولا يمكن لأحد أن ينقل عن النبي ﷺ أنه شرع لأهل المدينة الإتيان عند الوداع للقبر وشرع لهم ولغيرهم ذلك عند القدوم من سفر ، وشرع للغرباء تكرير ذلك كلما دخلوا المسجد وخرجوا منه ، ولم يشرع ذلك لأهل المدينة ، فمثل هذه الشريعة ليس منقولا عن النبي ﷺ ولا عن خلفائه ولا هو معروف من عمل الصحابة وإنما نقل عن ابن عمر السلام عند القدوم من السفر ، وليس هذا من عمل الخلفاء وأكابر الصحابة ، كما كان ابن عمر يتحرى الصلاة والنزول والمرور حيث حل ونزل وعبر النبي ﷺ في السفر ، وجمهور الصحابة لم يكونوا يصنعون ذلك بل أبوه عمر كان ينهي عن مثل ذلك فعن المعرور بن سويد عن عمر قال : خرجنا معه في حجة حجها فقرأ بنا في صلاة الفجر ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ، ولإيلاف قريش في الثانية ، فلما رجع من حجه رأى الناس ابتدروا المسجد فقال : « ما هذا ؟ فقالوا مسجد صلى فيه رسول الله ﷺ فقال : وهذا ملة أهل الكتاب قبلكم اتخذوا آثار أنبيائهم بيعًا ، من عرضت له منكم فيه الصلاة فليصل ومن لم تعرض له فليمض »[1] [2]. ومن استدل بهذا الحديث من العلماء ذكر أنه يرد على القريب وخصوا الجواز للمسافر القادم أو المقيم المسافر .

وليس في الحديث ما يدل على التخصيص ، ذلك أنه يمتنع أن يقال إنه يرد على هؤلاء ولا يرد على أحد من أهل المدينة المقيمين فيها ، فيمتنع أن يكون

(١) عزاه شيخ الإسلام إلى سنن سعيد بن منصور .
انظر : الرد على الأخنائي (ص ١٦٩ ، ١٧٠) .
(٢) الرد على الأخنائي (ص ١٦٩ ، ١٧٠) بتصرف .

المعنى : من سلم منكم يا أهل المدينة لم أرد عليه مادمتم مقيمين بها فإن المقام بها هو غالب أوقاتهم ، وليس في الحديث تخصيص ، ولا روي عن النبي ﷺ ما يدل على ذلك .

يبين هذا : أن الحجرة لما كانت مفتوحة وكانوا يدخلون على عائشة لبعض الأمور ويسلمون عليه إنما كان يرد عليهم إذا سلموا .

فإن قيل : إنه لم يكن يرد عليهم فهذا تعطيل للحديث .

وإن قيل : كان يرد عليهم من هناك ، ولا يرد إذا سلموا من خارج فقد ظهر الفرق .

وإن قيل : بل هو يرد على الجميع فحينئذ إن كان رده لا يقتضي استحباب هذا السلام بطل الاستدلال به .

وإن كان رده يقتضي الاستحباب وهو من سلم من خارج ، لزم أن يستحب لأهل المدينة السلام كلما دخلوا المسجد وخرجوا وهو خلاف ما أجمع عليه الصحابة والتابعون لهم بإحسان وخلاف قول المفرقين[1] ـ أي بين أهل المدينة والغرباء ـ الذين استدلوا بهذا الحديث .

هذا ولم يعتمد الأئمة لا الأربعة ولا غير الأربعة على شيء من الأحاديث التي يرويها البعض في زيارة قبره ﷺ كحديث « من زارني في مماتي فكأنما زارني في حياتي » .

وحديث : « من زارني وزار أبي في عام واحد ضمنت له على الله الجنة » ونحو ذلك فإن هذه الأحاديث وأمثالها لم يروها أحد من أئمة الإسلام ولم

(١) الرد على الأخنائي (ص ١٧٦ ، ١٧٧) .

يعتمدوا عليها ، ولم يروها لا أهل الصحاح ولا أهل السنن التي يعتمد عليها كأبي داود والنسائي لأنها ضعيفة بل موضوعة كما قد بين العلماء الكلام عليها »[١] .

ولكن جاء لفظ زيارة القبور في غير هذه الأحاديث كما في قوله ﷺ « كنت نهيتكم عن زيارة القبور ، ألا فزوروها ، فإنها تذكر الموت »[٢] .

وكان ﷺ يعلم أصحابه إذا زاروا القبور أن يقول أحدهم : « السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين .. »[٣] .

وكان ﷺ يزور قبور أهل البقيع وشهداء أحد[٤] .

بيان غلط من قاس قبره ﷺ على قبر غيره في شأن الزيارة :

وقد استدل طائفة من الناس بهذه الأحاديث على مشروعية زيارة قبر النبي ﷺ حيث قالوا إنه إذا كانت زيارة قبور عموم المؤمنين مشروعة فزيارة قبره أولى .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « ومن هنا غلط طائفة من الناس يقولون إذا كانت زيارة قبر آحاد الناس مستحبة فكيف بقبر سيد الأولين والآخرين .

وهؤلاء ظنوا أن زيارة قبر الميت مطلقا هو من باب الإكرام والتعظيم له والرسول أحق بالإكرام والتعظيم من كل أحد .

وظنوا أن ترك الزيارة له فيه تنقيص لكرامته ، فغلطوا وخالفوا السنة وإجماع الأئمة سلفها وخلفها .

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٧ / ٣٨٥ ، ٦٣٨) بتصرف .

(٢) تقدم تخريجه ص ٥٩٩ .

(٣) تقدم تخريجه ص ٦٠٠ .

(٤) تقدم تخريجهما ص ٦٠٠ .

فقولهم نظير قول من يقول : إذا كانت زيارة القبور يصل الزائر فيها إلى قبر المزور ، فإن ذلك أبلغ في الدعاء له فالرسول أولى أن نصل إلى قبره إذا زرناه .

وقد ثبت بالتواتر وإجماع الأمة أن الرسول لا يشرع الوصول إلى قبره لا للدعاء له ولا لدعائه ولا لغير ذلك .

بل غيره من الناس يصلى على قبره عند أكثر السلف كما دلت عليه الأحاديث الصحيحة ، والصلاة على القبر ـ كالصلاة على الجنازة ـ تشرع مع القرب والمشاهدة .

أما للنبي ﷺ فالإجماع لا يصلى على قبره سواء كان للصلاة حد محدود أو كان يصلى على القبر مطلقًا .

ولم يعرف عن أحد من الصحابة الغائبين لما قدم صلى على قبره ﷺ .

وزيارة القبور المشروعة هي مشروعة مع الوصول إلى القبر بمشاهدته وهذه الزيارة غير مشروعة في حقه بالنص والإجماع ، ولا هي أيضًا ممكنة فقبر النبي ﷺ خص بالمنع شرعًا وحسًا فقد دفن في الحجرة ومنع الناس من زيارة قبره من داخل الحجرة كما تزار سائر القبور فيصل الزائر إلى عند القبر ، وقبر النبي ليس كذلك ، فلا تستحب هذه الزيارة في حقه ولا تمكن وهذا لعلو قدره وشرفه لا لكون أن غيره أفضل منه ، فإن هذا لا يقوله أحد من المسلمين فضلا عن الصحابة والتابعين وعلماء المسلمين بالمدينة وغيرها .

وبهذا يتبين غلط هؤلاء الذين قاسوه على عموم المؤمنين ، وهذا من باب القياس الفاسد .

ومن قاس قياس الأولى ولم يعلم ما اختص به كل واحد من المقيس والمقيس عليه كان قياسه من جنس قياس المشركين الذين يقيسون الميتة على المذكى

ويقولون للمسلمين أتأكلون ما قتلتم ولا تأكون ما قتل اللّه ؟[١]

فأنزل اللّه تعالى ﴿ وَإِنَّ ٱلشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾[٢] .

وكذلك لما أخبر اللّه أن الأصنام التي تعبد هي وعابدوها حصب جهنم .

قاس ابن الزعبري[٣] ـ قبل أن يسلم ـ هو وغيره من المشركين ـ عيسى بها وقالوا فيجب أن يعذب عيسى ؟[٤]

قال تعالى : ﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ * وَقَالُوا ءَأَالِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾[٥] .

ثم قال : ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾[٦] .

وبين تعالى الفرق بقوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾[٧] بين أن من كان صالحاً نبيًا أو غير نبي لم يعذب لأجل من أشرك به وعبده وهو بريء من إشراكهم به .

وأما الأصنام فهي حجارة تجعل حصبا للنار ، وقد قيل انها من الحجارة التي

---

(١) انظر سبب نزول الآية في تفسير الطبري (٨ / ١٥ - ١٩) .

(٢) الآية (١٢١) من سورة الأنعام .

(٣) عبد اللّه بن الزعبري - بكسر الزاي الموحدة وسكون المهملة بعدها راء مقصورة - ابن قيس القرشي السهمي ، كان من أشهر قريش وكان شديدًا على المسلمين ثم أسلم في الفتح ومدح النبي ﷺ . الإصابة : (٢ / ٣٠٠) .

(٤) انظر : سبب النزول في تفسير ابن كثير (٤ / ١٣١) .

(٥) الآيتان (٥٧ - ٥٨) من سورة الزخرف .

(٦) الآية (٥٩) من سورة الزخرف .

(٧) الآية (١٠١) من سورة الأنبياء .

قال الله ﴿ وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ﴾[(١)] وقال تعالى : ﴿ وَأَمَّا ٱلْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴾[(٢)] .

والمقصود هنا أن يعرف أن ما مضت به سنته وكان عليه خلفاؤه وأصحابه وأهل العلم والدين بالمدينة تركهم لزيارة قبره أكمل في القيام بحق الله وحق رسوله :

١ - فهو أكمل وأفضل وأحسن مما يفعل مع غيره .

٢ - وهو أيضا في حق الله وتوحيده أكمل وأتم وأبلغ .

بيان ذلك :

أما كونه أتم في حق الله : فلأن حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا كما ثبت ذلك في الصحيحين عن معاذ بن جبل عن النبي ﷺ أنه قال : « أتدري ما حق الله على العباد ؟ وما حق العباد على الله ؟

حق الله على العباد : أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا ... الحديث[(٣)]

ويدخل في العبادة جميع خصائص الرب : فلا يتقى غيره ، ولا يخاف غيره ولا يتوكل على غيره ، ولا يدعى غيره ، ولايصلى لغيره ، ولا يصام لغيره ، ولا يتصدق إلا له ، ولا يحج إلا إلى بيته . قال تعالى : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْفَائِزُونَ ﴾[(٤)] .

---

(١) الآية (٦) من سورة التحريم .

(٢) الآية (١٥) من سورة الجن .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الجهاد ، باب اسم الفرس والحمار فتح الباري (٦ / ٥٨) ح ٢٨٥٦ . وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك فيه دخل الجنة وحرم على النار (١ / ٤٣) .

(٤) الآية (٥٢) من سورة النور .

فجعل الطاعة لله والرسول وجعل الخشية والتقوى لله وحده .

وقال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى ٱللَّهِ رَاغِبُونَ ﴾(١) .

فجعل الإيتاء لله والرسول كما قال تعالى : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا ﴾(٢) .

وجعل التوكل والرغبة إلى الله وحده .

وقال تعالى : ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ * وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ﴾(٣) .

وقال تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَٱرْهَبُونِ * وَلَهُ مَا فِي ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾(٤) .

وقال تعالى : ﴿ فَلَا تَخْشَوُا ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ ﴾(٥) .

وقال تعالى : ﴿ قُلِ ٱدْعُوا ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴾(٦) .

وقال تعالى : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي ٱلسَّمَاوَاتِ ﴾(٧) .

وقال تعالى : ﴿ قُلِ ٱدْعُوا ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ

---

(١) الآية (٥٩) من سورة التوبة .

(٢) الآية (٧) من سورة الحشر .

(٣) الآيتان (٧ - ٨) من سورة الشرح .

(٤) الآيتان (٥١ - ٥٢) من سورة النحل .

(٥) الآية (٤٤) من سورة المائدة .

(٦) الآية (٥٦) من سورة الإسراء .

(٧) الآية (٤) من سورة الأحقاف .

فِي ٱلسَّمَٰوَاتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴾[1]

وهذا باب واسع .

وقال النبي ﷺ لابن عباس : « إذا سألت فاسأل اللّه ، وإذا استعنت فاستعن باللّه »[2] .

وفي الصحيحين عن النبي ﷺ في صفة السبعين ألفًا الذين يدخلون الجنة بغير حساب قال : « هم الذين لا يتطيرون ولا يكتوون ولا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون »[3] فهم لا يطلبون من غيرهم أن يرقيهم والرقية دعاء فكيف بما هو أبلغ من ذلك ؟

ومعلوم أنه لو اتخذ قبره عيدًا ومسجدًا ووثنًا ، وصار الناس يدعونه ويتضرعون إليه ويسألونه ويتوكلون عليه ويستغيثون به ، ويستجيرون به ، وربما سجدوا له وطافوا به وصاروا يحجون إليه ، وهذه كلها من حقوق اللّه وحده

---

(١) الآية (٢٢) من سورة سبأ .

(٢) أخرجه الإمام أحمد (١ / ٢٩٣ ، ٣٠٣ ، ٣٠٧) .

وأخرجه الترمذي في السنن ، كتاب صفة القيامة ، باب (٥٩) (٤ / ٦٦٧) ح ٢٥١٦ وقال : هذا حديث حسن صحيح . وأخرجه الحاكم في المستدرك (٣ / ٥٤١ - ٥٤٢) .

قال الحافظ ابن رجب في جامع العلوم (ص ١٧٤) : « لهذا الحديث عن ابن عباس طرق كثيرة وأصح الطرق كلها طريق حنش الصنعاني التي خرجها الترمذي ، كذا قال ابن منده وغيره ، وقد روى أيضا من طرق عن علي بن أبي طالب وأبي سعيد الخدري وسهل بن سعد وعبد اللّه بن جعفر ، وفي أسانيدها كلها ضعف ، وبكل حال فطريق حنش التي خرجها الترمذي حسنة جيدة. انتهي باختصار يسير .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الطب ، باب من لم يرق . فتح الباري (١٠ / ٢١١) ح ٥٧٥٢ واللفظ له . وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب (١ / ١٣٧) .

لا يشركه فيها مخلوق .

فكان من حكمة اللّٰه دفنه في حجرته ومنع الناس من مشاهدة قبره ، والعكوف عليه ، والزيارة له ، ونحو ذلك لتحقيق توحيد اللّٰه وعبادته وحده لا شريك له وإخلاص الدين للّٰه .

وأما قبور أهل البقيع ونحوهم من المؤمنين فلا يجعل ذلك عندها وإذا قدر أن ذلك فعل عندها منع من يفعل ذلك وهدم ما يتخذ عليها من المساجد ، وإن لم تزل الفتنة إلا بتعفية قبره وتعميته فعل ذلك كما فعله الصحابة بأمر عمر بن الخطاب في قبر دانيال[1] .

وأما كون ذلك أعظم لقدره وأعلى لدرجته : فلأن المقصود المشروع بزيارة قبور المؤمنين كأهل البقيع وشهداء أحد هو الدعاء لهم كما كان هو يفعل ذلك إذا زارهم وكما سنه لأمته .

فلو سن للأمة أن يزوروا قبره للصلاة عليه والسلام عليه والدعاء له ، كما كان بعض أهل المدينة يفعل ذلك أحيانا وبين مالك أنه بدعة لم يبلغه عن صدر هذه الأمة ولا عن أهل العلم بالمدينة ، وأنها مكروهة فإنه لا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها ـ لكن بعض الناس يزوره ثم لتعظيمه في القلوب وعلم الخلق بأنه أفضل الرسل وأعظمهم جاهًا وأنه أوجه الشفعاء إلى ربه ، يدعو النفس إلى أن تطلب منه حاجاتها وأغراضها وتعرض عن حقه الذي هو له من الصلاة والسلام عليه والدعاء له .

فإن الناس مع ربهم كذلك إلا من أنعم اللّٰه عليه بحقيقة الإيمان ، إنما

(١) انظر : البداية لابن كثير (٢ / ٤٠ - ٤٢) .

يعظمون الله عند ضرورتهم إليه كما قال تعالى : ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَانَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ ﴾[1]

وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾[2]

وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ ﴾[3] ونظائر هذا في القرآن متعددة .

فإذا كانوا إلا ما شاء الله ، إنما يعظمون ربهم ويوحدونه ويذكرونه عند ضرورتهم لأغراضهم ولا يعرفون حقه إذا خلصهم فلا يحبونه ويعبدونه ولا يشكرونه ولا يقومون بطاعته فكيف يكونون مع المخلوق ؟

فهم يطلبون من الأنبياء والصالحين أغراضهم وذلك مقدم عندهم على حقوق الأنبياء والصالحين فإذا أيقنوا أن في زيارة قبر نبي أو صالح تحصيل أغراضهم بسؤاله ودعائه وجاهه وشفاعته أعرضوا عن حقه واشتغلوا بأغراضهم كما هو الموجود في عامة الذين يحجون إلى القبور المعظمة ويقصدونها لطلب الحوائج .

فلو أذن الرسول لهم في زيارة قبره ومكنهم من ذلك لأعرضوا عن :

١ ـ حق الله الذي يستحقه من عبادته .

٢ ـ وعن حق الرسول الذي يستحقه من الصلاة والسلام عليه والدعاء له بل ومن جعله واسطة بينهم وبين الله في تبليغ أمره ونهيه وخبره .

فكانوا يهضمون حق الله وحق الرسول كما فعلت النصارى فإنهم بغلوهم

---

(١) الآية (١٢) من سورة يونس .

(٢) الآية (٦٧) من سورة الإسراء .

(٣) الآية (٨) من سورة الزمر .

في المسيح تركوا حق الله من عبادته وحده وتركوا حق المسيح ، فهم لا يدعون له بل هو عندهم رب يدعى ولا يقومون بحق رسالته فينظرون ما أمر به وما أخبر به بل اشتغلوا بالشرك به وبغيره وطلب حوائجهم ممن يستشفعون به من الملائكة والأنبياء والصالحين عما يجب من حقوقهم .

وأيضا فلو جعلت الصلاة والسلام عليه والدعاء له عند قبره أفضل منها في غير تلك البقعة كما قد يكون الدعاء للميت عند قبره أفضل ، لكانوا يخصون تلك البقعة بزيادة الدعاء له وإذا غابوا عنها تنقص صلاتهم وسلامهم ودعاؤهم له ، فإن الإنسان لا يجتهد في الدعاء في المكان المفضول كما يجتهد في المكان الفاضل ، وهم قد أمروا أن يقوموا بحق الرسول ﷺ في كل مكان ، وأن لا يكون البعيد عن قبره أنقص إيمانًا وقيامًا بحقه من المجاور لقبره ، وقال لهم ﷺ : « لا تتخذوا قبري عيدًا وصلوا علي حيث كنتم فإن صلاتكم تبلغني »[1] .

وقد شرع لهم أن يصلوا عليه ويسألوا له الوسيلة إذا سمعوا المؤذن حيث كانوا ، وأن يسلموا عليه في كل صلاة ، ويصلوا عليه في الصلاة ، وأن يسلموا عليه إذا دخلوا المسجد وإذا خرجوا منه .

فهذا الذي أمروا به عام في كل مكان ، وهو يوجب من القيام بحقه ورفع درجته وإعلاء منزلته ما لا يحصل لو جعل ذلك عند قبره أفضل ، ولا إذا سوي بين قبره وقبر غيره .

بل إنما يحصل كمال حقه مع حق ربه ، بفعل ما شرعه وسنه لأمته من واجب ومستحب : وهو أن يقوموا بحق الله ، ثم بحق رسوله حيث كانوا من

---

(١) تقدم تخريجه ص ٥٨٠ .

المحبة والمولاة والطاعة وغير ذلك من الصلاة والسلام والدعاء وغير ذلك .

ولا يقصدون تخصيص القبر لما يفضي إليه ذلك من ترك حق اللّه وحق رسوله .

فهذا وغيره مما يبين أن ما نهي عنه الناس ومنعوا منه ، وكان السلف لا يفعلونه من زيارة قبره ، وإن كانت زيارة قبر غيره مستحبة ، فهو أعظم لقدره وأرفع لدرجته وأعلى في منزلته ، وأن ذلك أقوم بحق اللّه وأتم وأكمل في عبادته وحده لا شريك له وإخلاص الدين له ، ففي ذلك تحقيق شهادة أن لا إله إلا اللّه وأن محمدًا عبده ورسوله .

وإن أهل البدع الذين فعلوا ما لم يشرعه اللّه بل ما نهي عنه وخالفوا الصحابة والتابعين لهم بإحسان فاستحبوا ما كان أولئك يكرهونه ويمنعون منه ، هم مضاهؤون للنصارى ، وإنهم نقصوا من تحقيق الإيمان باللّه وبرسوله ، والقيام بحق اللّه وحق رسوله بقدر ما دخلوا فيه من البدعة التي ضاهوا بها النصارى فهذا هذا ، واللّه أعلم .

وأيضا فإنه إذا أطيع أمره وأتبعت سنته كان له من الأجر بقدر أجر من أطاعه واتبع سنته لقوله ﷺ : « من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه من غير أن ينقص من أجورهم شيئًا »[1] .

وأما البدع ـ التي لم يشرعها بل نهي عنها ، وإن كانت متضمنة للغلو فيه والشرك به والإطراء له كما فعلت النصارى ، فإنه لا يحصل بها أجر لمن عمل بها فلا يكون للرسول فيها منفعة ، بل صاحبها إن عذر كان ضالًا لا أجر له

---

(١) تقدم تخريجه ص ٣٩٧ .

وإن قامت عليه الحجة استحق العذاب .

وقد قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح : « لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله »(١) .

فإن قال هؤلاء الذين قاسوا زيارة قبره على زيارة سائر القبور : إن الناس منعوا من الوصول إليه تعظيما لقدره ، وجعل سلامهم وخطابهم له من الحجرة لأن ذلك أبلغ في الأدب والتعظيم .

قيل : فهذا يوجب الفرق فإن الزيارة المشروعة إن كان مقصودها الدعاء له فكون ذلك قريبا من الحجرة أفضل منه في سائر المساجد والبقاع ، فالذي يدعو له من داخل الحجرة أقرب ، وإن كان القرب مستحبًا فكلما كان أقرب كان أفضل كسائر القبور .

وإن كان مقصودها ـ أي الزيارة ـ ما يقوله أهل الشرك والضلال من دعائه ودعاؤه من القرب أولى ، فينبغي أن يكون من داخل الحجرة أولى .

ولما ثبت بالنص والإجماع أن هذا القرب من القبر ممنوع منه ، وهو أيضا غير مقدور عليه ، علم أن القرب من ذلك ليس بمستحب . بخلاف زيارة قبر غيره والصلاة على قبره ـ أي قبر ذلك الغير ـ فإن القرب منه مستحب إذا لم يفض إلى مفسدة من شرك أو بدعة أو نياحة فإن أفضى إلى ذلك منع من ذلك .

ومما يوضح هذا : أن الشخص الذي يقصد أتباعه زيارة قبره يجعلون قبره بحيث يمكن زيارته فيكون له باب يدخل منه إلى القبر ويجعل عند القبر مكان للزائر إذا دخل بحيث يتمكن من القعود فيه بل يوسع المكان ليسع الزائرين .

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب أحاديث الأنبياء ، باب قول الله : ﴿ واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها ﴾ فتح الباري (٦ / ٤٧٨) ح ٣٤٤٥ .

ومن اتخذه مسجدا جعل عنده صورة محراب أو قريبا منه ، وإذا كان الباب مغلقا جعل له شباكا على الطريق ليراه الناس فيه فيدعونه .

وقبر النبي ﷺ بخلاف هذا كله لم يجعل للزوار طريق إليه بوجه من الوجوه ولا قبر في مكان كبير يسع الزوار ، ولا جعل للمكان شباك يرى منه القبر بل منع الناس من الوصول إليه والمشاهدة له .

ومن أعظم ما من اللّه به على رسوله ﷺ وعلى أمته واستجاب فيه دعاءه أن دفن في بيته بجانب مسجده .

فلا يقدر أحد أن يصل إلا إلى المسجد والعبادة المشروعة في المسجد معروفة بخلاف ما لو كان القبر منفردًا عن المسجد .

والمسافر إليه إنما يسافر إلى المسجد وإذا سمى هذا زيارة لقبره فهو اسم لا مسمى له إنما هو إتيان إلى مسجده ، ولهذا لم يطلق السلف هذا اللفظ »[1]

فالزيارة المعهودة من القبور ممتنعة فيه قبره فليست من العمل المقدور ولا المأمور ، فامتنع أن يكون أحد من العلماء يقصد بزيارة قبره هذه الزيارة ، وإنما أرادوا السفر إلى مسجده والصلاة والسلام عليه والثناء عليه هناك لكن سموا هذا زيارة لقبره كما اعتادوه ، ولو سلكوا مسلك التحقيق الذي سلكه الصحابة ومن اتبعهم لم يسموا هذا زيارة لقبره وإنما هو زيارة لمسجده وصلاة وسلام عليه ودعاء له وثناء عليه في مسجده سواء كان هناك القبر أو لم يكن[2].

فمجرد زيارة قبره كالزيارة المعروفة للقبور غير مشروعة ولا ممكنة ولو كان في زيارة قبره عبادة زائدة للأمة لفتح باب الحجرة ومكنوا من فعل تلك العبادة

---

(١) الرد على الأخنائي (ص ١٥١ - ١٦٠) بتصرف .

(٢) الصارم المنكي (ص ٨٥ ، ٨٦) .

عند قبره ، وهم لم يمكنوا إلا من الدخول إلى مسجده[١]

والله سبحانه قد فرق بين قبر رسوله ﷺ وقبر غيره فإنهم دفنوه بالحجرة ولم يبرزوا قبره كما كانوا يبرزون قبورهم خوفًا أن يتخذ مسجدًا .

ثم إنهم منعوا الناس من زيارته كما يزورون القبور ، فلم يكونوا يمكنون الناس من الدخول لزيارته . ثم إنهم سدوا باب الحجرة وبنوا عليها حائطًا آخر فلم يبق أحد متمكنا من زيارته كما تزار القبور .

ولهذا لم يعرف عن أحد من الصحابة أنه تكلم بهذا الاسم في حقه فقال تستحب زيارة قبره أو لا تستحب أو نحو ذلك ولا علق بهذا الاسم حكما شرعيا

وقد كره من كره من العلماء التكلم به ، وذلك اسم لا مسمى له ولفظ لا حقيقة له وإنما تكلم به من تكلم من المتأخرين ومع هذا فلم يريدوا ما هو معروف من زيارة القبور »[٢] .

فتبين أنه ليس في الشريعة عمل يسمى « زيارة لقبره » وأن هذا الاسم لا مسمى له ، والذين أطلقوا هذا الاسم إن أرادوا به ما يشرع فالمعنى صحيح لكن عبروا عنه بلفظ لا يدل عليه .

وإن أرادوا ما لا يشرع فذاك المعنى خطأ مفهوم ومع هذا فليس هو زيارة .

فخلاصة ما يمكن حصره من مسائل وأقوال في مسألة السلام على النبي ﷺ ما يلي :

١ ـ أن السلام عليه ﷺ عند دخول مسجده وسائر المساجد في سائر البقاع مشروع بالكتاب والسنة والإجماع وقد تقدم ذكر الأدلة في ذلك .

(١) الصارم المنكي (ص ١١٢) .
(٢) الرد على الأخنائي (ص ٢٥ ـ ٢٦) .

٢ ـ أما السلام عليه عند قبره من داخل الحجرة فهذا كان مشروعا لما كان ممكنًا بدخول من يدخل على عائشة .

٣ ـ أما تخصيص هذا السلام أو الصلاة بالمكان القريب من الحجرة فهذا محل النزاع .

وللعلماء في ذلك ثلاثة أقوال :

القول الأول : منهم من ذكر استحباب السلام أو الصلاة والسلام عليه إذا دخل المسجد ، ثم بعد أن يصلي في المسجد استحب أيضا أن يأتي إلى الحجرة ويصلي ويسلم كما ذكر ذلك طائفة من أصحاب مالك والشافعي وأحمد .

القول الثاني : ومنهم من لم يذكر إلا النوع الثاني فقط أي أنه يأتي إلى الحجرة ويصلي ويسلم .

القول الثالث : ومنهم من لم يذكروا إلا النوع الأول فقط أي السلام أو الصلاة والسلام عليه عند دخول المسجد ، وفي التشهد في الصلاة وهذا ما ذكره كثير من السلف[1] .

فهذا النوع الأول ـ أي السلام عند دخول المسجد ـ هو المشروع لأهل البلد وللغرباء في هذا المسجد وغير هذا المسجد .

وأما النوع الثاني ـ أي السلام عليه عند الحجرة ـ فهو الذي فرق من استحبه بين أهل البلد والغرباء سواء فعله مع الأول أو مجردًا عنه فاستحبوه للغرباء دون أهل البلد ، محتجين على ذلك بفعل ابن عمر رضي الله عنهما .

(١) الرد على الأخنائي (ص ١٤٢) .

وفي هذا الاستحباب نظر « لأن الأمر إذا فعله من الصحابة الواحد والاثنان والثلاثة وأكثر ، دون غيرهم كان غايته أن يثبت به التسويغ بحيث يكون هذا مانعًا من دعوى الإجماع على خلافه ، بل يكون كسائر المسائل التي يساغ فيها الاجتهاد ، أما أن يجعل من سنة الرسول وشريعته وحكمه ما لم تدل عليه سنته لكون بعض السلف فعل ذلك فهذا لا يجوز[1] .

فالأولى في هذه المسألة أن يقال : إن فعل ابن عمر إنما يدل على التسويغ بحيث يكون فعل من فعل ذلك اقتداء بفعل بعض الصحابة لم يبتدع شيئا من عنده .

أما أن يقال إن فعل هذا عبادة وطاعة يشرع فعلها احتجاجا بفعل بعض الصحابة ـ ولا سيما إذا عرف أن جمهور الصحابة لم يكونوا يفعلون ذلك ـ فلا يكفي الإحتجاج بفعل بعض الصحابة على استحبابه بل الأمر يحتاج إلى دليل شرعي .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « وأما أن يقال إن الرسول ندب إلى ذلك ورغب فيه وجعله عبادة وطاعة يشرع فعلها ، فهذا يحتاج إلى دليل شرعي ولا يكفي في ذلك فعل بعض السلف .

ولا يجوز أن يقال إن اللّه ورسوله يحب ذلك أو يكرهه ، وإنه سن ذلك وشرعه ، أو نهي عن ذلك وكرهه ، ونحو ذلك إلا بدليل يدل على ذلك لا سيما إذا عرف أن جمهور أصحابه لم يكونوا يفعلون ذلك .

فيقال : لو كان ندبهم إلى ذلك وأحبه لهم لفعلوه فإنهم كانوا أحرص الناس

---

(١) الرد على على الأخنائي (ص ١٧٧ - ١٧٨) .

على الخير ، ونظائر هذا متعددة والله أعلم »[1] .

وفي الوقت ذاته لا يقال : انعقد إجماعهم[2] على تركه فيبدع من فعله مع أنه قد ثبت فعله من بعض الصحابة كما ثبت من فعل ابن عمر رضي الله عنهما .

هذا فيما يتعلق بالسلام عليه عند حجرته للقادم من السفر .

أما الشخص المقيم فلم يستحب أحد من علماء السلف أن يأتي أحد إلى الحجرة للسلام أو الصلاة ، بل هو منهي عنه لأن في تخصيص الحجرة للصلاة والسلام بهذه الصورة جعلًا لها عيدًا ، وكذلك فإن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان لم يكونوا يفعلون ذلك . وقد تقدم نقل كلام الإمام مالك في هذه المسألة بعينها وكيف أنه كره ذلك لأن السلف لم يكونوا يفعلون ذلك وقال رحمه الله : « لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح أولها » .

فوقوف أهل المدينة بالقبر من البدع التي لم يفعلها الصحابة ، وهذه الزيارة منهي عنها لقوله ﷺ : « لا تتخذوا قبري عيدا وصلوا علي حيثما كنتم فإن صلاتكم تبلغني » وروي مثل ذلك في السلام عليه ، فعلم أنه يكره تخصيص تلك البقعة بالصلاة والسلام بل يصلى ويسلم في جميع المواضع وذلك واصل إليه فمثل هذه الزيارة بدعة منهي عنها .

والذين أجازوا السلام عليه عند الحجرة للغرباء اختلفوا كيف يسلم عليه هل تستقبل الحجرة أم القبلة ؟ على قولين :

---

(١) الرد على الأخنائي (ص ١٧٩) .

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية « وإذا فعله من الصحابة الواحد والاثنان والثلاثة وأكثر دون غيرهم كان غايته أن يثبت به التسويغ بحيث يكون مانعا من دعوى الإجماع .

القول الأول : فالأكثرون يقولون يستقبل الحجرة كمالك والشافعي وأحمد .

القول الثاني : وأبو حنيفة يقول يستقبل القبلة ويجعل الحجرة عن يساره في قول وخلفه في قول .

لأن الحجرة النبوية لما كانت خارجة عن المسجد لم يكن يمكن أحدًا أن يستقبل وجهه ﷺ ، ويستدبر القبله ، كما صار ذلك ممكنا بعد دخولها في المسجد ، بل كان إن استقبل القبلة صارت عن يساره ، وحينئذ فإن كانوا يستقبلونه ويستدبرون الغرب فقول الأكثرين أرجح وإن كانوا يستقبلون القبلة حينئذ ويجعلون الحجرة عن يسارهم فقول أبي حنيفة أرجح »[١] .

والسلف كلهم متفقون على أن الزائر لا يسأله شيئا ولا يطلب منه ما يطلب في حياته ويطلب منه يوم القيامة لا شفاعة ولا استغفار ولا غير ذلك

وإنما كان نزاعهم في الوقوف للدعاء له والسلام عليه[٢] .

فقد تكلم السلف في الدعاء للرسول ﷺ عند قبره

١ ـ فمنهم من نهي عن الوقوف للدعاء له دون السلام عليه .

٢ ـ ومنهم من رخص في الدعاء له والسلام عليه .

٣ ـ ومنهم من نهي عن الدعاء له والسلام عليه[٣] (أي عند قبره) .

ولا يجوز السجود للحجرة ولا الطواف بها بل هو كفر بإجماع المسلمين[٤] بل ولا الصلاة إليها لما ثبت في صحيح مسلم من أبي مرثد الغنوي أنه قال

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٧ / ٣٣٠) .

(٢) الرد على الأخنائي (ص ١٦٦) .

(٣) الرد على الأخنائي (ص ١٦٣) .

(٤) الرد على الأخنائي (ص ١٧٧ ، ٢١٥) .

ﷺ : « لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا إليها »[١] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « والصلاة إلى الحجرة والتمسح بها وإلصاق البطن بها وغير ذلك مما يفعله الجهال منهي عنه باتفاق المسلمين »[٢] .

قال أبو بكر الأثرم[٣] قلت لأبي عبد الله - يعني أحمد بن حنبل : قبر النبي ﷺ يلمس ويتمسح به ؟ فقال : ما أعرف هذا . قلت لأبي عبد الله : إنهم يلصقون بطونهم بجدار القبر . وقلت له : ورأيت أهل العلم من أهل المدينة لا يمسونه ، ويقيمون ناحية فيسلمون . فقال أبو عبد الله : نعم ، وهكذا كان ابن عمر يفعل . ثم قال أبو عبد الله : بأبي وأمي ﷺ »[٤] .

أما السفر إلى « زيارة قبره » فهذا اللفظ فيه إجمال[٥] .

---

(١) تقدم تخريجه ص ٥٨٩ .

(٢) الرد على الأخنائي (ص ٢٢٩) .

(٣) أحمد بن محمد بن هانئ الطائي ويقال الكلبي ، أبو بكر الأثرم ثقة حافظ ، صاحب تصانيف ، روى عن أحمد بن حنبل وتفقه عليه ، وسأله عن المسائل والعلل ، توفي سنة ٢٦١ هـ ، وقيل بعدها . تهذيب التهذيب (١ / ٧٨ - ٧٩) .

(٤) الرد على الأخنائي (ص ١٧٨) .

(٥) قال شيخ الإسلام ابن تيمية : هذا الموضع مما يشكل على كثير من الناس ، فينبغي لمن أراد أن يعرف دين الإسلام أن يتأمل النصوص النبوية ويعرف ما كان يفعله الصحابة والتابعون وما قاله أئمة المسلمين ليعرف المجمع عليه من المتنازع فيه . فإن في الزيارة مسائل متعددة تنازعوا فيها ، لكن لم يتنازعوا في استحباب السفر إلى مسجده واستحباب الصلاة والسلام عليه ونحو ذلك مما شرعه الله في مسجده ، ولم يتنازع الأئمة الأربعة والجمهور في أن السفر إلى غير الثلاثة ليس بمستحب لا لقبور الأنبياء والصالحين ولا لغير ذلك ، فإن قول النبي ﷺ « لا تشد الرحال » حديث متفق على صحته وعلى العمل به ، عند الأئمة المشهورين وعلى أن السفر إلى القبور داخل فيه .
الرد على الأخنائي (ص ٢٧٠ - ٢٧١) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : لفظ اتيان القبر ، وزيارة القبر والسفر إلى القبر ونحو ذلك ، يتناول من يقصد المسجد وهذا مشروع .

ويتناول من لم يقصد إلا القبر وهذا منهي عنه كما دلت عليه النصوص وبينه مالك وغيره . فمن نقل عن السلف أنهم استحبوا السفر لمجرد القبر دون المسجد ولا الصلاة فيه ، بل إنما يقصد القبر كالصورة التي نهي عنها مالك فهذا لا يوجد في كلام أحد من علماء السلف استحباب ذلك فضلا عن إجماعهم عليه . وهذا الموضع يجب على المسلمين عامة وعلمائهم تحقيقه ومعرفة ما هو المشروع والمأمور به الذي هو عبادة اللّٰه وحده وطاعة له ولرسوله وبر وتقوى وقيام بحق الرسول .

وما هو شرك وبدعة وضلالة منهي عنها لئلا يلتبس هذا بهذا فإن السفر إلى مسجد المدينة مشروع باتفاق المسلمين لكن إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى .

وقد تقدم عن مالك وغيره أنه من نذر إتيان المدينة إن كان قصده الصلاة في المسجد يوفي بنذره ، وإلا لم يوف بنذره .

وأما اذا نذر اتياه المسجد لزمه لأنه إنما يقصد الصلاة .

فلم يجعل إلى المدينة سفرا مأمورا به إلا سفر من قصد الصلاة في المسجد وهو الذي يؤمر به الناذر بخلاف غيره لقوله ﷺ « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، ومسجدي هذا ، والمسجد الأقصى »[1] .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة ، باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة . فتح الباري (٣ / ٦٣) ح ١١٨٩ . وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الحج ، باب لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد (٤ / ١٢٦) .

وجعل من سافر إلى المدينة أو إلى بيت المقدس لغير العبادة الشرعية في المسجدين سفرًا منهيًا عنه ، لا يجوز أن يفعله وإن نذره ، وهذا هو قول جمهور العلماء .

فمن سافر إلى مدينة الرسول أو بيت المقدس لقصد زيارة ما هناك من القبور أو من آثار الأنبياء والصالحين كان سفره محرمًا عند مالك والأكثرين وقيل إنه سفر مباح ليس بقربة كما قاله طائفة من أصحاب الشافعي وأحمد ، وهو قول ابن عبد البر .

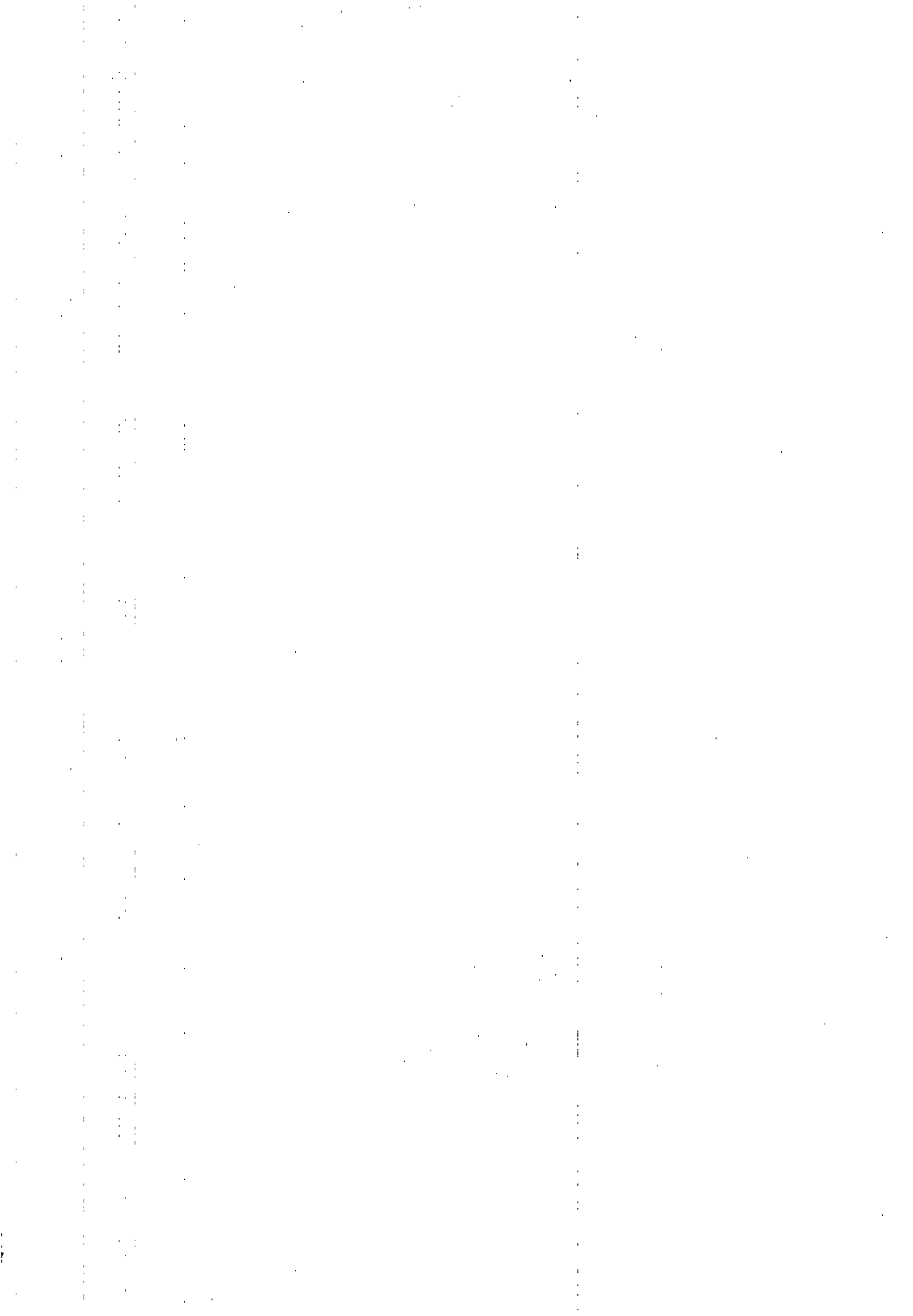
وما علمنا أحدًا من علماء المسلمين المجتهدين الذين تذكر أقوالهم في مسائل الإجماع والنزاع ذكر أن ذلك مستحب .

فدعوى من ادعى أن السفر إلى مجرد القبور مستحب عند جميع علماء المسلمين كذب ظاهر وكذلك إن ادعى أن هذا قول الأئمة الأربعة أو جمهور أصحابهم أو جمهور علماء المسلمين فهو كذب بلا ريب وكذلك إن ادعى أن هذا قول عالم معروف من الأئمة المجتهدين .

وإن قال إن هذا قول بعض المتأخرين أمكن أن يصدق في ذلك وهو بعد أن يعرف صحة نقله ، نقل قولًا شاذا مخالفا لإجماع السلف مخالفا لنصوص الرسول ﷺ ، فكفي بقول فسادًا أن يكون قولا مبتدعا في الإسلام مخالفا للسنة والجماعة ولما سنه الرسول ولما اجتمع عليه سلف الأمة وأئمتها ، والنقل عن علماء السلف يوافق ما قاله مالك ، فمن نقل عنهم ضد ذلك فقد كذب »[1].

○○○○

(١) الرد على الأخنائي (ص ٢١٩ - ٢٢١) .



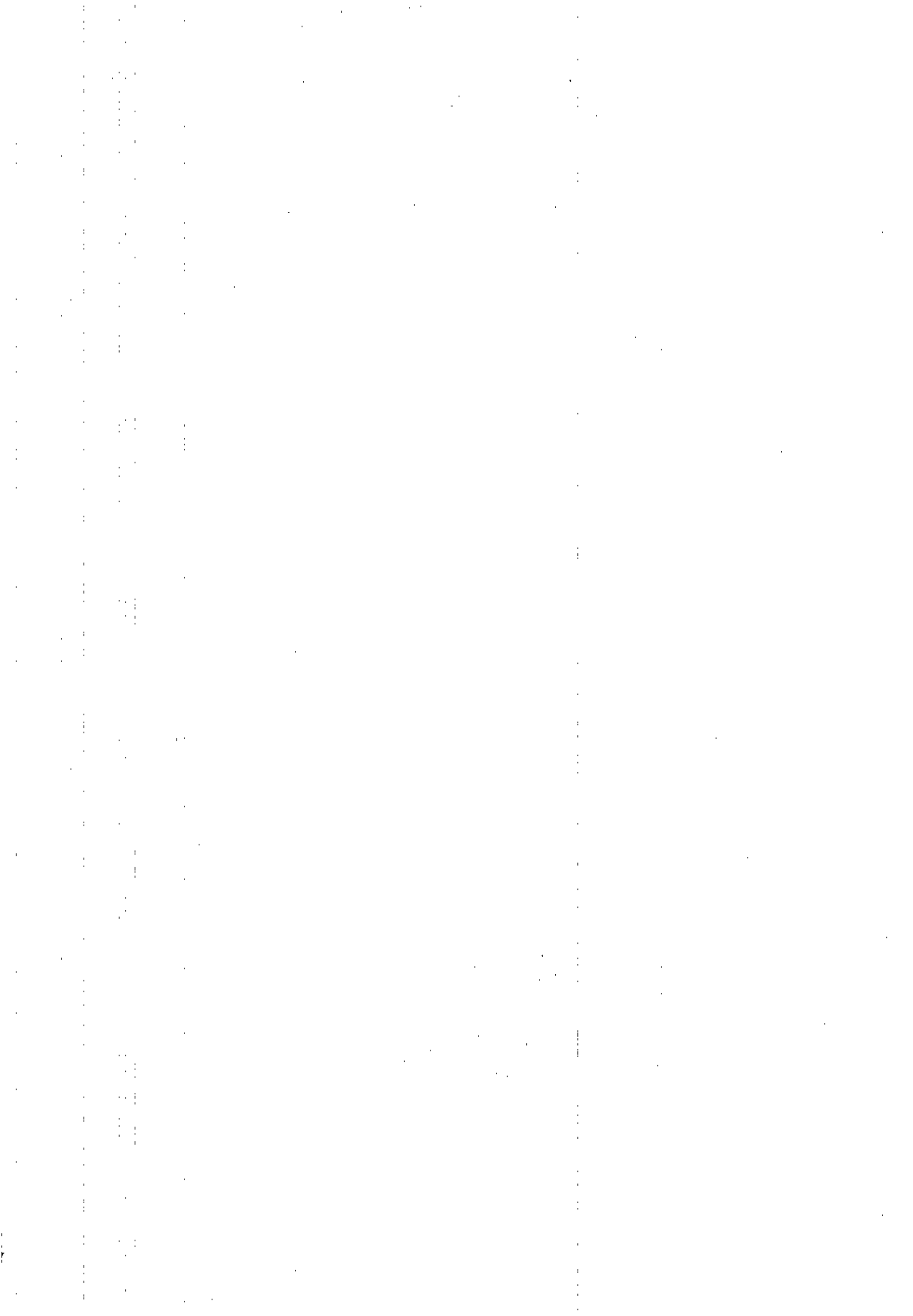
الباب الرابع

النهي عن الغلو في حقه ﷺ

○ وفيه فصلان :

الفصل الأول : تعريف الغلو وسد الشارع لطرق الغلو في حقه .

الفصل الثاني : بيان الأمور التي حصل فيها غلو في حقه وحكم الشرع فيها .



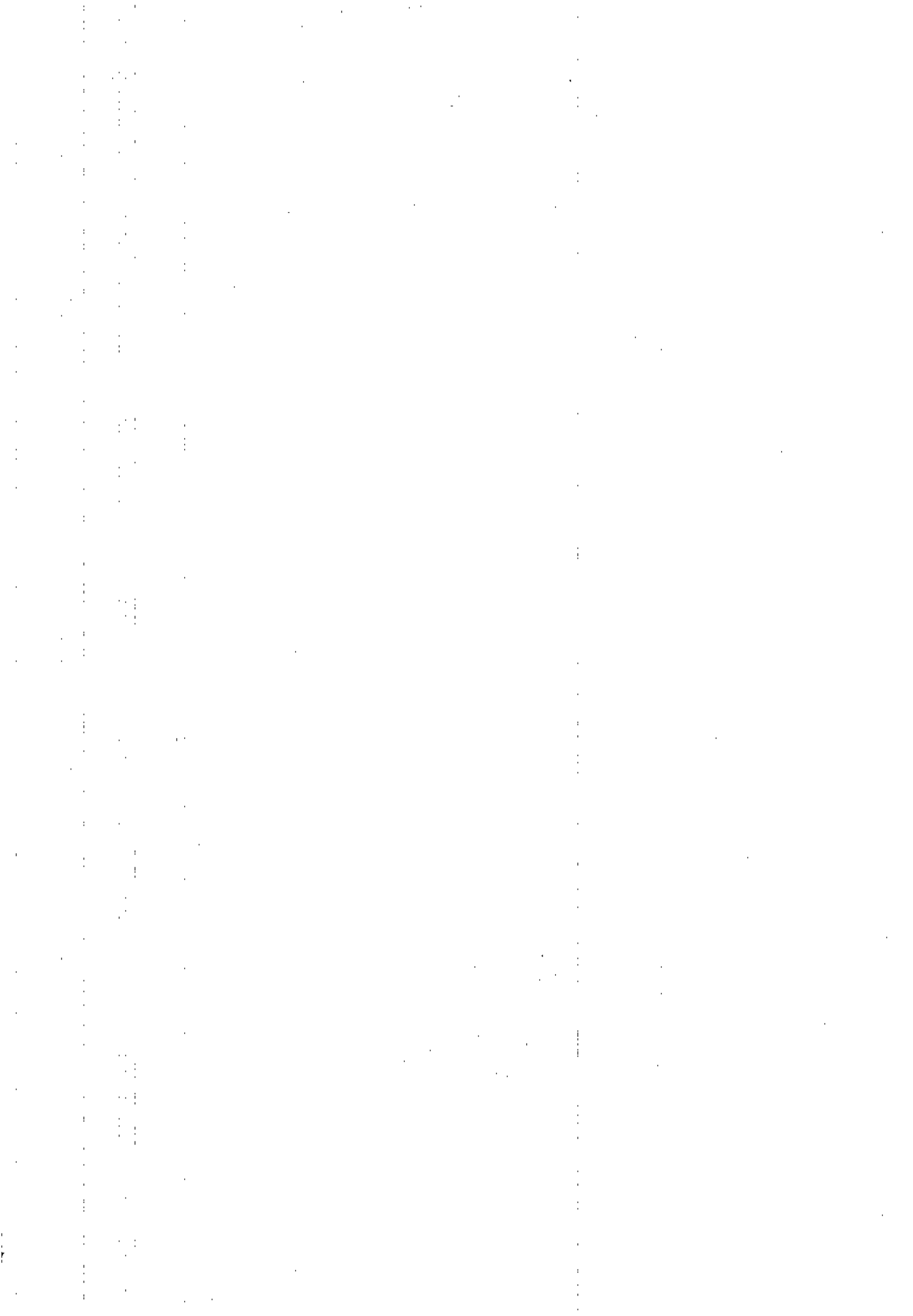
الفصل الأول

تعريف الغلو وسد الشارع لطرق الغلو في حقه ﷺ

المبحث الأول : تعريف الغلو وموقف الشرع منه .

المبحث الثاني : الفرق بين ما هو حق لله وحده لا يشركه فيه غيره وبين ما هو حق للرسول ﷺ .

المبحث الثالث : بيان توسط السلف في حق النبي ﷺ .



المبحث الأول

تعريف الغلو وموقف الشرع منه

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : المعنى اللغوي .

المطلب الثاني : التعريف الشرعي للغلو وموقف الشرع منه .

● ● ● ●

المطلب الأول

المعنى اللغوي

أما المعنى اللغوي للغلو :

فجاء في مقاييس اللغة : الغين ـ واللام ـ والحرف المعتل ـ أصل صحيح يدل على ارتفاع ومجاوزة قدر . يقال : غلا السعر يغلو غلاء ، وذلك ارتفاعه . وغلا الرجل في الأمر غلوا ، إذا جاوز حده . وغلا بسهمه غلوا ، إذا رمى به سهما أقصى غايته . وتغالى النبت ارتفع وطال . وتغالى لحم الدابة : إذا انحسر عنه وبره ، وذلك لا يكون إلا عن قوة وسمن وعلو ... الخ[١]

وفي التهذيب « ... غلا السعر غلاء ممدود . وغلا في الدين يغلو غلوا : إذا جاوز الحد ... »[٢]

وفي اللسان : « ... أصل الغلاء : الارتفاع ومجاوزة القدر في كل شيء .

وغلا في الدين والأمر يغلو غلوا : جاوز حده .

وفي التنزيل : ﴿ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ ﴾[٣]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « الغلو : هو مجاوزة الحد بأن يزاد في حمد الشيء أو ذمه على ما يستحق ونحو ذلك »[٤] .

○○○○

---

(١) معجم مقاييس اللغة (٤ / ٣٨٧ ، ٣٨٨) .

(٢) تهذيب اللغة (٨ / ١٩٠ ، ١٩٢) .

(٣) لسان العرب (١٥ / ١٣١ ، ١٣٢) مادة (غلا) .

(٤) اقتضاء الصراط المستقيم (ص ١٠٦) .

المطلب الثاني

التعريف الشرعي للغلو وموقف الشرع منه

الغلو في الشرع : هو مجاوزة حدود ما شرع الله سواء كان ذلك التجاوز في جانب الاعتقاد أو القول أو العمل .

وقد جاء ذكر لفظ الغلو في القرآن الكريم في موضعين وكان الخطاب فيهما للنصارى باعتبارهم أكثر غلوا في الاعتقادات والأعمال من سائر الطوائف وأما الموضعان :

فأحدهما : في قوله تعالى ﴿ يَا أَهْلَ ٱلْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُوا بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ ٱنتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي ٱلسَّمَاوَاتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلاً ﴾[1]

والموضع الثاني : قوله تعالى ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ ٱلْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾[2]

قال ابن جرير الطبري :

« يعني جل ثناؤه بقوله ﴿ يَا أَهْلَ ٱلْكِتَابِ ﴾ : يا أهل الإنجيل من النصارى ﴿ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ ﴾ يقول : « لا تتجاوزوا الحق في دينكم فتفرطو فيه ،

---

(١) الآية (١٧١) من سورة النساء .

(٢) الآية (٧٧) من سورة المائدة .

ولا تقولوا في عيسى غير الحق فإن قيلكم في عيسى إنه ابن اللَّه قول منكم على اللَّه غير الحق ، لأن اللَّه لم يتخذ ولدًا ، فيكون عيسى أو غيره من خلقه ابنا « ولا تقولوا على اللَّه إلا الحق » .

وأصل الغلو في كل شيء : مجاوزة حده الذي حده ، ويقال منه في الدين قد غلا فهو يغلو غلوًا »[1] .

وقال في تفسير آية المائدة : وهذا خطاب من اللَّه تعالى ذكره ، لنبيه محمد ﷺ ، يقول تعالى ذكره : قل يا محمد لهؤلاء الغالية من النصارى في المسيح ﴿ يَا أَهْلَ ٱلْكِتَابِ ﴾ يعني بالكتاب الإنجيل ﴿ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ ﴾ يقول لا تفرطوا في القول فيما تدينون به في أمر المسيح ، فتجاوزوا فيه الحق إلى الباطل فتقولوا فيه : هو اللَّه أو هو ابنه ، ولكن قولوا : هو عبد اللَّه وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا ﴾ يقول لا تتبعوا أيضا في المسيح أهواء اليهود الذين قد ضلوا قبلكم عن سبيل الهدى في القول فيه كما قالوا وتبهتوا أمه كما يبهتونها بالفرية ... »[2]

وقال ابن كثير في تفسيره للآية الواردة في سورة النساء : « ينهي تعالى أهل الكتاب عن الغلو والإطراء وهذا كثير في النصارى فإنهم تجاوزوا الحد في عيسى حتى رفعوه فوق المنزلة التي أعطاه اللَّه إياها فنقلوه من حيز النبوة إلى أن اتخذوه إلهًا من دون اللَّه يعبدونه كما يعبدونه ، بل قد غلوا في أتباعه وأشياعه ممن زعم أنه على دينه فادعوا فيهم العصمة واتبعوهم في كل ما قالوه سواء كان حقا أو باطلا ، أو ضلالا أو رشادا ، أو صحيحا أو كذبا ولهذا قال اللَّه

---

(١) تفسير الطبري (٦ / ٣٤) .

(٢) تفسير الطبري (٦ / ٣١٦) .

تعالى ﴿ ٱتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾[(١)] [(٢)] .

وقال عند تفسير آية سورة المائدة : أي لا تتجاوزوا الحد في اتباع الحق ولا تطروا من أمرتم بتعظيمه فتبالغوا فيه حتى تخرجوه عن حيز النبوة إلى مقام الإلهية كما صنعتم في المسيح وهو نبي من الأنبياء فجعلتموه إلها من دون الله وما ذاك إلا لاقتدائكم بشيوخكم شيوخ الضلال الذين هم سلفكم ممن ضل قديمًا ... »[(٣)] .

والمتأمل للنصوص القرآنية يجد أن النصارى لم يكتفوا بالغلو في المسيح ورفعه إلى درجة الألوهية بل غلوا أيضًا في حق أحبارهم ورهبانهم فأعطوهم حق التشريع والطاعة المطلقة والاتباع حتى فيما يخالف شرع الله وأحكامه .

فكان الأحبار والرهبان يحرمون ما أحل الله ويحلون ما حرم الله ويقررون شرائع وأحكامًا ما أنزل الله بها من سلطان فتلقى النصارى ذلك كله بالقبول والطاعة .

قال تعالى : ﴿ ٱتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾

فهم اتبعوهم فيما حللوا وحرموا ، ولهذا قال تعالى : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا ﴾ أي الذي إذا حرم شيئًا فهو الحرام وما حلله فهو الحلال وما شرعه اتبع ، وما حكم به نفذ ﴿ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ أي تعالى وتقدس وتنزه عن الشركاء والنظراء والأعوان والأضداد والأنداد

(١) الآية (٣١) من سورة التوبة .

(٢) تفسير ابن كثير (١ / ٥٨٩) .

(٣) تفسير ابن كثير (٢ / ٨٢) .

والأولاد لا إله إلا هو ولا رب سواه »[١] .

ولم يقتصر غلو النصارى عند الحد ، بل قدسوهم أمواتًا كما قدسوهم أحياءً فأقاموا على قبورهم الأضرحة وقدموا لهم القرابين فكان ذلك سببا في لعنهم قال ﷺ « لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد »[٢].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : والنصارى أشد غلوا في ذلك من اليهود كما في الصحيحين : « أن النبي ﷺ ذكرت له أم حبيبة وأم سلمة رضي الله عنهما كنيسة بأرض الحبشة ، وذكرتا من حسنها وتصاوير فيها . فقال : إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح ، فمات بنوا على قبره مسجدًا ، وصوروا فيه تلك التصاوير ، أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة »[٣] .

والنصارى كثيرا ما يعظمون آثار القديسين منهم ، فلا يستبعد أنهم ألقوا الى بعض جهال المسلمين أن هذا قبر بعض من يعظمه المسلمون ليوافقوهم على تعظيمه .

فالذين يعظمون القبور والمشاهد لهم شبه شديد بالنصارى[٤] .

فالنصارى أمة ضلت وهلكت وكان سبب ضلالها وهلاكها غلوها وقد تجلى غلوها في عدة أمور منها :

١ ـ غلوهم في نبي الله عيسى ورفعه إلى مكانة الألوهية .

٢ ـ غلوهم في رهبانهم وصالحيهم وذلك بإعطائهم حق التشريع في التحليل

---

(١) تفسير ابن كثير (٢ / ٣٤٩) .

(٢) تقدم تخريجه ص ٥٨٨ .

(٣) تقدم تخريجه ص ٥٨٨ .

(٤) مجموع الفتاوى (٢٧ / ٤٦٠ ، ٤٦١) .

والتحريم ، والعكوف على قبورهم وتقديسها بعد موتهم .

٣ ـ إبتداعهم الرهبانية .

واللّه سبحانه وتعالى بذكره لأحوالهم في كتابه العزيز يحذرنا من الوقوع فيما وقعوا فيه ، وفي هذا دعوة للاعتبار بالأمم السابقة ومعرفة سبب هلاكها وضرورة اجتنابه قال تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾[1].

والغلو عند النصارى هدم أصلي الدين :

١ ـ التوحيد . ٢ ـ الاتباع .

فهم هدموا الأصل الأول بجعلهم عيسى في مقام الألوهية . وهدموا الأصل الثاني بأن جعلوا لرهبانهم حق التشريع والتحليل والتحريم .

فانظر كيف كان الغلو سببًا لهدم الدين .

فإن المسيح قال لهم ﴿ اعبدوا اللّه ربي وربكم ﴾ وقال ﴿ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾[2] فلو امتثلوا أمره كانوا مطيعين لرسول اللّه موحدين للّه ، ونالوا بذلك السعادة من اللّه في الدنيا والآخرة ، ولكنهم غلوا فيه واتخذوه وأمه إلهين من دون اللّه ، يستغيثون به وبغيره من الأنبياء والصالحين ويطلبون منهم ويشركون بهم ، وكذبوا بالرسول الذي بشر به ، وحرفوا التوراة التي صدق بها وظنوا في ذلك أنهم معظمون للمسيح وكان هذا من جهلهم وضلالهم ، فإنهم لو أطاعوه فيما دعاهم إليه لكان له مثل أجورهم ، وكانت طاعتهم له والإقرار بعبوديته وبما بشر به فيه له ولهم من الأجر مالا يحصيه إلا اللّه ،

---

(١) الآية (١١١) من سورة يوسف .

(٢) الآية (٦) من سورة الصف .

ففوتوا هذا الأجر والثواب عليهم وعليه وله ولهم فيه الخير المستطاب واعتاضوا عن ذلك بما ضرهم في الدنيا والآخرة .

وإذا بين لهم قدر المسيح فقيل لهم ﴿ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ﴾[1] .

قالوا : إن هذا تنقص بالمسيح وسب له واستخفاف بدرجته وسوء أدب معه ، بل قالوا هذا كفر وجحد لحقه ، وسلب لصفات الكمال الثابتة له .

وهذا في الحقيقة إنما هو نقص لما في نفوسهم من الغلو فيه لا نقص لنفس المسيح الموجود في نفس الأمر .

وفي ذلك من الحمد له والمدح وإعظامه والإيمان به وإعطائه الدرجة العلية ما ليس في الغلو فيه .

لأن في تقرير كمال عبوديته التي هي كمال المخلوق ، وهذا هو الكمال فأما الغلو فيه إلى حد الربوبية فذاك خيال باطل لا كمال حاصل وفي إثبات العبودية له ، إيمان به وموافقة لخبره وأمره ، فيحصل له بذلك من الخير والرحمة ما لا يحصل له بالغلو فيه ، الذي هو كذب فيه مكذوب عليه ومعصية له وإشراك بالله ، وليس في ذلك ما ينفعه ولا ما يرفعه بل في ذلك ضرر على المشركين المفترين »[2] .

ولم يقتصر الغلو على النصارى وحدهم بل كان واقعا في الأمم قبلهم فالغلو كان أول خطوات الإنحراف عن الدين القويم والوقوع في الشرك .

فقد روى الطبري بسنده عن عكرمة قال : « كان بين آدم ونوح عشرة قرون

(١) الآية (٧٥) من سورة المائدة .

(٢) الرد على البكري (ص ١٠٤ - ١٠٥) .

كلهم على الإسلام »[١] .

فكان مبدأ الشرك في قوم نوح ، وكان سببه غلوهم في الصالحين فقد روى البخاري في كتاب التفسير من صحيحه باب قوله تعالى ﴿ ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ﴾ عن ابن عباس أنه قال : « أسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابًا وسموها بأسمائهم ففعلوا ، فلم تعبد ، حتى إذا هلك أولئك وتنسخ العلم عبدت »[٢] .

فالغلو في الصالحين هو الطامة الكبرى والبلية العظمى التي جنحت بالبشرية عن جادة الحق والصواب إلى ظلمات الشرك والضلال باتخاذ أنداد لله من خلقه واعتقاد أنها تملك شيئًا من خصائص الإلهية .

قال ابن القيم : « ومن أسباب عبادة الأصنام الغلو في المخلوق وإعطائه فوق منزلته ، حتى جعل فيه حظ من الإلهية ، وشبهوه بالله سبحانه .

وهذا التشبيه الواقع في الأمم هو الذي أبطله الله سبحانه وبعث رسله وأنزل كتبه بإنكاره والرد على أهله[٣] .

ولهذا نهي الشارع الحكيم عن الغلو بشتى صوره وأشكاله وحذر منه وذلك لما له من آثار سيئة على الدين ولما فيه من منافاة لعقيدة التوحيد وهدم لأصليّ الدين : التوحيد ، والاتباع .

ولقد حذر النبي ﷺ أمته من الغلو في الدين وأخبر أنه سبب هلاك من قبلنا

(١) تفسير الطبري (٢٩ / ٩٩) .

(٢) انظر فتح الباري (٨ / ٦٦٧) .

(٣) إغاثة اللهفان (٢ / ٢٢٦) .

من الأمم .

فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « إياكم والغلو في الدين فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين »(١) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : وقوله « إياكم والغلو في الدين عام في جميع أنواع الغلو في الاعتقادات والأعمال »(٢) .

وسبب قول النبي ﷺ لهذه العبارة أن النبي ﷺ قال لابن عباس غداة العقبة وهو على ناقته « القط لي حصى ، فلقطت له سبع حصيات مثل حصى الخذف ، فجعل ينفضهن في كفه ويقول أمثال هؤلاء فارموا ، ثم قال : أيها الناس إياكم والغلو في الدين ... الحديث .

فسبب ورود الحديث ينبهنا إلى أمر هام جدا وهو أن الغلو قد يبدأ بشيء صغير ثم تتسع دائرته فتهلك بذلك أمم .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : وسبب هذا اللفظ العام رمي الجمار وهو داخل فيه فالغلو فيه : مثل رمي الحجارة ونحو ذلك ، بناء على أنه بالغ في الحصى الصغار ، ثم علل ذلك بأن ما أهلك من كان قبلنا إلا الغلو في الدين كما تراه

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند (١ / ٢١٥ ، ٣٤٧) . والنسائي في السنن (٥ / ٢٦٨) كتاب مناسك الحج ، باب التقاط الحصى . وابن ماجه في سننه ، أبواب المناسك ، باب قدر حصى الرمي (٢ / ١٨٣) ح ٣٠٦٤ .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : رواه أحمد والنسائي وابن ماجة من حديث عوف بن أبي جميلة عن زيادة بن حصين عن أبي العالية عنه وهذا إسناد صحيح على شرط مسلم . اقتضاء الصراط المستقيم (ص ١٠٦) . وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٣ / ٢٧٨) ح ١٢٨٣ وقال في تخريج السنة لابن أبي عاصم (١ / ٤٦) إسناده صحيح .. وقد صححه ابن خزيمة والحاكم (١ / ٤٦٦) والذهبي والنووي وابن تيمية .

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم (ص ١٠٦) .

في النصارى[١] .

ولو لم يرد في السنة إلا هذا الحديث لكفى به زاجرا ورادعا للأمة عن الوقوع في الغلو ، كيف والسنة مليئة بالأحاديث التي تحذر من الغلو وتبين خطره وهلاكه .

فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « هلك المتنطعون » : قالها ثلاثًا[٢] .

قال النووي : « هلك المتنطعون » : أي المتعمقون الغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم[٣] .

وقال أيضا : « المتنطعون : المتعمقون المشددون في غير موضع التشديد »[٤]

فهذا الحديث موافق لما جاء في الحديث السابق من الإخبار بهلاك أصحاب الغلو . وهناك أحاديث كثيرة نهي فيها النبي ﷺ أصحابه رضوان الله عليهم عن الغلو في جوانب معينة من الدين نذكر اثنين منها على سبيل المثال لا على سبيل الحصر .

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : « جاء ثلاثة رهط الى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ فلما أخبروا كأنهم تقالوها .

فقالوا : وأين نحن من النبي ﷺ وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ؟

قال أحدهم : أما أنا فأنا أصلي الليل أبدا .

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (ص ١٠٦) .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب العلم ، باب هلك المتنطعون (٨ / ٥٨)

(٣) شرح النووي (١٦ / ٢٢٠) .

(٤) رياض الصالحين باب الاقتصاد في الطاعة (ص ٨٨) .

وقال آخر : أنا أصوم الدهر ولا أفطر . وقال آخر : أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا . فجاء رسول الله ﷺ فقال : « أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له ، لكني أصوم وأفطر ، وأصلى وأرقد ، وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتى فليس مني »[(١)] .

فسمى النبي ﷺ الغلو في جانب العبادات والسنن التي سنها لهم رغبة عن الشرع الذي جاء به ، وتبرأ ممن هذه حاله ، حتى وإن كان الدافع لذلك التقرب إلى الله تعالى ذلك لأن هذا الغلو فيه هدم للأصل الثاني من أصول هذا الدين ألا وهو الاتباع فنحن مأمورون بالاقتداء به ﷺ والأخذ بسنته .

والغلو في هذا الجانب مناقض تماما لهذا الأصل ، ولذلك فلا غرابة أن يتبرأ النبي ﷺ ممن غلا في جانب ماسنه وشرعه للأمة .

لأنه لو فتح هذا الباب وولجته الأمة لأصبحت عبادة الله مجالا لأهواء الناس وعقولهم وبذلك يتلاشى دينها وتنطمس معالمه فتستحق بذلك غضب الله ومقته فتهلك كما هلكت الأمم السابقة .

وعن أنس رضي الله عنه قال : دخل رسول الله ﷺ المسجد فإذا حبل ممدود بين الساريتين فقال « ما هذا الحبل ؟ » قالوا : هذا حبل زينب فإذا فترت تعلقت به . فقال النبي ﷺ : « حلوه ليصل أحدكم نشاطه فإذا فتر فليرقد »[(٢)] وعند مسلم « حبل لزينب تصلي » .

---

(١) تقدم تخريجه .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب التهجد ، باب ما يكره من التشديد في العبادة . انظر : فتح الباري (٣ / ٣٦) ح ١١٥٠ . وأخرجه مسلم في صحيحه كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب أمر من نعس في صلاته ... (٢ / ١٨٩) .

قال ابن حجر : « وفيه الحث على الاقتصاد في العبادة والنهي عن التعمق فيها ... »[١]

وقد حذر النبي ﷺ أمته كذلك من الغلو في حقه ﷺ .

وذلك لما ينطوي عليه الغلو من الشر العظيم ، ولما يعلمه ﷺ من منزلته في قلوب المؤمنين .

فقد خشي ﷺ أن يدفعهم حبهم وتعظيمهم له إلى رفعه فوق منزلته التي جعلها الله له وتشريكه مع الله في بعض ما هو حق لله .

فحذرهم من الغلو في شخصه بأساليب مختلفة وذلك حماية منه لجناب التوحيد وقطعا لذريعة الشرك .

وقد جاء تحذيره تارة بأسلوب النهي الصريح .

وتارة بالتجائه إلى ربه ودعائه بأن لا يتحول قبره إلى وثن يعبد .

وتارة بلعنة الغلاة الذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد .

فمما ورد عنه قوله ﷺ : « لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم ، فإنما أنا عبده ، فقولوا عبد الله ورسوله »[٢] .

قال ابن حجر : « الإطراء : المدح بالباطل تقول أطربت فلانًا : مدحته فأفرطت في مدحه »[٣] .

فمعني الحديث : أى لا تمدحوني فتغلوا في مدحى كما غلت النصارى في عيسى فادعوا فيه الربوبية ، وإنما أنا عبد الله فصفوني بذلك كما وصفني به

---

(١) فتح الباري (٣ / ٣٧) .

(٢) تقدم تخريجه ص ٦٢٦ .

(٣) فتح الباري (٦ / ٤٩٠) .

ربى ، وقولوا عبد اللّه ورسوله .

فأبي عباد القبور إلا مخالفة لأمره ، وارتكابا لنهيه ، وناقضوه أعظم المناقضة وظنوا أنهم إذا وصفوه بأنه عبد اللّه ورسوله ، وأنه لا يدعى ولا يستغاث به ، ولا ينذر له ، ولا يطاف بحجرته ، وأنه ليس له من الأمر شيء ، ولا يعلم من الغيب إلا ما علمه اللّه ، أن في ذلك هضمًا لجنابه وغضًا من قدره ، فرفعوه فوق منزلته ، وادعوا فيه ما ادعت النصارى في عيسى أو قريبا منه ، فسألوه مغفرة الذنوب ، وتفريج الكروب وغير ذلك من الأمور[1] .

وقد ذكر شيخ الإسلام في كتاب تلخيص الاستغاثة[2] عن بعض أهل زمانه أنه جوز الاستغاثة بالرسول ﷺ في كل ما يستغاث فيه باللّه ، وصنف فيه مصنفًا . وكان يقول أن النبي ﷺ يعلم مفاتيح الغيب التي لا يعلمها إلا اللّه .

وحكى عن آخر من جنسه يباشر التدريس وينسب إلى الفتيا أنه كان يقول إن النبي ﷺ يعلم ما يعلمه اللّه ويقدر على ما يقدر اللّه عليه .

ومن هؤلاء من يقول في قول اللّه تعالى ﴿ وسبحوه بكرة وأصيلا ﴾ إن الرسول ﷺ هو الذي يسبح بكرة وأصيلا .

ومنهم من يقول : نحن نعبد اللّه ورسوله فيجعلون الرسول معبودًا ويقول قائلهم :

فإن من جودك الدنيا وضرتها ومن علومك علم اللوح والقلم

فجعل الدنيا والآخرة من جوده ، وجزم بأنه يعلم ما في اللوح المحفوظ[3]

---

(١) تيسير العزيز الحميد (٢٧٢ - ٢٧٣) .

(٢) الرد على البكرى (ص ٢١٨) .

(٣) تيسير العزيز الحميد (٢٧٣) .

فانظر إلى ما أدى إليه هذا الإطراء من صرف أمور قد اختص بها الرب عز وجل فصرفت للنبي ﷺ .

ولكن ما على الرسول إلا البلاغ فقد سد النبي ﷺ كل ذريعة مؤدية إلى الغلو والشرك حتى يبقى هذا الدين وسطًا صافيًا لا كدر فيه ، وتبقى عقيدة التوحيد نقية قوية خالدة .

فلقد نهي الرسول الكريم عن المبالغة في مدحه لعلمه بأن هذه المبالغة بريد إلى الغلو ومدعاة للشرك والانحراف عن الطريق السوى .

وهذا من الحرص الكامل للرسول ﷺ على حماية التوحيد ، فبهذا النهي الشديد سد الرسول ﷺ طريق الغلو .

والنهي عن المبالغة في الاطراء لا يعني التقليل من قدره وتوقيره فإن للتوقير والتعظيم وسائله المشروعة والتي سبق ذكرها .

ولكن هناك أناس شق عليهم التوقير المشروع فلجأوا إلى التوقير الممنوع فنسجوا قصائد مطولة أغرقوا فيها بالمديح المجاوز للحد والمنافي لقواعد التوحيد والذي لا يرضى به اللّٰه ورسوله بل جاء التحذير منه بنص القرآن والسنة المطهرة .

« ولقد كان النبي ﷺ أحرص الخلق على تجريد التوحيد حتى قطع أسباب الشرك ووسائله من جميع الجهات ، حتى قال له رجل : ماشاء اللّٰه وشئت ، قال : « اجعلتني للّٰه ندا ؟ بل ماشاء اللّٰه وحده »[1] .

ونهي أن يحلف بغير اللّٰه ، وأخبر أن ذلك شرك .

ونهي أن يصلى إلى القبر أو يتخذ مسجدا أو عيدا أو يوقد عليه سراج ،

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (١ / ٢١٤ ، ٢٢٤ ، ٢٨٣ ، ٣٤٧) ، وأخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة ص ٥٤٥ ح ٩٨٧

بل مدار دينه على هذا الأصل ـ أى تجريد التوحيد ـ الذي هو قطب رحا النجاة ، ولم يقرر أحد ما قرره ﷺ بقوله وفعله وسد الذرائع المنافية له ، فتعظيمه ﷺ بموافقته على ذلك لا مناقضته فيه[1] .

والغلو بشتى صوره وأشكاله مناف لأصلي التوحيد ويكفيك أن تعلم أن سبب عبادة الأصنام هو الغلو في المخلوق ، وإعطاؤه فوق منزلته ، حتى جعل فيه حظ من الإلهية ، وشبهوه باللّٰه سبحانه ، وهذا هو التشبيه الواقع في الامم الذي أبطله اللّٰه سبحانه ، وبعث رسله وأنزل كتبه بإنكاره والرد على أهله .

فهو سبحانه ينفي ، وينهي ، أن يجعل غيره مثلا له ، وندا له وشبها له .

لا أن يشبه هو بغيره إذ ليس في الأمم المعروفة أمة جعلته سبحانه مثلا لشيء من مخلوقاته ، فجعلت المخلوق أصلا وشبهت به الخالق ، فهذا لا يعرف في طائفة من طوائف بني آدم .

وإنما الأول هو المعروف في طوائف أهل الشرك ، غلوا فيمن يعظمونه ، ويحبونه ، حتى شبهوه بالخالق وأعطوه خصائص الإلهية ، بل صرحوا أنه إله ، وأنكروا جعل الألهة إلها واحدا وقالوا : ﴿ اصبروا على آلهتكم ﴾ وصرحوا بأنه إله معبود ، يرجى ، ويخاف ، ويعظم ، ويسجد له ويحلف باسمه ، وتقرب له القرابين إلى غير ذلك من خصائص العبادة التي لا تنبغى إلا للّٰه تعالى .

فكل مشرك فهو مشبه لإلهه ومعبوده باللّٰه سبحانه ، وإن لم يشبه من كل وجه[2] .

فحقيقة الشرك هو التشبه بالخالق أو التشبيه للمخلوق به فالمشرك مشبه

---

(١) تيسير العزيز الحميد ص٢٧٤

(٢) إغاثة اللهفان (٢ / ٢٢٦) .

للمخلوق بالخالق في خصائص الإلهية .

فإن من خصائص الإلهية التفرد بملك الضر والنفع والعطاء والمنع ، وذلك يوجب تعليق الدعاء والخوف والرجاء والتوكل به وحده .

فمن علق ذلك بمخلوق فقد شبهه بالخالق ، وجعل مالا يملك لنفسه ضرًا ولا نفعًا ولا موتًا ولا حياةً ولا نشورًا ـ فضلا عن غيره ـ شبيها لمن له الأمر كله ، فأزمة الأمور كلها بيديه ، ومرجعها إليه فما شاء كان وما لم يشاء لم يكن ، لا مانع لما أعطى ولا معطى لما منع ، بل إذا فتح لعبده باب رحمته لم يمسكها أحد ، وإن أمسكها عنه لم يرسلها إليه أحد .

فمن أقبح التشبيه : تشبيه هذا العاجز الفقير بالذات بالقادر الغني بالذات .

ومن خصائص الإلهية : الكمال المطلق من جميع الوجوه الذي لا نقص فيه بوجه من الوجوه .

وذلك يوجب أن تكون العبادة كلها له وحده ، والتعظيم والإجلال والخشية والدعاء والرجاء والانابة والتوكل والاستعانة وغاية الذل مع غاية الحب ، كل ذلك عقلًا وشرعًا وفطرة أن يكون له وحده ، ويمنع عقلًا وشرعًا وفطرة أن يكون لغيره . فمن جعل شيئا من ذلك لغيره فقد شبه ذلك الغير بمن لا شبيه له ولا مثيل له ولا ند له ، وذلك أقبح التشبيه وأبطله .

ولشدة قبحه وتضمنه غاية الظلم أخبر سبحانه عباده أنه لا يغفره مع أنه كتب على نفسه الرحمة .

ومن خصائص الإلهية : العبودية التي قامت على ساقين لا قوام لها بدونهما : غاية الحب ، مع غاية الذل ، هذا تمام العبودية ، وتفاوت منازل الخلق فيها بحسب تفاوتهم في هذين الأصلين .

فمن أعطى حبه وذله وخضوعه لغير الله فقد شبهه في خالص حقه وهذا من المحال أن تجيء به شريعة من الشرائع ، وقبحه مستقر في كل فطرة وعقل ، ولكن غيرت الشياطين فطر أكثر الخلق وعقولهم ، وأفسدتها عليهم واجتالتهم عنها .

ومضى على الفطرة الأولى من سبقت له من الله الحسني فأرسل إليهم رسله وأنزل عليهم كتبه بما يوفق فطرهم وعقولهم فازدادوا بذلك نورًا على نور ﴿ يَهْدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ ﴾[1] .

إذا عرف هذا فمن خصائص الالهية السجود ، فمن سجد لغيره فقد شبه المخلوق به .

ومنها التوكل ، فمن توكل على غيره فقد شبهه به .

ومنها التوبة ، فمن تاب لغيره فقد شبهه به .

ومنها الحلف باسمه تعظيما وإجلالا له ، فمن حلف بغيره فقد شبهه به .

هذا في جانب التشبيه .

وأما في جانب التشبه به : فمن تعاظم وتكبر ودعا الناس إلى إطرائه في المدح والتعظيم والخضوع والرجاء ، وتعليق القلب به خوفا ورجاء والتجاء واستعانة فقد تشبه بالله ونازعه في ربوبيته والهيته ، وهو حقيق بأن يهينه الله غاية الهوان ، ويذله غاية الذل ، ويجعله تحت أقدام خلقه .

وفي الصحيح عنه ﷺ قال : « يقول الله عز وجل : العظمة إزارى ، والكبرياء ردائى ، فمن نازعني واحدا منهما عذبته »[2] .

وإذا كان المصور الذي يصنع الصورة بيده من أشد الناس عذابا يوم القيامة

(١) الآية (٣٥) من سورة النور .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب البر والصلة ، باب تحريم الكبر (٨ / ٣٦) .

لتشبهه بالله في مجرد الصنعة ، فما الظن بالتشبه بالله في الربوبية والإلهية ؟

ففي الصحيحين عنه ﷺ أنه قال : « قال الله عز وجل : ومن أظلم ممن ذهب يخلق خلقا كخلقي ، فليخلقوا ذرة ، فليخلقوا شعيرة »[1]. فنبه بالذرة والشعيرة على ما هو أعظم منها وأكبر وقال ﷺ : « أشد الناس عذابا يوم القيامة المصورون يقال لهم أحيوا ما خلقتم »[2] [3] .

○ ○ ○ ○

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب التوحيد باب قول الله تعالى ﴿ والله خلقكم وما تعملون ﴾ فتح الباري (١٣ / ٥٢٨) ح ٧٥٥٩ . وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب اللباس والزينة ، باب لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا صورة (٦ / ١٦٢) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب اللباس ، باب عذاب المصورين يوم القيامة . فتح الباري (١٠ / ٨٢ - ٨٣) ح ٤٩٥٠ - ٤٩٥١ ، وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب اللباس والزينة ، باب لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا صورة (٦ / ١٦١) .

(٣) الجواب الكافي (ص ١٥٩ - ١٦١) .

المبحث الثاني

الفرق بين ما هو حق لله وحده لا يشركه فيه غيره وبين ما هو حق للرسول

بعث الله جميع الرسل وأنزل جميع الكتب بالدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، والنهي عن دعاء ما سواه - لا دعاء عبادة ولا دعاء مسألة - .

قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾(١) .

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾(٢) .

وقال تعالى : ﴿ وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَٰنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾(٣) .

وقال تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ * وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾(٤) .

فدين الحق دين الإسلام هو عبادة الله وحده لا شريك له وتصديق رسله كما يدل عليه قولنا : « أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله »

---

(١) الآية (٢٥) من سورة الأنبياء .

(٢) الآية (٣٦) من سورة النحل .

(٣) الآية (٤٥) من سورة الزخرف .

(٤) الآيتان (٧٩ ، ٨٠) من سورة آل عمران .

فهذان الأصلان :

١ ـ توحيد الرب بالعبادة . ٢ ـ الإيمان برسله .

لابد منهما ، ولهذا لا يدخل أحد في الإسلام حتى يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله .

ذلك لأن دين الإسلام مبني على هذين الأصلين ومن خرج عن واحد منهما فلا عمل له ولا دين .

فلا إله إلا الله معناها أن نعبد الله وحده ولا نشرك به شيئا .

فإن الإله : هو الذي تألهه القلوب عبادة واستعانة ومحبة وتعظيمًا وخوفًا ورجاءً وإجلالًا وإكرامًا .

وهو سبحانه له حق لا يشركه فيه غيره ، فلا يعبد إلا الله ولا يدعى إلا الله ولا يخاف إلا الله ولا يطاع إلا الله .

وأما شهادة أن محمدًا رسول الله فهي تعني ألا نعبد الله إلا بما شرعه على لسان رسول الله ﷺ فهو المبلغ عن الله طاعته وأمره ونهيه وتحليله وتحريمه ، فهو الواسطة بين الله وبين خلقه في تبليغ أمره ونهيه ووعده ووعيده .

وليس للرسول واسطة في إجابة الدعاء ، وكشف البلاء ، والهداية ، والاغناء ونحو ذلك .

فالله تعالى هو المتفرد بذلك فهو سبحانه الذي يسمع ويرى ويعلم السر والنجوى وهو القادر على إنزال النعم وإزالة الضر من غير احتياج منه إلى أن يعرفه أحد أحوال عباده أو يعينه على قضاء حوائجهم .

والأسباب التي بها يحصل ذلك هو خلقها ويسرها ، فهو مسبب الأسباب التي يحصل بها ذلك ولهذا فرض سبحانه على المصلى أن يقول في صلاته

﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾[(١)] .

فاللَّه سبحانه أجل وأعظم وأغني وأعلى من أن يفتقر إلى شيء ، بل هو الأحد الصمد وكل ما سواه مفتقر إليه ، وهو مستغن عن كل ما سواه .

وعن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال : « قام فينا النبي ﷺ فذكر الغلول وعظم أمره قال : « لا ألفين أحدكم يوم القيامة على رقبته فرس له حمحمة ، يقول : يارسول اللَّه أغثني فأقول : لا أملك لك شيئا قد أبلغتك ، وعلى رقبته بعير له رغاء ، يقول يارسول اللَّه أغثني فأقول : لا أملك لك شيئا ، قد أبلغتك » الحديث[(٢)].

فهؤلاء الذين بلغهم أخبر أنهم إذا استغاثوا به يوم القيامة وسألوه الشفاعة يقول لهم لا أملك لكم من اللَّه شيئا قد أبلغتكم[(٣)] .

فعلى المسلم أن يفرق بين ما هو حق للَّه وحده وبين ما هو حق لرسله فاللَّه أمرنا أن نؤمن بالأنبياء وما جاؤا به وفرض علينا طاعة الرسول الذي بعث إلينا ومحبته وتعزيره وتوقيره والتسليم لحكمه .

وأمرنا أيضًا أن لا نعبد إلا اللَّه وحده لا نشرك به شيئا ولا نتخذ الملائكة والنبيين أربابًا .

وفرق بين حقه الذي يختص به الذي لا يشركه فيه لا ملك ولا نبي .

وبين الحق الذي أوجبه علينا لملائكته وأنبيائه عمومًا ولمحمد ﷺ خاتم الرسل

---

(١) الآية (٥) من سورة الفاتحة .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الجهاد ، باب الغلول .
انظر : فتح الباري (٦ / ١٨٥) ح ٣٠٧٣ .
وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الإمارة ، باب غلظ تحريم الغلول (٦ / ١٠) .

(٣) انظر : الرد على البكرى (ص ٥٢ - ٥٤) بتصرف .

وخير مرسل الذي جاءه بالوحى خصوصًا ، فإن اللّٰه يصطفي من الملائكة رسلًا ومن الناس ، فاصطفي من الملائكة جبريل لرسالته واصطفي من البشر محمدًا ﷺ ، وأخبر أن هذا القرآن الذي نزل به هذا الرسول إلى هذا الرسول مبلغًا له عن اللّٰه قال تعالى ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾[1]

وقال تعالى ﴿ وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾[2] .

فاللّٰه أوجب علينا الإيمان بمحمد ﷺ خصوصا وبالملك الذي جاءه بالقرآن .

وأمرنا بالإيمان بالأنبياء كلهم وبجميع ما أوتوا كما قال تعالى ﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾[3] .

وقال تعالى : ﴿ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ ﴾[4] .

وقال تعالى : ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾[5] .

---

(١) الآية (٩٧) من سورة البقرة .

(٢) الآيات (١٩٢ الى ١٩٥) من سورة الشعراء .

(٣) الآية (١٣٦) من سورة البقرة .

(٤) الآية (١٧٧) من سورة البقرة .

(٥) الآية (٢٨٥) من سورة البقرة .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ وَٱلْكِتَابِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَٱلْكِتَابِ ٱلَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾(1) .

فالأنبياء وسائط بين الله عز وجل وبين عباده في تبليغ أمره ونهيه ووعده ووعيده ، وما أخبر به عن نفسه وملائكته وغير ذلك مما كان وسيكون .

وسائر الأنبياء علينا أن نؤمن بهم ، مجملا وذلك بأن كل ما أخبروا به عن الله فهو حق وأن طاعتهم فرض على من أرسلوا إليهم .

أما محمد ﷺ فهو الذي أرسل إلينا وإلى جميع الخلق وقد ختم الله به الأنبياء وآتاه من الفضائل ما فضله به على غيره وجعله سيد ولد آدم وخصائصه وفضائله كثيرة وعظيمة لايسعها هذا الموضع .

وقد أوجب الله علينا أن نطيعه في كل ما أوجبه وأمر به وأن نصدقه في كل ما أخبر به ، كما سبق ذكر ذلك في الباب الأول من هذه الرسالة .

وهو سبحانه مع هذا كله نهانا عن الشرك بهم والغلو فيهم ، وميز بين حقه تعالى وحقهم .

فقال تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَابَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ * وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا ٱلْمَلَائِكَةَ وَٱلنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾(2)فهذا بيان أن اتخاذ الملائكة والنبيين أربابا كفر مع وجوب الإيمان بهم ما لم يحصل بعبادة الأوثان ، فإن الأوثان

---

(1) الآية (١٣٦) من سورة النساء .

(2) الآيتان (٧٩ ، ٨٠) من سورة آل عمران .

تستحق الإهانة وأن تكسر كما كسر إبراهيم الأصنام وكما حرق موسى العجل ونسفه وكما كان نبينا ﷺ يكسر الأصنام ويهدم بيوتها وقد قال تعالى : ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴾[1] فإهانتها من تمام التوحيد والإيمان .

والملائكة والأنبياء بل الصالحون يستحقون المحبة والموالاة والتكريم والثناء .

مع أنه يحرم الغلو فيهم والشرك بهم ، فلهذا صار بعض الناس يزيد في التعظيم على ما يستحقونه فيصير شركًا ، وبعضهم يقصر عما يجب لهم من الحق فيصير فيه نوع من الكفر .

والصراط المستقيم صراط الذين أنعم اللّٰه عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وهو القيام بما أمر اللّٰه به ورسله في هذا وهذا .

واللّٰه تعالى يميز حقه من حق غيره ففي الصحيحين عن معاذ بن جبل أن النبي ﷺ قال له : « يا معاذ أتدرى ما حق اللّٰه على العباد »

قلت : اللّٰه ورسوله أعلم .

قال : « أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا ، أتدرى يا معاذ ما حقهم عليه إذا فعلوا ذلك ؟ » قلت : اللّٰه ورسوله أعلم . قال : « أن لا يعذبهم »[2] .

وقد قال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ * وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾[3] .

(١) الآية (٩٨) من سورة الأنبياء .

(٢) تقدم تخريجه .

(٣) الآيتان (٧٤ - ٧٥) من سورة القصص .

فالرسل كلهم نوح وهود وصالح وشعيب وغيرهم يبينون أن العبادة والتقوى حق لله وحده ، وحق الرسل طاعتهم .

قال نوح عليه السلام ﴿ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ * أَنِ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴾(١) .

وكذلك قال هود وصالح وشعيب وغيرهم ﴿ يَا قَوْمِ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ﴾(٢) .

وقال تعالى ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾(٣) .

وكذلك قال سائر الرسل هود وصالح وشعيب كل يقول ﴿ فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾(٤) .

وكذلك في رسالة محمد ﷺ قال الله تعالى : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْفَائِزُونَ ﴾(٥) .

فجعل الطاعة لله والرسول . وجعل الخشية والتقوى لله وحده .

وقال تعالى : ﴿ لِتُؤْمِنُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾(٦) .

فالإيمان بالله والرسول ، والتعزير والتوقير للرسول ، وتعزيره ، نصره ومنعه .

(١) الآيتان (٢ - ٣) من سورة نوح .

(٢) الآيات (٦٥ - ٧٣ - ٨٥) من سورة الأعراف .

(٣) الآيات (من ١٠٥ الى ١٠٨) من سورة الشعراء .

(٤) الآيات (١٢٦ - ١٣١ - ١٤٤ - ١٦٣ - ١٧٩) من سورة الشعراء .

(٥) الآية (٥٢) من سورة النور .

(٦) الآية (٩) من سورة الفتح .

والتسبيح بكرة وأصيلا لله وحده ، فإن ذلك من العبادة لله وحده والعبادة هي لله وحده .

وقال تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَٱرْهَبُونِ * وَلَهُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ﴾[1]

فأنكر سبحانه أن يتقى غيره كما أمر أن لا يرهب إلا إياه .

وقال تعالى : ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِي ﴾[2] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ ٱللَّهِ مَنْ آمَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَاةَ وَآتَى ٱلزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴾[3].

فقد أمر الله تعالى في غير موضع بأن يخشى ويخاف ولا يخشى ويخاف غيره .

وقال تعالى ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى ٱللَّهِ رَاغِبُونَ ﴾[4] .

ففي الإيتاء قال ﴿ ما آتاهم الله ورسوله ﴾ كما قال : ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ لأن الحلال ما حلله الله ورسوله ، والحرام ما حرمه الله ورسوله .

فما أعطاه الرسول للناس فهو حقهم بالقول والعمل كالفرائض التي قسمها الله وأعطى كل ذى حق حقه وكذلك من الفيئ والصدقات ما أعطى فهو

---

(١) الآيتان (٥١ ، ٥٢) من سورة النحل .

(٢) الآية (١٥٠) من سورة البقرة .

(٣) الآية (١٨) من سورة التوبة .

(٤) الآية (٥٩) من سورة التوبة .

حقه ، وما أباحه له فهو مباح ، وما نهاه عنه فهو حرام عليه فلهذا قال تعالى ﴿ ولو أنهم رضوا ما آتاهم اللَّه ورسوله وقالوا حسبنا اللَّه ﴾ ولم يقل هنا ورسوله لأن اللَّه تعالى وحده حسب عبده أي كافيه . لا يحتاج الرب في كفايته إلى أحد لا رسول ولا نبي ، ولهذا لا تجئ هذه الكلمة إلا اللَّه وحده كقوله : ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾[1]

وقال تعالى : ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾[2]

وقال تعالى ﴿ وَإِن يُرِيدُوا أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ هُوَ ٱلَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[3] الى قوله ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[4] أى حسبك وحسب من اتبعك من المؤمنين كما قاله جمهور أهل العلم . ومن قال إن اللَّه ومن اتبعك حسبك فقد غلط ، ولم يجعل اللَّه وحده حسبه بل جعله وبعض المخلوقين حسبه ، وهذا مخالف لسائر آيات القرآن .

وقال تعالى ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ﴾[5] فهو وحده كاف عبده .

وقال تعالى ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾[6] .

---

(١) الآية (١٧٣) من سورة آل عمران .

(٢) الآية (١٢٩) من سورة التوبة .

(٣) الآية (٦٢) من سورة الأنفال .

(٤) الآية (٦٤) من سورة الأنفال .

(٥) الآية (٣٦) من سورة الزمر .

(٦) الآية (٣) من سورة الطلاق .

فلهذا قال تعالى ﴿ وقالوا حسبنا اللّٰه ﴾ ولم يقل ورسوله ثم قال ﴿ إنا إلى اللّٰه راغبون ﴾ ولم يقل ورسوله بل جعل الرغبة إلى اللّٰه وحده كما قال ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ * وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ﴾[1]

فالرغبة تتضمن التوكل وقد أمر أن لا نتوكل إلا عليه كقوله ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوا ﴾[2] وقوله ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾[3] .

فالتوكل على اللّٰه وحده ، والرغبة إليه وحده ، والرهبة منه وحده .

ليس لمخلوق لا الملائكة ولا الأنبياء في هذا حق كما ليس لهم حق في العبادة ولا يجوز أن نعبد الا اللّٰه وحده ولا نخشى ولا نتقى إلا اللّٰه وحده كما قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾[4] .

فإذا قال القائل لا يجوز التوكل إلا على اللّٰه وحده ، ولا العبادة إلا للّٰه وحده ولا يتقى ولا يخشى إلا اللّٰه وحده لا الملائك ولا الأنبياء ولا غيرهم كان هذا تحقيقا للتوحيد .

ولم يكن هذا سبًا لهم ولا تنقصًا بهم ولا عيبًا لهم وإن كان فيه بيان نقص درجتهم عن درجة الربوبية فنقص المخلوق عن الخالق من لوازم كل مخلوق .

ويمتنع أن يكون المخلوق مثل الخالق .

---

(١) الآيتان (٧ - ٨) من سورة الشرح .

(٢) الآية (٢٣) من سورة المائدة .

(٣) الآية (٩٩) من سورة النحل .

(٤) الآية (٢) من سورة الأنفال .

والملائكة والانبياء كلهم عباد اللّه يعبدونه كما قال تعالى ﴿ لَن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَائِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾(1) .

وقال تعالى ﴿ وَقَالُوا ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ * لَا يَسْبِقُونَهُ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ * يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ * وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلظَّالِمِينَ ﴾(2) .

فاذا نفي عن مخلوق ملك أو نبي أو غيرهما ما كان من خصائص الربوبية وبين أنه عبد اللّه كان هذا حقا واجب القبول ، وكان إثباته إطراء للمخلوق فإن دفعه عن ذلك كان عاصيًا بل مشركًا .

ولهذا قال النبي ﷺ « لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم فإنما أنا عبد اللّه فقولوا عبد اللّه ورسوله » .

فاللّه تعالى قد وصفه بالعبودية حين أرسله ، وحين تحدى ، وحين أسرى به فقال تعالى ﴿ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ ﴾(3) .

وقال تعالى ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا ﴾(4) .

وقال تعالى ﴿ سُبْحَانَ ٱلَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ ﴾(5) .

وأهل الباطل يقولون لمن وصفهم بالعبودية إنه عابهم وسبهم ونحو ذلك .

---

(1) الآية (١٧٢) من سورة النساء .

(2) الآيات (٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩) من سورة الأنبياء .

(3) الآية (١٩) من سورة الجن .

(4) الآية (٢٣) من سورة البقرة .

(5) الآية (١) من سورة الاسراء .

ولهذا لما سأل النجاشي[١] جعفر بن أبي طالب[٢] رضي لله عنه ما تقول في المسيح عيسى ؟ فقال : هو عبد اللّٰه ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه رفع النجاشي عودًا وقال : ما زاد المسيح على ما قلت هذا العود فنخرت بطارقته[٣] . فقال : وإن نخرتم »[٤] .

فهم يجعلون قول الحق في المخلوق سبًا له ، وهم يسبون اللّٰه ويصفونه بالنقائص والعيوب كما في الحديث عن أبي هريرة رضي اللّٰه عنه عن النبي ﷺ قال : « يقول اللّٰه : كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك ، وشتمني ولم يكن له ذلك . أما تكذيبه إياي أن يقول : إني لن أعيده كما بدأته ، وأما شتمه إياي أن يقول : اتخذ اللّٰه ولدًا ، وأنا الصمد الذي لم ألد ولم أولد ولم يكن لي

---

(١) أصحمة بن أبحر النجاشي – ملك الحبشة – وأسمه بالعربية عطية والنجاشي لقب ، أسلم على عهد النبي ﷺ ولم يهاجر إليه ، وكان ردءا للمسلمين نافعا ، وقصته مشهورة في المغازى في إحسانه للمسلمين الذين هاجروا إليه في صدر الإسلام ، توفي في عهد النبي ﷺ وصلى عليه صلاة الغائب .
الإصابة (١ / ١١٧) .

(٢) جعفر بن أبي طالب عن عبد المطلب ، ابن عم النبي ﷺ وأحد السابقين للإسلام ، هاجر إلى الحبشة ، فأسلم النجاشى ومن تبعه على يديه ، ثم قدم المدينة والنبي ﷺ بخيبر ، واستشهد في مؤتة سنة ثمان من الهجرة .
الإصابة (١ / ٢٣٩ – ٢٤٠) .

(٣) أي تكلمت ، وكأنه كلام مع غضب ونفور . النهاية (٥ / ٣٢) .

(٤) أخرجه الإمام أحمد في المسند (١ / ٢٠١ – ٢٠٣) (٥ / ٢٩٠ – ٢٩٢) .
قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ٢٤ – ٢٧) رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح .
وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٢ / ٢٩٣ – ٢٩٥) .
وهو في سيرة ابن هشام (١ / ٢٨٩ – ٢٩١) .

كفوا أحد »[١].

فقد أخبر سبحانه أن هؤلاء يسبونه ، وقد كان معاذ بن جبل يقول عن النصارى : لا ترحموهم فقد سبوا اللّٰه سبة ما سبه اياها أحد من البشر .

وهذا نظير ما ذكره اللّٰه تعالى عن المشركين بقوله ﴿ وَإِذَا رَآكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَافِرُونَ ﴾[٢].

فكانوا ينكرون على محمد عليه السلام أن يذكر آلهتهم بما تستحقه وهم يكفرون بذكر الرحمن ولا ينكرون ذلك كما قال تعالى ﴿ وَلَا تَسُبُّوا ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا ٱللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾[٣].

وهكذا من فيه شبهه من اليهود والنصارى والمشركين تجده يغلو في بعض المخلوقين من المشايخ والأئمة والأنبياء وغيرهم وإذا ذكروا بما يستحقونه أنكر ذلك ونفر منه وعادى من فعل ذلك وهو وأصحابه يستخفون بعبادة اللّٰه وحده وبحقه وبحرماته وشعائره ولا ينكر ذلك . ويحلف أحدهم باللّٰه ويكذب ويحلف بمن يعظمه ويصدق ولا يستجيز الكذب إذا حلف به . وهؤلاء من جنس النصارى والمشركين وكذلك قد يعيبون من نهي عن شركهم كالحج إلى القبور التي يحجون إليها عادة وهم يستخفون بحرمة الحج إلى بيت اللّٰه

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب بدء الخلق ، باب ما جاء في قوله تعالى : ﴿ وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده ... ﴾ الآية (٦ / ٢٨٧) ح ٣١٩٣ وكذلك في كتاب التفسير ، تفسير سورة الإخلاص . انظر فتح الباري (٨ / ٧٣٩) ح ٤٩٧٤ ، ٤٩٧٥) .

(٢) الآية (٣٦) من سورة الأنبياء .

(٣) الآية (١٠٨) من سورة الأنعام .

ويجعلون الحج إلى القبور أفضل منه . وقد ينهون عن الحج اعتياضا إلى القبور ويقولون هذا الحج الأكبر .

ويرون النهي عن الحج إلى قبور الأنبياء والصالحين إخلالًا بحقهم ومعاداة لهم ونحو ذلك .

وهم لا يرون الشرك بالله ودعاء غيره واتخاذ عباده من دونه أولياء إخلالًا بحقه ومعاداة له .

ومعلوم أن المشركين من أعظم أعداء الله عز وجل قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ * لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * لَقَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ ﴾[1] فأمر بالتأسي بإبراهيم ومن معه لما تبرءوا من المشركين وما يعبده المشركون ، وأظهروا لهم العداوة والبغضاء حتى يؤمنوا بالله وحده . فالمشرك والآمر بالشرك والراضي به معاد لله ، ومن عادى الله فقد عادى أنبياءه وأولياءه .

---

(١) الآيات (١ - ٤) من سورة الممتحنة .

وأما من أمر بما جاءت به الرسل فلم يعادهم ولم يعاندهم قال تعالى ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا ٱلْكَافِرُونَ * لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ * وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾(1).

وهنا موضع يشكل على بعض الناس وذلك أنه قال عليه السلام في الحديث الصحيح : « أصدق كلمة قد قالها شاعر كلمة لبيد

ألا كل شيء ما خلا اللّه باطل(2)

وذلك مثل قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَاطِلُ ﴾(3).

فالمراد بالباطل : ما لا ينفع ، وكل ما سوى اللّه لا تنفع عبادته ، وهذا يدخل فيه كل ما عبد من دون اللّه من الملائكة والأنبياء وهؤلاء قد سبقت لهم من اللّه الحسني فكيف يدخلون في الباطل ؟ .

وكذلك قوله : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَالُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴾(4).

فيقال : إن المراد عبادتهم والعمل لهم باطل ، وقد يقال عن الشيء أنه لا شيء لانتفاء المقصود منه ليس بشيء وكما قال ﷺ عن الكهان لما سئل عنهم فقال : « ليسوا بشيء » فقالوا إنهم يحدثون أحيانًا الشيء يكون حقا ، فقال

---

(1) سورة الكافرون .

(2) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب مناقب الأنصار باب أيام الجاهلية فتح الباري (٧ / ١٤٩) ح ٣٨٤١ . وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الشعر (٧ / ٤٩) .

(3) الآية (٦٢) من سورة الحج .

(4) الآية (٣٢) من سورة يونس .

رسول الله ﷺ : « تلك الكلمة من الحق يخطفها الجني فيقرها في أذن وليه قر الدجاجة فيخلطون فيها أكثر من مائة كذبة »(١). فهم ليسوا بشيء : أى لا ينتفع بهم فيما يقصد منهم ، وهو الاستخبار عن الأمور الغائبة لأنهم يكذبون كثيرًا فلا يدرى ما قالوه أهو صدق أم كذب . وهم مع ذلك موجودون يضلون ويضلون .

فقوله : « ليس بشيء » مثل قوله : ألا كل شيء ما خلا الله باطل » وقوله ﴿ ذلك بأن الله هو الحق وأنما يدعون من دونه الباطل ﴾ فهو من جهة كونه معبودًا باطل لا ينتفع به ولا يحصل لعابده مقصود العبادة وإن كان من جهة أخرى هو شمس وقمر ينتفع بضيائه ونوره وهو يسجد لله ويسبحه .

وكذلك الملائكة والأنبياء إذا نفي عنهم كونهم آلهة معبودين وتبين أن عبادتهم عمل باطل لا ينتفع به ، لم ينف ذلك ما يستحقونه من الإجلال والإكرام وعلو قدرهم عند الله تعالى .

والتبرى من عبادتهم وكونهم معبودين ، لا من موالاتهم والإيمان بهم وقولهم ﴿ انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله ﴾ أي ومن عبادتهم ومن كونهم معبودين كما قال الخليل عليه السلام : ﴿ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾(٢) فهو برئ من كل شريك لله من جهة كونه جعل شريكًا وندًا لله ولم يبرأ منه من جهات أخرى .

فإبراهيم لم يبرأ من الشمس والقمر والكواكب من جهة كونها مسخرة لمنافع العباد وكونها تسجد لله وتسبحه وكونها من آياته العظيمة بل من جهة كونها

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب السلام ، باب تحريم الكهانة واتيان الكهان (٧ / ٣٦) .

(٢) الآية (٧٨) من سورة الأنعام .

شركاء لله . أما الأوثان ونحوها فتعادى مطلقا . والشمس والقمر والملائكة والكواكب تعادى عبادتها وكونها آلهة معبودة فتبغض من هذه الجهات وتعادى ، مع وجوب الإيمان بالملائكة وإذا قيل للنصارى نحن براء من شرككم ومما تعبدون من دون الله . وقد قال تعالى : ﴿ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[1] هذا بعد قوله : ﴿ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ﴾[2] .

فالبراءة من كل معبود سوى الله كالبراءة من كل إله سوى الله ، وذلك براءة من الشرك ومن كل ما سوى الله معبودا ، وليس هو براءة من المسيح من جهة كونه رسولًا كريمًا وجيها عند الله ، بل براءة مما قيل فيه من الباطل لا من الحق .

والمسيح والملائكة وغيرهم يتبرؤن ممن عبدوهم ويعادونهم ولا يوالونهم قال الله تعالى ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَٰؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴾[3] .

وقال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَٰؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا ٱلسَّبِيلَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنبَغِي لَنَا أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا ٱلذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ﴾[4]

---

(١) الآية (٧٦) من سورة المائدة .

(٢) الآية (٧٥) من سورة المائدة .

(٣) الآيتان (٤٠ – ٤١) من سورة سبأ .

(٤) الآية (١٧ – ١٨) من سورة الفرقان .

وقال تعالى ﴿ أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِن دُونِيٓ أَوْلِيَآءَ ﴾[١].

وقال تعالى ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوا مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[٢].

وقال تعالى ﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا ﴾[٣].

وهو سبحانه لم ينه عن موالاتهم فمن أحبهم ووالاهم فهو موحد ومن جعلهم أندادًا أحبهم كما يحب الله فهو مشرك .

فالحب لله توحيد وإيمان . والحب كما يحب الله شرك وكفر .

وكذلك الشفاعة قال تعالى : ﴿ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ ﴾[٤].

وقال تعالى ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾[٥].

فتبين أنه لا تنفع شفاعة الملائكة والأنبياء ولا غيرهم إلا لمن أذن له حتى « إذا قضى بالأمر ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله تعالى كأنه سلسلة على صفوان »[٦] وصعقوا فلا يعلمون ما قال ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا ٱلْحَقَّ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾[٧].

---

(١) الآية (١٠٢) من سورة الكهف .

(٢) الآية (٩) من سورة الشورى .

(٣) الآية (١٤) من سورة الأنعام .

(٤) الآية (٤) من سورة السجدة .

(٥) الآية (٢٥٥) من سورة البقرة .

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب التفسير ، تفسير سورة سبأ ، باب (حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلى الكبير) .
فتح الباري (٨ / ٥٣٧ - ٥٣٨) ح ٤٨٠٠

(٧) الآية (٢٣) من سورة سبأ .

فحينئذ يعلمون ما قضى به ، فكيف يشفعون بدون إذنه ؟

قال اللّٰه تعالى : ﴿ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ * لَا يَسْبِقُونَهُ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴾[1] وقال تعالى ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوا مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴾[2] .

وأوجه الشفعاء وأول شافع يوم القيامة محمد ﷺ وقد ثبت في الأحاديث الصحيحة أحاديث الشفاعة أن الناس يوم القيامة إذا ذهبوا إلى آدم ليشفع لهم يردهم إلى نوح ونوح إلى إبراهيم وإبراهيم إلى موسى وموسى إلى المسيح والمسيح إلى محمد صلى الله عليهم وسلم أجمعين فيقول اذهبوا إلى محمد فإنه عبد غفر له اللّٰه ما تقدم من ذنبه وما تأخر قال ﷺ فيأتوني فأذهب إلى ربي فإذا رأيت ربي خررت ساجدا وأحمد ربي بمحامد يفتحها علي لا أحسنها الآن وحينئذ فيقول اللّٰه تعالى (أي محمد ارفع رأسك ، وقل يسمع ، وسل تعطه واشفع تشفع) قال فأقول : أي رب أمتى فيحد لي حدا فأدخلهم الجنة » وكذلك ذكر في الثانية والثالثة[3] .

وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي اللّٰه عنه قلت : يارسول اللّٰه من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة ؟ « الحديث إلى أن قال ﷺ : أسعد الناس بشفاعتي من قال لا إله إلا اللّٰه خالصا من قلبه[4] » .

فقد بين أوجه الشفعاء أنه إذا أتى يبدأ بالسجود للّٰه والحمد للّٰه لا يبدأ

---

(١) الآيتان (٢٦ ، ٢٧) من سورة الأنبياء .

(٢) الآية (٤٣) من سورة الزمر .

(٣) تقدم تخريجه ص ٤٥٨ .

(٤) تقدم تخريجه ص ٤٩ .

بالشفاعة حتى يؤذن له فإن أذن له فحينئذ يشفع ، فإذا شفع حد له حدًا فيدخلهم الجنة ، وبين أن أولى الناس بشفاعته من كان أعظم إخلاصا وتوحيدًا لا من كان سائلا وطالبا منه أو من غيره . فالأمر كله للّه وحده لا شريك له هو الذي يأذن في الشفاعة وهو الذي يقبل شفاعة الشفيع فيمن يختار قال تعالى ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ سُبْحَانَ ٱللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾(١) .

فالذين يخالفون شريعة الأنبياء ويغلون فيهم ويقولون إنهم يحبونهم ويوالونهم ويعظمونهم بذلك ، فالأنبياء يتبرءون منهم ، ومحمد ﷺ بريء من عمل يخالف أمره وسنته قال اللّه تعالى ﴿ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴾(٢)

ولا ينفع من عصى الرسول أن يقول قصدى تعظيمهم فإنه إنما أمر بطاعتهم ولم يأمر أن يعبد اللّه بالظن وما تهوى الأنفس قال اللّه تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ ٱلْغُيُوبِ * مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ﴾(٣) .

فقد أخبر أنه لم يقل لهم إلا ما أمره اللّه به أن يعبدوا اللّه وحده وكذلك سائر الانبياء قال اللّه تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ

---

(١) الآية (٦٨) من سورة القصص .

(٢) الآية (٢١٦) من سورة الشعراء .

(٣) الآيتان (١١٦ ، ١١٧) من سورة المائدة .

لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾[١] .

وهو سبحانه إنما يعبد بما شرع من الدين ، لا يعبد بما شرع من الدين بغير إذنه فإن ذلك شرك قال اللّٰه تعالى ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ ﴾[٢]

وقال تعالى : ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ﴾[٣] والدين الذي شرعه إما واجب أو مستحب فكل من عبد عبادة ليست واجبة في شرع الرسول ولا مستحبة كانت من الشرك والبدع ، وكلما تدبر الانسان ما أمر به وشرعه تبين له أنه جمع في شرعه بين كمال توحيد الرب وإخلاص الدين له .

وبين كمال طاعة الرسل وتعزيرهم ومحبتهم وموالاتهم ومتابعتهم فأسعد الناس في الدنيا والآخرة أتبعهم للرسول باطنا وظاهرًا ﷺ تسليما[٤] .

فهذا هو صراط اللّٰه المستقيم قال تعالى ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[٥].

ولما أمرنا اللّٰه أن نسأله في كل صلاة أن يهدينا الصراط المستقيم صراط الذين أنعم اللّٰه عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين المغايرين للمغضوب

---

(١) الآية (٢٥) من سورة الأنبياء .

(٢) الآية (٢١) من سورة الشورى .

(٣) الآية (١٣) من سورة الشورى .

(٤) الرد على الأخنائي (٣٣٣ - ٣٨٨) بتصرف .

(٥) الآية (١٥٣) من سورة الأنعام .

عليهم وللضالين . كان ذلك مما يبين أن العبد يخاف عليه أن ينحرف إلى هذين الطريقين[١] . والمغضوب عليهم هو اليهود والضالون هم النصارى[٢] .

وقد افترق اليهود والنصارى في شأن الأنبياء

فاليهود جفوا عنهم فكذبوهم وقتلوهم كما أخبر اللّٰه عنهم بقوله ﴿ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾[٣]

والنصارى غلوا فيهم فأشركوا بهم حتى كفروا باللّٰه تعالى قال تعالى ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾[٤] .

فبالإيمان بهم وتصديقهم وطاعتهم يخرج المسلم عن مشابهة اليهود وبعبادة اللّٰه وحده والاعتراف بأنهم عباد اللّٰه لا يجوز اتخاذهم أربابا ولا الشرك بهم والغلو فيهم يخرج عن مشابهة النصارى .

فإن اتخاذهم أربابا كفر قال اللّٰه تعالى ﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾[٥] والنصارى يشركون

---

(١) مجموع الفتاوى (١ / ٦٥) .

(٢) كتاب اللّٰه يدل على ذلك فقد قال اللّٰه في حق اليهود ﴿ فباؤا بغضب على غضب ﴾ وقال النصارى (يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرًا وضلوا عن سواء السبيل ﴾ .

(٣) الآية (٨٧) من سورة البقرة .

(٤) الآية (١٧١) من سورة النساء .

(٥) الآية (٨٠) من سورة آل عمران .

بمن دون المسيح من الأحبار والرهبان قال تعالى ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾[1] فمن غلا فيهم واتخذهم أربابا فهو كافر .

ومن كذب شيئا مما جاؤا به أو سبهم أو عابهم أو عاداهم فهو كافر .

فلابد من رعاية هذا الأصل[2] .

وكان السلف يرون أن من انحرف من العلماء عن الصراط المستقيم ففيه شبه من اليهود كما يُرى في أحوال منحرفة أهل العلم من تحريف الكلم عن مواضعه ، وقسوة القلوب ، والبخل بالعلم وغير ذلك .

ومن انحرف من العباد ففيه شبه من النصارى كما يُرى في منحرفة أهل العبادة من الغلو في الأنبياء والصالحين وغير ذلك[3] .

والغلو في هذه الأمة وقع في طائفتين :

الطائفة الأولى : طائفة من ضلال الشيعة الذين يعتقدون في الأنبياء والأئمة من أهل البيت الألوهية .

الطائفة الثانية : طائفة من جهال المتصوفة يعتقدون نحو ذلك في الأنبياء والصالحين[4] .

فمن توهم في نبينا أو غيره من الأنبياء شيئًا من الألوهية والربوبية فهو من جنس النصارى .

وإنما حقوق الأنبياء ما جاء به الكتاب والسنة عنهم قال تعالى في خطابه لبني

---

(١) الآية (٣١) من سورة التوبة .

(٢) الرد على الأخنائي (٣٢٤ - ٣٢٥) .

(٣) مجموع الفتاوى (١ / ٦٥) بتصرف .

(٤) انظر الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (١ / ٩٢) والرد على البكرى (ص ١٠٥ ، ١٠٦)

إسرائيل ﴿ وَآمَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾[١] .

والتعزير : النصر والتوقير والتأييد .

وقال تعالى ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ ﴾[٢] فهذا في حق الرسول ، ثم قال في حق الله تعالى ﴿ وتسبحوه بكرة وأصيلا ﴾[٣] .

وقال تعالى ﴿ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[٤] .

وقال تعالى ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾[٥] .

وقال تعالى ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ﴾[٦]وذكر طاعة الرسول في أكثر من ثلاثين موضعا .

وقال تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[٧] .

وقال تعالى ﴿ قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوها وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ

---

(١) الآية (١٢) من سورة المائدة .

(٢) الآية (٨ ، ٩) من سورة الفتح .

(٣) الآية (٩) من سورة الفتح .

(٤) الآية (١٥٧) من سورة الأعراف .

(٥) الآية (٣١) من سورة آل عمران .

(٦) الآية (٣٢) من سورة آل عمران .

(٧) الآية (٥٦) من سورة الأحزاب .

ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ ﴾[١] فقد بين الله في كتابه حقوق الرسول من الطاعة له ، ومحبته ، وتعزيره ، وتوقيره ، ونصره ، وتحكيمه ، والرضى بحكمه ، والتسليم له واتباعه والصلاة والتسليم عليه ، وتقديمه على النفس والأهل والمال ، ورد ما يتنازع فيه إليه وغير ذلك من الحقوق .

وأخبر أن طاعته طاعته فقال : ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾[٢] ومبايعته مبايعته فقال ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ ﴾[٣] .

وقرن بين اسمه واسمه في المحبة فقال ﴿ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾[٤] وفي الأذى فقال ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾[٥] وفي الطاعة والمعصية فقال ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾[٦] ﴿ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾[٧] .

وفي الرضا فقال ﴿ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرۡضُوهُ ﴾[٨] .

فهذا ونحوه هو الذي يستحقه رسول الله بأبي هو وأمي .

فأما العبادة والاستعانة فلله وحده لا شريك له كما قال ﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا ﴾[٩] .

---

(١) الآية (٢٤) من سورة التوبة .
(٢) الآية (٨٠) من سورة النساء .
(٣) الآية (١٠) من سورة الفتح .
(٤) الآية (٢٤) من سورة التوبة .
(٥) الآية (٥٧) من سورة الأحزاب .
(٦) الآية (١٣) من سورة النساء .
(٧) الآية (١٤) من سورة النساء .
(٨) الآية (٦٢) من سورة التوبة .
(٩) الآية (٣٦) من سورة النساء .

﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾(١) .

﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ ﴾(٢) .

وقد جمع بينهما في مواضع كقوله ﴿ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ﴾(٣) .

وقوله ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ ﴾(٤) .

والدعاء لله وحده سواء كان دعاء عباده أو دعاء المسألة والاستعانة كما قال تعالى ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا * وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا * قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا ﴾(٥) .

وتوحيد الله وإخلاص الدين له في عبادته واستعانته في القرآن كثير جدًّا ، بل هو قلب الإيمان ، وأول الإسلام وآخره .

كما قال النبي ﷺ « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله »(٦) .

وقال ﷺ « من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة »(٧) .

---

(١) الآية (٥) من سورة الفاتحة .

(٢) الآية (٥) من سورة البينة .

(٣) الآية (١٢٣) من سورة هود .

(٤) الآية (٥٨) من سورة الفرقان .

(٥) الآيات (من ١٨ الى ٢٠) من سورة الجن .

(٦) تقدم تخريجه ص ٤٥ .

(٧) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٥ / ٢٣٣) .

وأخرجه أبو داود في السنن ، كتاب الجنائز ، باب في التلقين (٣ / ٤٨٦) ح ٣١١٦

وأخرجه الحاكم في المستدرك (١ / ٣٥١) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي . وحسنه الحافظ في تخريج الأذكار – كما في الفتوحات الربانية (٤ / ١٠٩ – ١١٠) وذكر له شواهد .

وهو قلب الدين والإيمان ، وسائر الأعمال كالجوارح له .

فالعبادة والإستعانة وما يدخل في ذلك من الدعاء والاستغاثة والخشية والرجاء والإنابة والتوكل والتوبة والاستغفار كل هذا للّه وحده لا شريك له .

فالعبادة متعلقة بألوهيته ، والاستعانة متعلقة بربوبيته ، واللّه رب العالمين لا إله إلا هو ، ولا رب لنا غيره ، لا ملك ولا نبي ولا غيره ، بل أكبر الكبائر الإشراك باللّه وأن تجعل له ندا وهو خلقك ، والشرك أن تجعل لغيره شركا أى نصيبًا في عبادتك ، وتوكلك ، واستعانتك كما قال من قال ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾[1] .

وأصناف العبادات : الصلاة بأجزائها مجتمعة ، وكذلك أجزاؤها التي هي عبادة بنفسها من السجود والركوع والتسبيح والدعاء والقراءة والقيام لا يصلح إلا للّه وحده .

ولا يجوز أن يتنفل عن طريق العبادة إلا للّه وحده ، لا لشمس ولا لقمر ولا لملك ولا لنبي ولا صالح ولا قبر نبي ولا صالح ، وهذا في جميع ملل الأنبياء وقد ذكر في شريعتنا حتى نهي أن يتنفل على وجه التحية والإكرام للمخلوقات ، ولهذا نهي النبي ﷺ معاذًا أن يسجد له وقال : « لو كنت آمرًا أن يُسجد لأحد لأمرت الزوجة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها »[2].

---

(١) الآية (٣) من سورة الزمر .

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٤ / ٣٨١) من حديث عبد اللّه بن أبي أوفي (٥ / ٢٢٧ - ٢٢٨) من حديث معاذ (٦ / ٧٦) من حديث عائشة . وأخرجه ابو داود في السنن ، كتاب النكاح ، باب حق الزوج على المرأة (٢ / ٦٠٤ - ٦٠٥) ح ٢١٤٠ من حديث قيس بن سعد وأخرجه الترمذي في السنن ، كتاب الرضاع ، باب ما جاء في حق الزوج على المرأة (٣ / ٤٦٥) ح ١١٥٩ من حديث أبى هريرة وقال : وفي الباب عن معاذ بن جبل وسراقة بن مالك =

وكذلك الزكاة العامة من الصدقات كلها والخاصة لا يتصدق إلا لله كما قال تعالى ﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ * إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾(١) وقال تعالى ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ ﴾(٢) .

فلا يجوز فعل ذلك عن طريق الدين لا لملك ولا لشمس ولا لقمر ولا لنبي ولا لصالح ، كما يفعل بعض السوال والمعظمين كرامة لفلان وفلان ، يقسمون بأشياء إما من الأنبياء وإما من الصحابة وإما من الصالحين .

وكذلك الحج لا يحج إلا إلى بيت الله ، فلا يطاف إلا به ، ولا يحلق الرأس إلا به ، ولا يوقف إلا بفنائه ، ولا يفعل ذلك بنبي ولا صالح ولا بقبر نبي ولا صالح ، ولا بوثن .

وكذلك الصيام لا يصام إلا عبادة لله ، فلا يصام لأجل الكواكب والشمس والقمر ، ولا لقبور الأنبياء والصالحين ونحو ذلك .

وهذا كله تفصيل الشهادتين : اللتين هما أصل الدين « شهادة أن لا إله إلا الله وشهادة أن محمدًا عبده ورسوله »

والإله : من يستحق أن يألهه العباد ويدخل فيه حبه وخوفه .

فما كان من توابع الألوهية فهو حق محض لله .

= وعائشة وابن عباس وعبد الله بن أبي أوفي وطلق بن على وأم سلمة وأنس وابن عمر . انتهي كلامه . وأخرجه ابن ماجه في السنن ، كتاب النكاح ، باب حق الزوج على المرأة (١ / ٣٤١ - ٣٤٢) ح ١٨٥٧ من حديث عائشة ، و ١٨٥٨ من حديث عبد الله بن أبي أوفي . وأخرجه ابن حبان في صحيحه . انظر موارد الظمآن (ح ١٢٩٠) من حديث عبد الله بن أبي أوفي .

(١) الآيتان (١٩ - ٢٠) من سورة الليل .

(٢) الآية (٩) من سورة الانسان .

وما كان من أمور الرسالة فهو حق الرسول[١] .

ونصوص القرآن والسنة مليئة بتقرير هذا الأمر ﴿ لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ ﴾[٢]

○ ○ ○ ○

(١) مجموع الفتاوى (١ / ٦٦ ، ٧٦) بتصرف يسير .

(٢) الآية (٤٢) من سورة الأنفال .

المبحث الثالث

بيان توسط السلف في حق النبي ﷺ

إن مما امتاز به اتباع هذا الدين : الوسطيه في كل شيء فلا إفراط ولا تفريط قال تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾[1]

قال ابن كثير : « والوسط هنا المراد به الخيار والأجود كما يقال قريش أوسط العرب نسبا أى خيرها .

ولما جعل الله هذه الأمة وسطا خصها بأكمل الشرائع وأقوم المناهج وأوضح المذاهب »[2] .

ومن الأمور التي توسطت بها هذه الأمة توسطها في شأن الأنبياء بين اليهود والنصارى .

فقد افترق اليهود والنصارى في الأنبياء : فاليهود جفوا عنهم فكذبوهم وقتلوهم . والنصارى غلوا فيهم فأشركوا بهم حتى كفروا بالله .

أما هذه الأمة فقد توسطت بين الطائفتين فأمنت وصدقت بأنبياء الله ولم يتخذهم أربابا من دون الله .

فالسلف من الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين ساروا في هذا الشأن وفق نصوص القرآن والسنة الصحيحة شأنهم في ذلك شأنهم في سائر أمور هذا الدين الاتباع وترك الابتداع .

فما نص عليه القرآن يجب الأخذ به والعمل به والحال نفسه ينطبق على ما

---

(١) الآية (١٤٣) من سورة البقرة .

(٢) تفسير ابن كثير (١ / ١٩٠) .

نصت عليه السنة .

فقد نصت النصوص على أمور متعددة فيما يتعلق بشأن نبينا ﷺ وسائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

فمن أخذ بهذه الأمور جميعها وأمن بها فقط توسط ومن أخل بشيء منها فهو لا محالة واقع في أحد حالين إما الغلو أو التنقص .

ولما كان حال الغلو هو الأكثر خطرا على اتباع الرسل ، فقد جاء التنبيه والتأكيد على بشريتهم في مواطن متعددة في كتاب اللّٰه العزيز منها :

١- التأكيد على بشرية الرسول وعبوديته للّٰه تعالى :

قال تعالى ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَابَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾[١]

وقال تعالى ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ ﴾[٢]

وقال تعالى ﴿ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴾[٣]

وقال تعالى ﴿ سُبْحَانَ ٱلَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا ﴾[٤]

وقال تعالى ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا ﴾[٥]

وقال تعالى ﴿ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِٱللَّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا ﴾[٦] .

---

(١) الآية (٧٩) من سورة آل عمران .

(٢) الآية (١١٠) من سورة الكهف .

(٣) الآية (٩٣) من سورة الإسراء .

(٤) الآية (١) من سورة الإسراء .

(٥) الآية (٢٣) من سورة البقرة .

(٦) الآية (٤١) من سورة الأنفال .

وقال تعالى ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا ﴾(١)

وقال تعالى ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾(٢)

وقال تعالى ﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴾(٣) .

وقال تعالى ﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ﴾(٤) .

وقال تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي ٱلْأَسْوَاقِ ﴾(٥) .

٢ـ التأكيد على أن الرسل لا يملكون شيئًا من خصائص الألهية والربوبية

قال تعالى ﴿ قُل لَّا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ ٱللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ ﴾(٦) .

وقال تعالى ﴿ قُل لَّوْ أَنَّ عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّالِمِينَ * وَعِندَهُ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ﴾(٧) .

وقال تعالى ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ * قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ ٱللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ

(١) الآية (١) من سورة الكهف .

(٢) الآية (١) من سورة الفرقان .

(٣) الآية (١٠) من سورة النجم .

(٤) الآية (٩) من سورة الحديد .

(٥) الآية (٢٠) من سورة الفرقان .

(٦) الآية (٥٠) من سورة الأنعام .

(٧) الآية (٥٨ ، ٥٩) من سورة الأنعام .

مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[١].

وقال تعالى ﴿ وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴾[٢].

وقال تعالى ﴿ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ ٱللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ ﴾[٣].

وقال تعالى ﴿ قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴾[٤].

وقال تعالى ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَي ﴾[٥].

وقال تعالى ﴿ قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ ٱللَّهُ ﴾[٦].

وقال تعالى ﴿ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ ﴾[٧]

٣ـ التنبيه على ما كان من حال النصارى مع عيسى عليه السلام وبيان كفرهم في ذلك :

قال تعالى ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾[٨]

وقال تعالى ﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ

---

(١) الآيتان (١٨٧ ، ١٨٨) من سورة الأعراف .

(٢) الآية (٢٠) من سورة يونس .

(٣) الآية (٣١) من سورة هود .

(٤) الآية (٢١) من سورة الجن .

(٥) الآية (١٢٨) من سورة آل عمران .

(٦) الآية (٤٩) من سورة يونس .

(٧) الآية (٩) من سورة الأحقاف .

(٨) الآية (١٧) من سورة المائدة .

ٱلْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ * لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْآيَاتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ * قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ * قُلْ يَا أَهْلَ ٱلْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾(١) .

٤- بيان كفر من رفعهم إلى درجة الربوبية :

قال تعالى ﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا ٱلْمَلَائِكَةَ وَٱلنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾(٢) .

وبجانب هذا التأكيد على بشرية الرسل والتحذير من رفعهم فوق مكانتهم التي أعطاهم الله إياها ووصفهم بما ليس لهم حق فيه .

أكد الإسلام وجوب الإيمان بهم وإكرامهم ورفع درجتهم وجعلهم في مكانة ومنزلة سامية . فأوجب الإيمان بهم .

قال تعالى ﴿ آمَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا

---

(١) الآيات (من ٧٢ - ٧٧) من سورة المائدة .

(٢) الآية (٨٠) من سورة آل عمران .

غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾[1] .

قال ابن كثير عند تفسيره لهذه الآية : « فالمؤمنون يؤمنون بأن اللّٰه واحد ، فرد صمد ، لا اله غيره ولا رب سواه .

ويصدقون بجميع الأنبياء والرسل والكتب المنزلة من السماء على عباد اللّٰه المرسلين والأنبياء لا يفرقون بين أحد منهم فيؤمنون ببعض ويكفرون ببعض بل الجميع عندهم صادقون بارون راشدون مهديون هادون إلى سبيل الخير ، وان كان بعضهم ينسخ شريعة بعض بإذن اللّٰه حتى نسخ الجميع بشرع محمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين الذي تقوم الساعة على شريعته ، ولا تزال طائفة من أمته على الحق ظاهرين »[2] .

وفي مقابل ذلك فقد عد تكذيب واحد منهم كفرًا ولو ادعى الإيمان باللّٰه ورسله جميعا إلا ذلك ، فإيمان من هذا حاله إيمان زائف لا وزن له ولا خير فيه وصاحبه موسوم بالكفر .

قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا * أُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾[3] .

قال ابن كثير عند تفسيره لهذه الآية : « والمقصود أن من كفر بنبي من الأنبياء فقد كفر بسائر الأنبياء ، فإن الإيمان واجب بكل نبي بعثه اللّٰه إلى أهل الأرض فمن رد نبوته للحسد أو العصبية أو التشهي تبين أن ايمانه بمن آمن به

(١) الآية (٢٨٥) من سورة البقرة .

(٢) تفسير ابن كثير (١ / ٣٤٢) .

(٣) الآيتان (١٥٠ ، ١٥١) من سورة النساء .

من الأنبياء ليس إيمانًا شرعيًا إنما هو عن غرض وهوى وعصبية »[1] .

وبهذه الوسطيه تمسك السلف الصالح ومن سار على نهجهم فالأنبياء وعلى رأسهم نبينا صلوات الله عليهم أجمعين بشر مثلنا فضلهم الله واصطفاهم واختارهم وشرفهم بحمل الرسالة وتبليغها إلى الناس ، وأوجب علينا لهم من الحقوق ما سبق ذكره ، وكذلك جعل لنا عليهم من الأمور والحقوق التي تطلب منهم ، « فالأمور نوعان :

النوع الأول : نوع يطلب لنبينا منا ويجب له علينا .

والنوع الثاني : نوع يطلب لنا منه سواء أوجب عليه أو لم يجب .

فالواجب له علينا من الحقوق بعد الموت الإيمان به ومحبته ونصره وتعزيره وتوقيره وطاعة أمره واتباع سنته وموالاة أوليائه ومعاداة أعدائه .

هذا بالنسبه لما يتعلق بالنوع الأول . أما ما يتعلق بالنوع الثاني : فتحقيق ذلك أن الله أمره بأشياء منها ما هو حق لله . ومنها ما هو حق للناس .

والأمر تارة يكون أمر إيجاب ، وتارة أمر استحباب .

وكل ما أمر به مما فيه نفع للخلق ففيه حق لهم عليه كتبليغهم وتعليمهم والبيان لهم وأمرهم بكل معروف ونهيهم عن كل منكر ، وحضهم على كل ما يقربهم إلى الجنة ونهيهم عن كل ما يبعدهم عنها وتبيين كل ما يحتاجون إليه وأمثال ذلك .

وقد فعل ذلك وتركهم على البيضاء ليلها كنهارها ، وما طائر يقلب جناحيه إلا ذكر لهم منه علما بأخباره وأوامره ونواهيه .

---

(١) تفسير ابن كثير (١ / ٥٧٢) .

وكذلك كان يقوم بأخذ الصدقة من أغنيائهم وردها على فقرائهم ، وإنصاف مظلومهم من ظالمهم ، وإطعام جائعهم ، وعيادة مريضهم ، والصلاة على ميتهم ، وأمثال ذلك من أنواع إحسانه إليهم في جميع مصالح الدنيا والآخرة .

فاجتمعت له صفات الكمال المتفرقة في غيره من الرسل والأنبياء وولاة الأمر وغيرهم .

وكان له من خصائص النبوة والرسالة ما لم يشركه فيه أحد بعده ، وكان يقوم بالإمامة في الصلاة والإمارة في الغزو وإرسال البعوث وعقد الألوية والشعائر في الحروب وإقامة الحدود وإيصال الحقوق وقسم المواريث والمغانم والفيئ والصدقات ، وتعليمهم ما يؤمرون به مما في القلوب من المعارف والأحوال ، أو ما يقوم بالأبدان من الأقوال والأعمال ، وأفتاهم فيما ينويهم من المسائل ، والحكم بينهم فيما يتنازعون فيه من القضايا ، وتعبير الرؤيا وما كان وما يكون من أمر الدنيا والآخرة ، وصفات الرب ، وملائكته ، وأمر الآخرة والجنة والنار إلى غير ذلك . فهذه الأمور التي كان مأمورًا بها أمر إيجاب أو أمر استحباب وكانت حقا عليه للخلق انتهت بموته فلم يبق عليه منها شيء .

كما أدّى حق اللّٰه الذي أمره به ، فلم يبق عليه منه شيء ، فجاهد في اللّٰه ونصح الأمة ، وعبد ربه حتى أتاه اليقين .

وأما ما كان حقا له على الأمة ـ ومنفعته في الحقيقة تعود عليهم ، واللّٰه تعالى يثيبه بما يعملون به من طاعته مثل ثوابهم ، ويستجيب فيه صالح دعواهم ـ فهو في الحقيقة حق اللّٰه وان كان فيه حق للرسول فإن اللّٰه هو الذي أمرهم به الرسول ، ومن يطع الرسول فقد أطاع اللّٰه .

فكل ما أمرهم به الرسول من واجب ومستحب فالله آمرهم به .
وإذا اطاعوا الله ورسوله فأجرهم على الله .
وإذا عصوا الله ورسوله فحسابهم على الله .
قال تعالى ﴿ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴾[1]
وقال تعالى ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ * لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ * إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ * فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ * إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴾[2]
وقال تعالى ﴿ وَأَطِيعُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا ٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَاغُ ٱلْمُبِينُ ﴾[3] ثم قال ﴿ ٱللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾[4]
فأمر بطاعته وطاعة رسوله لأن طاعته طاعة لله .

وأمرهم بالتوكل عليه وحده ، وطاعة الرسول هي عبادة لله وحده والأمر والمعنى المتقدم من أن الرسول ليس عليه إلا ما أمر به من البلاغ والبيان والجهاد وليس عليه جزاء العباد ولا حسابهم ولا هدايتهم قد كرر في القرآن في مواضع .

والحق الذي لله وللرسول باق بعد موت الرسول ، وكذلك ما كان من حقوقه التي يمكن بقاؤها كالصلاة عليه والتسليم والتعزير والتوقير والمحبة وغيرها فهي لم تنقص بعد موته بل توكدت وقويت ، بل حقوقه عليها بعد موته أكمل منها في حياته .

فمن ذلك أن من تنقصه في حياته أو سبه فإنه كان له ﷺ أن يعفو عن حقه .

---

(١) الآية (٤٠) من سورة الرعد .
(٢) الآيات (من ٢١ – ٢٦) من سورة الغاشية .
(٣) الآية (١٢) من سورة التغابن .
(٤) الآية (١٣) من سورة التغابن .

فأما بعد موته فليس لأحد أن يعفو عن حقه ولا يسقط وكذلك في مغيبه . فعلينا أن نقوم بحقوقه الواجبة علينا في حال مماته ومغيبه أكثر مما علينا أن نقوم بها في محياه وحضوره .

وتلك الحقوق علينا له ، واذا فعلناها كانت عبادة منا للّه ، أجرنا فيها على اللّه وهي مما يزيده اللّه بها من فضله من جهة امتثالنا لما أمرنا به ، وهو داعينا ، وكلما أطعنا كان له مثل أجورنا ، ومن جهة ما يصل إليه من الرحمة باستجابة اللّه دعاء الأمة ، مع ما يزيده اللّه إياه من فضله . وهذه الحقوق الثابتة بعد موته هي تبع لرسالته فإنه هو السفير والواسطة بيننا وبين اللّه تعالى في تعليمنا وانتفاعنا بما علمنا من علم اللّه وخبره ، وفي أمرنا وإرشادنا إلى ما أمر اللّه به وأحبه ورضيه وبذلك حصل لمن آمن به واتبعه سعادة الدنيا والآخرة .

بل أعظم نعمة أنعم اللّه بها على المؤمنين أن أرسله إليهم وأنزل عليه الكتاب ومنَّ عليهم باتباعه . فليس في الدنيا خير أعظم من هذا[١] .

وبعد فهذا أنموذج من فهم السلف لنوع العلاقة التي تربط الأمة بنبيها وهو فهم أوجبته النصوص الشرعية وأكدته وأوضحته ورسمته ، فليس لنا أن نحيد عنه أو نبدل فيه .

وهو فهم أعطى لكل ذى حق حقه كما أوجب ربنا وشرع في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ فحق اللّه هو توحيده وتجريد العبادة له تبارك وتعالى .

وحق الرسول الإيمان به وطاعته ومحبته وتعزيره وتوقيره والصلاة والسلام عليه إلى غير ذلك مما سبق ذكره .

---

(١) الرد على البكرى (ص ١٠٨ - ١١٢) بتصرف يسير .

وعن هذا التوازن في وضع الأمور في نصابها الذي أوجبه اللّٰه تعالى علينا يقول ابن القيم : « والفرق بين تجريد التوحيد وبين هضم أرباب المراتب أن تجريد التوحيد أن لا يعطى المخلوق شيئًا من حق الخالق وخصائصه ، فلا يعبد ، ولا يصلى له ، ولا يسجد ولا يحلف باسمه ، ولا ينذر له ، ولا يتوكل عليه ، ولا يؤله ولا يقسم به على اللّٰه ، ولا يعبد ليقرب إلى اللّٰه زلفى ، ولا يساوى برب العالمين في قول قائل : ما شاء اللّٰه وشئت ، وهذا منك ومن اللّٰه ، وأنا باللّٰه وبك ، وأنا متوكل على اللّٰه وعليك ، واللّٰه لي في السماء وأنت لى في الأرض ، وهذا من صدقاتك وصدقات اللّٰه ، وإنا تائب إلى اللّٰه وإليك ، وأنا في حسب اللّٰه وحسبك ، فيسجد للمخلوق كما يسجد المشركون لشيوخهم يحلق رأسه له ، ويحلف باسمه ، وينذر له ، ويسجد لقبره بعد موته ، ويستغيث به في حوائجه ومهماته ، ويرضيه بسخط اللّٰه ، ولا يسخطه في رضا اللّٰه ، ويتقرب إليه أعظم مما يتقرب إلى اللّٰه ويحبه ويخافه ويرجوه أكثر مما يحب اللّٰه ويخافه ويرجوه أو يساويه .

فإذا هضم المخلوق خصائص الربوبية ، وأنزله منزلة العبد المحض الذي لا يملك لنفسه فضلًا عن غيره ضرًا ولا نفعًا ولا موتًا ولا حياةً ولا نشورًا لم يكن هذا تنقصًا له ولا حطًّا من مرتبته ولو رغم المشركون .

وقد صح عن سيد ولد آدم صلوات اللّٰه وسلامه عليه أنه قال : « لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبد اللّٰه فقولوا عبد اللّٰه ورسوله »[1].

وقال ﷺ : « لا تتخذوا قبرى عيدا »[2].

---

(١) تقدم تخريجه ص ٦٢٦ .

(٢) تقدم تخريجه ص ٥٨٠ .

وقال ﷺ : « اللهم لا تجعل قبرى وثنا يعبد »[١] .

وقال ﷺ : « لاتقولوا ما شاء اللّه وشاء فلان ، ولكن قولوا ما شاء اللّه ثم شاء فلان »[٢] .

وعن عدى بن حاتم أن رجلًا خطب عند النبي ﷺ فقال : من يطع اللّه ورسوله فقد رشد ، ومن يعصهما فقد غوى ، فقال رسول اللّه ﷺ : « بئس الخطيب أنت قل ومن يعص اللّه ورسوله »[٣] .

وقال له رجل : ما شاء اللّه وشئت . فقال : « أجعلتني للّه ندا ؟ »[٤] .

وقال له رجل قد أذنب : الله إني أتوب اليك ولا أتوب إلى محمد .

فقال : « عرف الحق لأهله »[٥] .

وقد قال اللّه له : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾[٦] .

وقال : ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ﴾[٧] .

---

(١) تقدم تخريجه ص ٥٩١ .

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٥ / ٣٨٤ ، ٣٩٤ ، ٣٩٨) . وأخرجه أبو داود في السنن ، كتاب الأدب ، باب لا يقال خبثت نفس (٥ / ٢٥٩) ح ٤٩٨٠ . وأخرجه أبو داود في السنن ، كتاب الأدب ، باب لا يقال خبثت نفس (٥ / ٢٥٩) ح ٤٩٨٠ . وأخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة ، باب النهي أن لا يقال خبثت نفس (٥ / ٢٥٩) ح ٤٩٨٠ . وأخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة ، باب النهي أن يقال ماشاء اللّه وشاء فلان (ص ٥٤٤) ح ٩٨٥ . وقال النووي : رواه أبو داود بإسناد صحيح . رياض الصالحين (ص ٦١١) .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الجمعة ، باب تخفيف الصلاة والخطبة (٣ / ١٢ - ١٣) .

(٤) تقدم تخريجه ص ٦٥٥ .

(٥) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٣ / ٤٣٥) .

(٦) الآية (١٢٨) من سورة آل عمران .

(٧) الآية (١٥٤) من سورة آل عمران .

وقال : ﴿ قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ ٱللَّهُ ﴾[(1)] .

وقال : ﴿ قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا * قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴾[(2)] أي لن أجد من دونه من ألتجئ إليه وأعتمد عليه . وقال لابنته فاطمه وعمه العباس وعمته صفية[(3)] : « لا أملك لكم من اللّٰه شيئا »[(4)] وفي لفظ : « لا أغني عنكم من اللّٰه شيئا »[(5)] .

فعظم ذلك على المشركين بشيوخهم وآلهتهم ، وأبوا ذلك كله ، وادعوا لشيوخهم ومعبوديهم خلاف هذا كله ، وزعموا أن من سلبهم ذلك فقد هضمهم مراتبهم وتنقصهم ، وقد هضموا جانب الالهية غاية الهضم وتنقصوه فلهم نصيب وافر من قوله تعالى ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾[(6)] [(7)] .

---

(١) الآية (٤٩) من سورة يونس .

(٢) الآيتان (٢١ ، ٢٢) من سورة الجن .

(٣) صفية بنت عبد المطلب بن هاشم القرشية الهاشمية عمة رسول اللّٰه ﷺ ، والدة الزبير بن العوام ، وهي شقيقة حمزة ، اسملت وهاجرت مع ولدها الزبير وروت وعاشت إلى خلافة عمر . الإصابة (٤ / ٣٣٩ - ٣٤٠) .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب المناقب ، باب من انتسب لآبائه في الإسلام والجاهلية . فتح الباري (٦ / ٥٥١) ح ٣٥٢٧) ، وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب في قوله تعالى ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ (١ / ١٣٣) .

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الوصايا ، باب هل يدخل النساء والولد في الأقارب . انظر فتح الباري (٥ / ٣٨٢) ح ٢٧٥٣ ، وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب في قوله تعالى ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ (١ / ١٣٣) .

(٦) الآية (٤٥) من سورة النور .

(٧) الروح لابن القيم (٢ / ٧٦٦ ، ٧٦٧) .

وقال أيضا رحمه الله في قصيدته النونية المسماة بالكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية :

يامن له عقل ونور قد غدا يمشى به في الناس كل زمان

لكننا قلنا مقالة صارخ في كل وقت بينكم بأذان

الرب رب والرسول فعبده حقا وليس لنا إله ثان

فلذاك لم نعبده مثل عبادة الرحـ ـمن فعل المشرك النصراني

كلا ولم نغلوا الغلو كما نهي عنه الرسول مخافة الكفران

لله حق لا يكون لغيره ولعبده حق هما حقان

لا تجعلوا الحقين حقا واحدا من غير تمييز ولا فرقان

فالحج للرحمن دون رسوله وكذا الصلاة وذبح ذى القربان

وكذا السجود ونذرنا ويميننا وكذا مثاب العبد من عصيان

وكذا التوكل والانابة والتقى وكذا الرجاء وخشية الرحمن

وكذا العبادة واستعانتنا به إياك نعبد ذاك توحيدان

وعليهما قام الوجود بأسره دنيا وأخرى حبذا الركنان

وكذلك التسبيح والتكبير والتهليل حق آلهنا الديان

لكنما التعزير والتوقير حق للرسول بمقتضى القرآن

والحب والإيمان والتصديق لا يختص بل حقان مشتركان

هذى تفاصيل الحقوق ثلاثة لا تجهلوها يا أولى العدوان

حق الاله عبادة بالأمر لا بهوى النفوس فذاك للشيطان

من غير اشراك به شيئا هما سببا النجاة فحبذا السببان

ورسوله فهو المطاع وقوله المقبول اذ هو صاحب البرهان

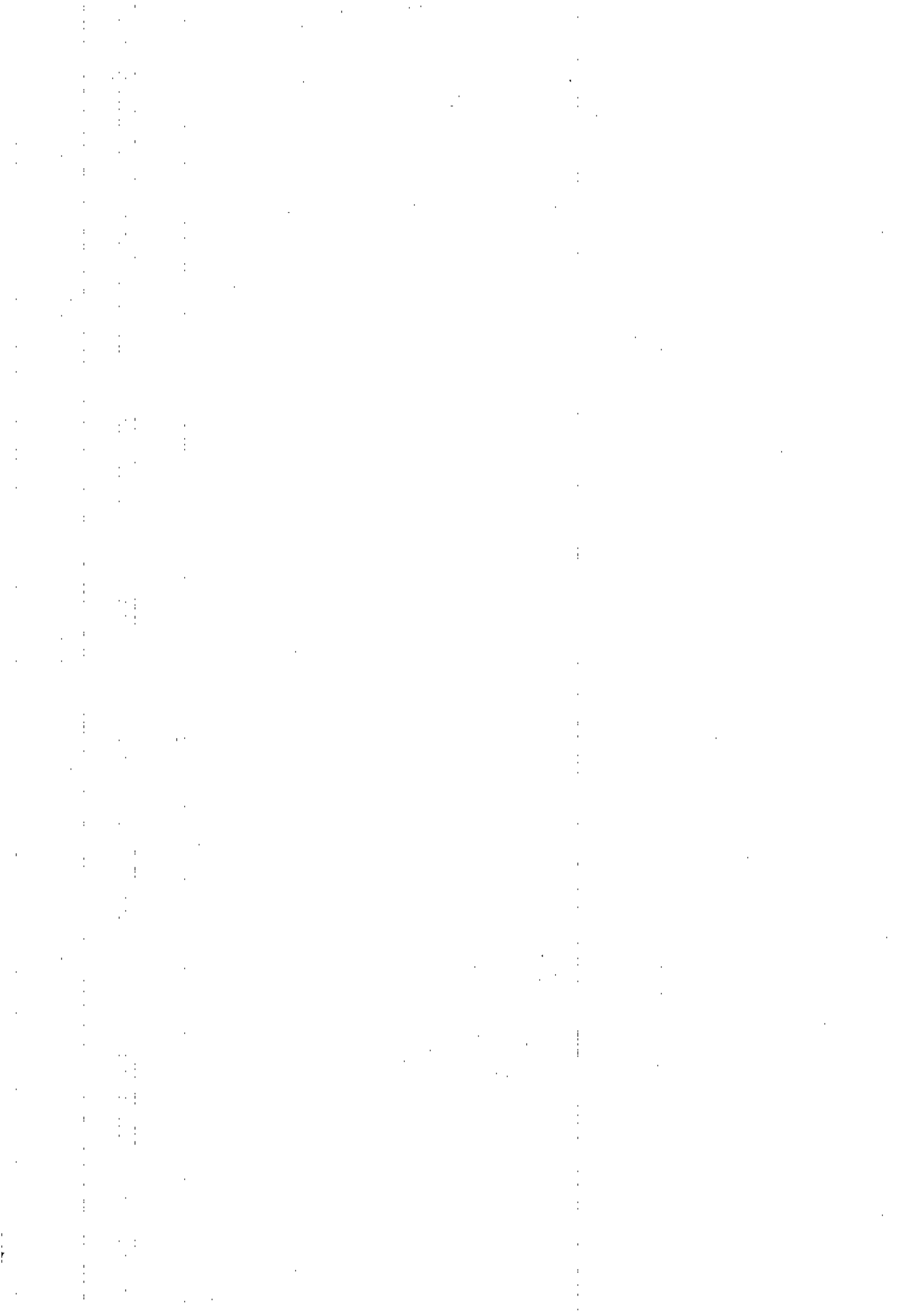
والأمر منه الحتم لا تخيير فيه عـنـد ذى عـقـل وذى ايمـان
من قال قولا غيره قمنا على أقـوالـه بـالـسـيـر والميـزان
ان وافقت قول الرسول وحكمه فعلى الرؤوس تشال كالتيجان
أو خالفت هذا رددناها على من قالها من كان من انسان
أو أشكلت عنا توقفنا ولم نجزم بلا علم ولا برهان
هذا الذي أدى إليه علمنا وبه ندين الله كل أوان
فهو المطاع وأمره العالى على أمر الورى وأمر ذى السلطان
وهم المقدم في محبتنا على الأهلين والأزواج والولدان
وعلى العباد جميعهم حتى على النفس التي قد ضمها الجنبان
ونظير هذا قول أعداء المسيح من النصارى عابدى الصلبان
انا تنقصنا المسيح بقولنا عبد وذلك غاية النقصان
لو قلتم ولد اله خالق وفيتموه حقه بوزان
وكذاك أشباه النصارى مذغلوا في دينهم بالجهل والطغيان
صاروا معادين الرسول ودينه في صورة الأحباب والاخوان
فانظر إلى تبديلهم توحيده بالشرك والإيمان بالكفران
وانظر إلى تجريده التوحيد من أسباب كل الشرك بالرحمن
واجمع مقالتهم وما قد قاله واستدع بالنقاد والوزان
عقل وفطرتك السليمة ثم زن هذا وذا لا تطغ في الميزان
فهناك تعلم أى حزبينا هو المتنقص المنقوص ذو العدون
رامى البرئ بدائه ومصابه فعل المباهت أوقح الحيوان
كمعير للناس بالزغل الذي هو ضربه فاعجب لذا البهتان

يافرقة التنقيص بل يا أمة الدعوى بــلا عــلــم ولا عــرفــان
واللّه ما قدمتمُ يوما مقالته علـى التقليد للانسان
واللّه ما قال الشيخ وقال الا كنتم معهم بلا كتمان
واللّه أغلاط الشيوخ لديكم عين الصواب ومقتضى البرهان
ولذا . قضيتم بالذي حكمت به جهلا على الاخبار والقرآن
واللّه انهم لديكم مثل معصوم وهــذا غــايــة الــطــغــيــان
تبا لكم ماذا النقص بعد ذا لو تعرفون العدل من نقصان
واللّه ما يرضيه جعلكم له ترسًا لشرككم وللعدوان
وكذاك جعلكم المشايخ جنة لخلافه يشهده أولو الإيمان
واللّه ما عظمتموه طاعة ومحبة يافرقة العصيان
أني وجهلكم به وبدينه وخلافكم للوحى معلومان ؟
أوصاكم أشياخكم بخلافهم لوفاقه في سالف الأزمان
خالفتم قول الشيوخ وقوله فغدا لكم خلفان متفقان
واللّه أمركم عجيب معجب ضدان فيكم ليس يتفقان
تقديم آراء الرجال عليه مع هذا الغلو فكيف يجتمعان ؟
كفرتم من جرد التوحيد جهلا منكم بحقائق الإيمان
لكن تجردتم لنصر الشرك والبدع المضلة في رضى الشيطان
واللّه لم نقصد سوى التجريد للتوحـ ـيد ذاك وصية الرحمن
ورضى رسول اللّه منا لا غلـ ـو الشرك أصل عبادة الأوثان
واللّه لو يرضى الرسول دعاءنا إياه بادرنا إلى الاذعان
واللّه لو يرضى الرسول سجودنا كنا مخر له على الأذقان

والله ما يرضيه منا غير اخـ ـلاص وتحكيم لذا القرآن
ولقد نهي ذا الخلق عن اطرائه فعل النصارى عابدى الصلبان
ولقد نهانا أن نصير قبره عيدا حذار الشرك بالرحمن
ودعا بأن لا يجعل القبر الذي قد ضمه وثنا من الأوثان
فأجاب رب العالمين دعاءه وأحاطه بثلاثة الجدران
حتى اغتدت أرجاؤه بدعائه في عزة وحماية وصيان
ولقدغدا عند الوفاة مصرحا باللعن يصرخ فيهم بأذان
وعني الألى جعلوا القبور مساجدا وهم اليهود وعابدوا للصلبان
والله لولا ذاك أبرز قبره لكنهم حجبوه بالحيطان
قصدوا إلى تسنيم حجرته ليمتنـ ـع السجود له على الأذقان
قصدوا موافقة الرسول وقصده التجريد للتوحيد للرحمن[1]

○○○○

(١) انظر : توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شر قصيدة ابن القيم (٢ / ٣٤٦ - ٣٥٤) .



الفصل الثاني

بيان الأمور التي حصل فيها غلو في حقه ﷺ وحكم الشرع فيها

○ وفيه تمهيد وستة مباحث :

المبحث الأول : نماذج من الغلو الحاصل في شأن النبي ﷺ .

المبحث الثاني : حكم التوسل والاستغاثة والاستشفاع بالنبي ﷺ .

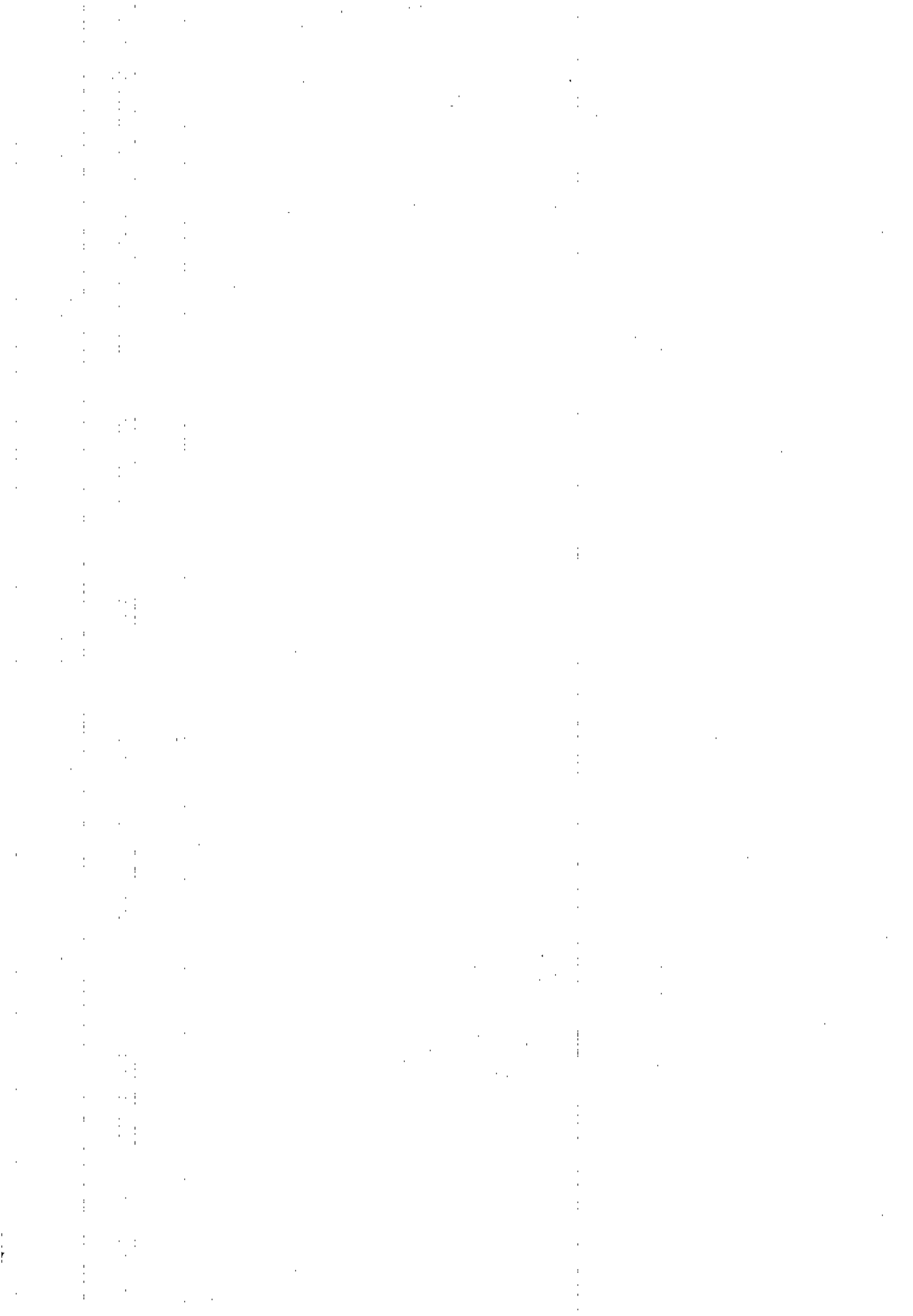
المبحث الثالث : حكم ما يفعل عند حجرته التي دفن فيها من الأمور المبتدعة

المبحث الرابع : حكم الحلف بالنبي .

المبحث الخامس : حكم الاحتفال بمولده .

المبحث السادس : حكم القول بحضوره في مجالس المحتفلين ورؤيته بالعين الباصرة .

● ● ● ●



تمهيد

قال اللّه تعالى ﴿ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴾[١]

وقال تعالى ﴿ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ ﴾[٢]

وقال تعالى ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾[٣]

وقال تعالى ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾[٤] .

وقال تعالى ﴿ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ ٱللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ ... ﴾[٥] .

وقال تعالى ﴿ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[٦] .

وقال تعالى ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا * قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا * قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا * إِلَّا بَلَاغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴾[٧] .

برغم هذه الآيات البينات والبراهين الواضحات التي تبين وتفصل بين ما هو

(١) الآية (٤٠) من سورة الرعد .

(٢) الآية (٩) من سورة الأحقاف .

(٣) الآية (١١٠) من سورة الكهف .

(٤) الآية (١٢٨) من سورة آل عمران .

(٥) الآية (٣١) من سورة هود .

(٦) الآية (١٨٨) من سورة الأعراف .

(٧) الآيات (٢٠ - ٢٣) من سورة الجن .

حق للرسول وما ليس له بحق ، وما يملكه الرسول وما لا يملكه وأمثالها في القرآن الكريم كثير جدًّا .

يأبى أناس إلا معصية اللّه ورسوله ومخالفة ما جاءت به النصوص ؛ اتباعا لأهوائهم وسلوكا لسبيل الشيطان ، فقد غلوا في حق النبي ﷺ وتنوع غلوهم وتفاوت حتى وصل في كثير من أنواعه إلى درجة الإشراك باللّه تعالى .

وسأذكر في هذا الفصل نماذج من هذا الغلو الحاصل مع الإشارة إلى وجه مخالفتها للنصوص الشرعية والرد عليها .

o o o o

المبحث الأول

نماذج من الغلو الحاصل في شان النبي ﷺ

أـ ما يسمى بـ (الحقيقة المحمدية) :

وهي أسطورة من أساطير الصوفية ، نسجها خيالهم المريض ، وأوهامهم الفاسدة ، فهي كذبة ليس لها رصيد من الواقع ، بل هي مناقضة تمامًا لما أخبر به اللّٰه تعالى وقرره في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ . أما عن فحوى هذه الأسطورة فيقول قائلهم : « اعلم أنه لما تعلقت إرادة الحق تعالى بايجاد خلقه أبرز الحقيقة المحمدية من أنواره ثم سلخ منها العوالم كلها علوها وسفلها ... ثم انبخست منه ﷺ عيون الأرواح فهو الجنس العالى على جميع الأجناس والأب الأكبر لجميع الموجودات »[١] .

ويقول آخر : « اعلم أن أنوار المكونات كلها من عرش وفرش وسماوات وأراضين وجنات وحجب وما فوقها وما تحتها إذا اجتمعت كلها وجدت بعضًا من نور النبي ، وأن مجموع نوره لو وضع على العرش لذاب ، ولو وضع على الحجب السبعين التي فوق العرش لتهافتت ، ولو جمعت المخلوقات كلها ووضع ذلك النور العظيم عليها لتهافتت وتساقطت »[٢] .

وفي هذا يقول شاعرهم :

أنشاك نورا ساطعا قبل الورى فردا لفرد ، والبرية في عدم
ثم استمد جميع مخلوقاته من نورك السامى ، فيا عظم الكرم

(١) الأنوار المحمدية (ص ٩) .

(٢) هذه هي الصوفية (ص ٨٧) .

فلذا إليك الخلق تفزع كلهم في هذه الدنيا ، وفي اليوم الأهم
وإذا دعتهم كربة فرجتها حتى سوى العقلاء في ذاك انتظم[١]

وهذا الزعم الباطل تضمن ثلاث دعاوى كلها كذب وافتراء .

الدعوى الأولى : دعوى أن النبي ﷺ خلق من نور رب العالمين .

الدعوى الثانية : أنه وجد قبل خلق آدم .

الدعوى الثالثة : أن الأشياء خلقت منه .

وكل دعوى من هذه الدعاوى هي أكذب من أختها ، وقد قال بها جميعًا بعض الغلاة المنتسبين إلى الإسلام مضاهاة لقول النصارى في عيسى ، ويروون في ذلك أحاديث ، وكلها كذب ، فمن هؤلاء الغلاة من يروى عن النبي ﷺ أنه قال : « من قال إني كلى بشر فقد كفر ، ومن قال لست ببشر فقد كفر » وهذا الحديث كذب باتفاق أهل العلم بالحديث[٢] .

ومنهم من يروى عن جابر بن عبد اللّه رضي اللّه عنه قال : قلت يارسول اللّه بأبي أنت وأمى أخبرني عن أول شيء خلقه اللّه تعالى قبل الأشياء ؟ قال : يا جابر إن اللّه تعالى خلق قبل الأشياء نور نبيك من نوره ، فجعل ذلك النور يدور بالقدرة حيث شاء اللّه تعالى ولم يكن في ذلك الوقت لوح ولا قلم ولا جنة ولا نار ولا ملك ولا سماء ولا أرض ولا شمس ولا قمر ولا جني ولا انسي ، فلما أراد أن يخلق الخلق قسم ذلك النور أربعة أجزاء فخلق من الجزء الأول القلم ، ومن الثاني اللوح ، ومن الثالث العرش ، ثم قسم الجزء الرابع أربعة أجزاء فخلق

---

(١) الأبيات لأحمد بن عبد المنعم الحلواني من قصيدته المستجيرة (نقلا عن كتاب هذه الصوفية) (ص ٨٧) .

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٢ / ٢٠٠ - ٢٠١) بتصرف

من الجزء الأول حملة العرش ، ومن الثاني الكرسي ومن الثالث باقي الملائكة ، ثم قسم الجزء الرابع أربعة أجزاء ، فخلق من الأول السموات ، ومن الثاني الأراضين ومن الثالث الجنة والنار ، ثم قسم الرابع أربع أجزاء فخلق من الأول أبصار المؤمنين ومن الثاني نور قلوبهم وهي المعرفة بالله تعالى ومن الثالث نور أنسهم وهو التوحيد لا إله إلا الله محمد رسول الله »[1].

وهذا الحديث باطل قال عنه السيوطي : « ليس له إسناد يعتمد عليه »[2].

ولا يخفي على من له أدني معرفة بنصوص القرآن والسنة ما في هذا الخبر المكذوب من المخالفات والمغالطات ، ولا يشك طالب علم في وضعه واختلاقه .

وكذلك مما يرونه « كنت نبيًا ولا آدم ولا ماء ولا طين » .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : (« هذا مما لا أصل له لا من نقل ولا من عقل فإن أحدًا من المحدثين لم يذكره ، ومعناه باطل فإن آدم لم يكن بين الماء والطين قط فإن الطين ماء وتراب ، وإنما كان بين الروح والجسد .

ثم هؤلاء الضلال يتوهمون أن النبي ﷺ كان حينئذ موجودًا وأن ذاته خلقت قبل الذوات ، ويستشهدون على ذلك بأحاديث مفتراة مثل حديث فيه « أنه كان نورا حول العرش ، فقال : يا جبريل أنا كنت ذلك النور »[3].

ومن العجيب أن كثيرا من الناس صاروا يتناقلون مثل هذه الأخبار المفتراة حتى أصبحت عندهم عقيدة راسخة في قلوبهم .

ومما يبين كذب هذه الدعاوى ويظهر زيفها مخالفتها لنصوص الكتاب

---

(١) الأنوار المحمدية (ص ١٣) .

(٢) الحاوى للفتاوى (١ / ٣٢٥) .

(٣) الرد على البكرى (ص ٨ - ٩) .

والسنة .

فقد اخبرنا عز وجل عن أصل ما خلق منه الإنس والجن فقال تعالى ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَٱلْفَخَّارِ * وَخَلَقَ ٱلْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴾(١) .

والنبي ﷺ بشر خلق مما خلق منه باقى البشر فلا ميزة له في هذا الشأن عن باقى البشر قال تعالى ﴿ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴾(٢)وقال تعالى ﴿ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ ﴾(٣) .

والآيات في هذا الشأن ، وفي شأن خلق السموات والأرض وكذا الأحاديث الثابتة كثيرة وكلها تخالف هذا الخبر المذكور وتبين زيفه وبطلانه(٤) .

ب ـ دعوى أن الدنيا خلقت من أجل النبي ﷺ :

وفي هذا يقول قائلهم

وكيف تدعو إلى الدنيا ضرورة من لولاه لم تخرج الدنيا من العدم(٥)

وقول الآخر ممن هو من نقطة وشكله

لولاه ما خلقت شمس ولا قمر ولا نجوم ولا لوح ولا قلم(٦)

ويستند هؤلاء على أحاديث موضوعة وأخبار مكذوبة منها حديث « لولاك

(١) الآيتان (١٤ – ١٥) من سورة الرحمن .

(٢) الآية (٩٣) من سورة الاسراء .

(٣) الآية (٩) من سورة الاحقاف .

(٤) انظر في هذا الشأن رسالة تنبيه الحذاق على بطلان ما شاع بين الأنام من حديث النور المنسوب لمصنف عبد الرزاق .

(٥) ديوان البوصيرى (ص ٢٤٠) .

(٦) تنبيه الحذاق (ص ٢٧) .

ما خلقت الأفلاك » وهو موضوع[١] .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : أوحى الله إلى عيسى ياعيسى آمن بمحمد وأمر من أدركه من أمتك أن يؤمنوا به فلولا محمد ما خلقت آدم ولولا محمد ما خلقت جنة ولا نار ... »[٢] .

وهذه الأحاديث الموضوعة وأمثالها لا يمكن أن يعول عليها في إثبات أمر شرعي كهذا .

أضف إلى ذلك مخالفتها للشرع فالذي تدل عليه النصوص الشرعية أن الله عز وجل إنما خلق الجن والانس لغاية ذكرها في القرآن الكريم حيث قال عز وجل ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[٣] .

قال ابن كثير : « ومعني الآية أنه تبارك وتعالى خلق العباد ليعبدوه وحده لا شريك له فمن أطاعه جازاه أتم الجزاء ومن عصاه عذبه أشد العذاب »[٤] .

وقال تعالى ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ

---

(١) قاله الصغاني في الأحاديث الموضوعة (ص ٧) ، وانظر الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة للشوكاني (ص ٣٢٦) وسلسلة الأحاديث الضعيفة للألباني رقم ٢٨٢

(٢) لا أصل له مرفوعًا إنما أخرجه الحاكم في المستدرك (٢ / ٦١٤ ، ٦١٥) من طريق عمرو بن أوس الأنصاري ثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن ابن عباس قال : فذكره موقوفا وقال : « صحيح الإسناد » وتعقبه الذهبي بقوله « أظنه موضوعًا على سعيد » .

وقد قال الذهبي في الميزان (٣ / ٢٤٦) عند ترجمته لعمرو بن أوس الذي روى هذا الحديث عن سعيد ما نصه : « عمرو بن أوس يجهل حاله اتى بخبر منكر ، أخرجه الحاكم في مستدركه ، وأظنه موضوعًا من طريق جندل بن والق » ثم ذكر نص هذا الحديث .

ووافقه ابن حجر في اللسان (٤ / ٣٥٤) .

(٣) الآية (٥٦) من سورة الذاريات .

(٤) تفسير ابن كثير (٤ / ٢٣٨) .

عَلَى ٱلْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾[١] .

وقال تعالى ﴿ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾[٢]

وقال تعالى ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾[٣]

فصرح جل وعلا في هذه الآيات المذكورة بأن حكمة خلقه للخلق هي اختبارهم وابتلاؤهم ليجزى المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته .

فهذه هي الحكمة من خلقهم أولًا وبعثهم ثانيًا[٤] .

والنصوص من آيات وأحاديث كلها تؤكد هذا الأمر وتدل عليه ، وفي الوقت نفسه تبطل ما زعمه الغلاة من أن الغاية من خلق الخلق هي من أجل محمد ﷺ .

فهذه الدعاوى يعرف بطلانها من له أدني بصيرة في نصوص الشرع والنبي ﷺ قد أعطاه اللّٰه خصائص وفضائل كثيرة تدل على فضله ومكانته ، فليس هو بحاجة إلى أن ترفع مكانته ويبين شرفة بمثل هذه الاخبار الباطلة الموضوعة .

ج ـ دعوى الغلاة : جواز صرف بعض جوانب العبادة له ﷺ :

وقد تفنن الغلاة في هذا

« فمن قائل يقول إنه يستغاث به في كل يستغاث فيه بالخالق بمعني أنه يطلب منه كما يطلب من الخالق .

فهؤلاء جعلوا الرسول ﷺ يطلب منه الناس ما يطلبونه من اللّٰه تعالى .

فأذوا الرسول وأساؤا في حقه إذ سألوه ما لا يقدر عليه مخلوق وسووه برب

---

(١) الآية (٧) من سورة هود .

(٢) الآية (٢) من سورة الملك .

(٣) الآية (٧) من سورة الكهف .

(٤) انظر أضواء البيان (٧ / ٦٧٣ - ٦٧٧) .

العالمين وسلطوا عليه العامة ، فهذا يطلب منه انزال المطر ، وهذا يطلب منه غفران الذنوب ، وهذا يطلب منه النصر على الأعداء ، وهذا يطلب منه أن يتزوج ، وهذا يطلب منه الولد .

وهذا يطلب منه المعيشه وهذا يطلب منه الملك ، وهذا يطلب منه الولاية ، وهذا يطلب منه قضاء دينه ، وهذا يطلب منه شفاء مريضه إلى غير ذلك من الأمور فنزلوا المخلوق منزلة الإله وطلبوا منه من جلب المنافع ودفع المضار ما لا يقدر عليه إلا اللّٰه »[1] .

ومن نظم بعضهم في هذا قوله :

يا أكرم الرسل مالى من ألوذ به سواك عند حلول الحادث العمم
ولن يضيق رسول اللّٰه جاهك بى إذا الكريم تجلى باسم منتقم
فإن لى ذمة منه بتسميتى محمدًا وهو أوفى الخلق بالذمم
إن لم يكن في معادى آخذا بيدى فضلًا وإلا فقل يازلة القدم[2]

فنفى أن يكون له ملاذ إذا حلت به الحوادث ، إلا النبي ﷺ وليس ذلك إلا للّٰه وحده لا شريك له ، فهو الذي ليس للعباد ملاذ إلا إياه سبحانه وتعالى .

ودعاه وناداه بالتضرع وإظهار الفاقة والاضطرار إليه وسأل منه هذه المطالب التي لا تطلب إلا من اللّٰه ، وذلك الشرك في الالهية[3] .

ومن شعر بعضهم قوله :

ماذا تعامل ياشمس النبوة من أضحى إليك من الأشواق فى كبدي

---

(١) الرد على البكرى (ص ٣٣٥ ، ٣٣٦) بتصرف .

(٢) ديوان البوصيرى (ص ٢٤٨) .

(٣) تيسير العزيز الحميد (ص ١٨٧) .

فامنع جناب صريع لا صريخ له نائى المزار غريب الدار مبتعدى
حليف ودك واه الصبر منتظر لغارة منك ياركني وياعضدى
أسير ذنبي وزلاتى ولا عمل أرجو النجاة به إن أنت لم تجد
وجرى في شركه إلى أن قال :
وحل عقدة كربى يا محمد من هم على خطرات القلب مطرد
أرجوك في سكرات الموت تشهدني كيما يهون إذ الأنفاس في صعد
وإن نزلت ضريحا لا أنيس به فكن أنيس وحيد فيه منفرد
وارحم مؤلفها عبد الرحيم ومن يليه من أجله وانعشه وافتقد
وإن دعا فأجبه واحم جانبه من حاسد شامت أو ظالم نكد
وقوله من أخرى :
يارسول اللّه ياذا الفضل يا بهجة الحشر جاها ومقاما
عد على عبد الرحيم الملتجى بحمى عزك ياغوث اليتامى
وأقلني عثرتى يا سيدى في اكتساب الذنب في خمسين عاما
وقوله :
ياسيدى يارسول اللّه يا أملى ويا موئلى يا ملاذى يوم يلقانى
هبني بجاهك ما قدمت من زلل جودا أو رجح بفضل منك ميزانى
واسمع دعائى واكشف ما يساورني من الخطوب ونفس كل أحزاني
فأنت أقرب من ترجى عواطفه عندى وإن بعدت دارى وأوطاني
إني دعوتك من نيابتى برع وأنت اسمع من يدعوه ذو شأن
فامنع جنابي وأكرمني وصل نسبى برحمة وكرامات وغفران
لقد أنسانا هذا ما قبله ، وهذا بعينه هو الذي ادعته النصارى في عيسى عليه

السلام ، إلا أن أولئك اطلقوا عليه اسم الإله ، وهذا لم يطلقه ولكن أتى بلباب دعواهم وخلاصتها ، وترك الاسم ، إذ في الاسم نوع تمييز ، فرأى الشيطان أن الاتيان بالمعني دون الاسم أقرب إلى ترويج الباطل ، وقبوله عند ذوى العقول السخيفة ، إذ كان من المتقرر عند الأمة المحمدية أن دعوى النصارى في عيسى عليه السلام كفر ، فلو أتاهم بدعوى النصارى اسما ومعني لردوه وأنكروه ، فأخذ المعنى وأعطاه البرعى واضرابه ، وترك الاسم للنصارى والا فما ندرى ماذا أبقى هذا المتكلم الخبيث للخالق تعالى وتقدس من سؤال مطلب أو تحصيل مأرب ، فاللّه المستعان[1] .

ويقول صاحب المواهب اللدنية : وينبغى للزائر - لقبره - أن يكثر من الدعاء والتضرع والاستغاثة والتشفع والتوسل والتوجه به ﷺ فجدير بمن استشفع به أن يشفعه اللّه تعالى فيه فإن كلا من الاستغاثة والتوسل والتشفع والتوجه للنبي ﷺ واقع في كل حال قبل خلقه وبعده في مدة حياته في الدنيا وبعد موته في مدة البرزخ وبعد البعث في عرصات القيامة[2] .

ومن هؤلاء من يرى أن زيارة قبر النبي ﷺ أفضل من الحج إلى الكعبة وأن دعاء النبي ﷺ والاستغاثة به أفضل من الاستغاثة باللّه تعالى ودعائه[3] .

ومنهم من يظن أن الرسول يعلم ذنوبه وحوائجه وإن لم يذكرها وأنه يقدر على غفرانها وقضاء حوائجه ويقدر على ما يقدر عليه اللّه ويعلم ما يعلمه اللّه »[4].

---

(١) تيسير العزيز الحميد (١٨٩ ، ١٩٠) .

(٢) انظر الأنوار المحمدية (ص ٦٠٤) .

(٣) الرد على البكرى (ص ٣٤٩) .

(٤) الرد على البكرى (ص ٣٠) .

ومنهم من يقول « ان النبي ﷺ لا يخلو منه زمان ولا مكان » يريدون بذلك أنه ما من زمان إلا وهو فيه موجود ، ولا من مكان إلا هو فيه موجود[١].

ومنهم من يقول : « إنه يحضر في كل مجلس أو مكان أراد بجسده وروحه وأنه يتصرف حيث شاء في أقطار الأرض وفي الملكوت ، وهو بهيئته التي كان عليها قبل وفاته »[٢].

ومنهم من يقول في قوله تعالى ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾[٣].

يقول : إن الرسول هو الذي يسبح بكرة وأصيلا .

ومنهم من يقول : اسقط الربوبية وقل في الرسول ما شئت .

دع ما ادعته النصارى في نبيهم واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم
وانسب إلى ذاته ما شئت من شرف وانسب إلى قدره ما شئت من عظم
فإن فضل رسول اللّه ليس له حد فيعرب عنه ناطق بفم
لو ناسبت قدره آياته عظما أحيا اسمه حين يدعى دارس الرمم[٤]

ومنهم من يقول نحن نعبد للّه ورسوله فيجعلون الرسول معبودا[٥].

بل لم يكتف غلاة الصوفية بهذا القدر حتى اعتقدوا أنه هو اللّه سبحانه ذاتا وصفة[٦].

---

(١) غاية الأماني (١ / ٤٨) .
(٢) هذه هي الصوفية (ص ٨١) .
(٣) الآيتان (٨ ، ٩) من سورة الفتح .
(٤) ديوان البوصيرى (ص ٢٤١) .
(٥) الرد على البكرى (ص ٢١٩) .
(٦) هذه هي الصوفية (ص ٧٤ - ٧٥) .

وكتب أصحاب البدع وعباد القبور مملوءة بالكثير من أنواع هذا الغلو والألوانه والذي لا يشك الموحد بكذبه وبطلانه .

وسأتطرق في المباحث القادمة للرد على أشهر تلك الأنواع ، فنسأل الله الإعانة على ذلك .

○ ○ ○ ○

المبحث الثاني

حكم التوسل والاستغاثة والاستشفاع بالنبي ﷺ

وفيه تمهيد وثلاثة مطالب :

المطلب الأول : الكلام على مسألة التوسل .

المطلب الثاني : الكلام على مسألة الشفاعة

المطلب الثالث : الكلام على مسألة الاستغاثة .

● ● ● ●

تمهيد

قبل التعرض لبيان حكم الشرع في هذه المسائل يجدر التنبيه على نقطة هامة جدا تتعلق بالمعاني التي استعملت فيها هذه الألفاظ في هذه المواضع .

ذلك أن كل من لفظ « التوسل » و « الشفاعة » و « الاستغاثة » قد ورد ذكرها في القرآن والسنة وكلام الصحابة واستعملت لمعاني معينة .

ولكن الذي حدث بعد ذلك أن أهل البدع والأهواء أحدثوا اصطلاحات ومعاني لهذه الألفاظ خلافا لما كانت تستعمل فيه من معان في خطاب الشرع وعرف الصحابة أنذاك ، قاصدين بذلك استعمال الأدلة الشرعية بما يوافق أهوائهم وأغراضهم ، ومن ثم لبسوا على الناس وأفهموهم أن تلك الألفاظ لم ترد إلا لتلك المعاني التي أحدثوها هم ، وهذا التلاعب بمعاني تلك الألفاظ هو الذي سهل على أهل البدع استعمال تلك النصوص في حججهم وسهل على عامة الناس تقبل تلك البدع لظنهم أن تلك النصوص دالة على تلك المعاني الباطلة .

ولذا كان من الواجب عند بيان الحق في هذه المسائل أن نبين المعني الشرعي لتلك الألفاظ ونحذر من المعاني المبتدعة المحدثة (فالألفاظ الشرعية لها حرمة ، ومن تمام العلم أن يبحث عن مراد الشارع بها ليثبت ما أثبته وينفي ما نفاه من المعاني)[1] ويجب على كل مؤمن أن يقر بموجب ذلك ، فيثبت ما أثبته الله ورسوله وينفي ما نفاه الله ورسوله .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « ومن لم يعرف لغة الصحابة التي يتكلمون

---

(١) مجموع الفتاوى (١٢ / ١١٤) .

بها ويخاطبهم بها النبي ﷺ وعادتهم في الكلام وإلا حرف الكلم عن مواضعه .

فإن كثيرا من الناس ينشأ على اصطلاح قوم وعادتهم في الألفاظ ثم يجد تلك الألفاظ في كلام الله أو رسوله أو الصحابة فيظن أن مراد الله أو رسوله أو الصحابة بتلك الألفاظ ما يريده بذلك أهل عادته واصطلاحه ويكون مراد الله ورسوله والصحابة خلاف ذلك .

وهذا واقع لطوائف من الناس من أهل الكلام والفقه والنحو والعامة وغيرهم .

وآخرون يتعمدون وضع ألفاظ الأنبياء وأتباعهم على معان أخر مخالفة لمعانيهم ، ثم ينطقون بتلك الألفاظ مريدين بها ما يعنونه هم ، ويقولون إنا موافقون للأنبياء »[(١)] .

ولفظ « التوسل » و « الاستشفاع » ونحوهما دخل فيها من تغيير لغة الرسول وأصحابه ، ما أوجب غلط من غلط عليهم في دينهم ولغتهم[(٢)] .

وبناء على ما تقدم فاني أجد لزامًا علي في هذا المقام أن أبين مراد الشارع بألفاظ التوسل والشفاعة والاستغاثة ليتضح ما أثبته الشارع من المعاني وما نفاه وذلك حتى يستنير الحق لطالبه .

فهذه النقطة هي موضع اللبس عند كثير من الناس ، فمتى ما وضحت زالت الغشاوة عن الأفهام ، وأمكن بالتالي فهم النصوص وفق مراد الشارع وأمره فهنا مكمن الداء والدواء . وأول ما نشرع به من هذه الألفاظ لفظ « التوسل » .

○○○○

(١) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ص ١٥٢ - ١٥٣) .

(٢) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ص ١٥٨) .

المطلب الأول

الكلام على مسالة التوسل

التوسل في اللغة : التقرب

والوسيلة : هي ما يتقرب به إلى الشيء [١] وتطلق على غير ذلك

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « لفظ الوسيلة » و « التوسل » فيه إجمال واشتباه يجب أن تعرف معانيه ويعطى كل ذي حق حقه .

فيعرف ما ورد به الكتاب والسنة من ذلك ومعناه .

وما كان يتكلم به الصحابة ويفعلونه ومعني ذلك .

ويعرف ما أحدثه المحدثون في هذا اللفظ ومعناه .

فإن كثيرًا من اضطراب الناس في هذا الباب هو بسبب ما وقع من الاجمال والاشتراك في الألفاظ ومعانيها حتى تجد أكثرهم لا يعرف في هذا الباب فصل الخطاب .

فلفظ الوسيلة مذكور في القرآن في قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوا إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ ﴾[٢] .

وفي قوله تعالى : ﴿ قُلِ ٱدْعُوا ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا * أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾ [٣].

---

(١) لسان العرب (١١ / ٧٢٤) مادة « وسل » .

(٢) الآية (٣٥) من سورة المائدة .

(٣) الآيتان (٥٦ ، ٥٧) من سورة الاسراء .

فالوسيلة التي أمر اللّٰه أن تبتغى إليه وأخبر عن ملائكته وأنبيائه أنهم يبتغونها إليه هي ما يتقرب به إليه من الواجبات والمستحبات .

فهذه الوسيلة التي أمر اللّٰه المؤمنين بابتغائها تتناول كل واجب ومستحب ، وما ليس بواجب ولا مستحب لا يدخل في ذلك سواء كان محرما أو مكروها أو مباحا .

فالواجب والمستحب : هو ما شرعه الرسول فأمر به أمر إيجاب أو استحباب وأصل ذلك الإيمان بما جاء به الرسول .

فجماع الوسيلة التي أمر اللّٰه الخلق بابتغائها هو التوسل إليه باتباع ما جاء به الرسول ، لا وسيلة لأحد إلى اللّٰه إلا ذلك .

والثاني : لفظ « الوسيلة » في الأحاديث الصحيحة كقوله ﷺ « سلوا اللّٰه لي الوسيلة فإنها درجة في الجنة لا تنبغى الا لعبد من عباد اللّٰه وأرجو أن أكون أنا ذلك العبد ، فمن سأل اللّٰه لي الوسيلة حلت له الشفاعة » [١] .

وقوله « من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدًا الوسيلة والفضيلة ، وابعثه مقامًا محمودًا الذي وعدته ، حلت له شفاعتي يوم القيامة » [٢] .

فهذه الوسيلة للنبي ﷺ خاصة ، وقد أمرنا أن نسأل اللّٰه له هذه الوسيلة ، وأخبر أنها لا تكون إلا لعبد من عباد اللّٰه وهو يرجو أن يكون ذلك العبد .

وهذه الوسيلة أمرنا أن نسألها للرسول وأخبر أن من سأل له هذه الوسيلة فقد

---

(١) تقدم تخريجه ص ٣٦٩ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الأذان ، باب الدعاء عند الأذان .
فتح الباري (٢ / ٩٤) ح ٦١٤ .

حلت عليه الشفاعة يوم القيامة لأن الجزاء من جنس العمل ، فلما دعوا للنبي ﷺ استحقوا أن يدعو هو لهم ، فإن الشفاعة نوع من الدعاء كما قال : « إنه من صلى عليه مرة صلى الله عليه بها عشرا »[١] .

وأما التوسل بالنبي ﷺ والتوجه به في كلام الصحابة فيريدون به التوسل بدعائه وشفاعته ، وهذا كان في حياته ويكون يوم القيامة يتوسلون بشفاعته « والتوسل به في عرف كثير من المتأخرين يراد به الإقسام به والسؤال به كما يقسمون ويسألون بغيره من الأنبياء والصالحين ومن يعتقدون فيه الصلاح .

وحينئذ فلفظ التوسل به يراد به ثلاث معان .

يراد به معنيان صحيحان باتفاق المسلمين ويراد معنى ثالث لم ترد به السنة .

فأما المعنيان الأولان الصحيحان باتفاق العلماء .

فأحدهما : هو أصل الإيمان والإسلام والدين وهو التوسل بالإيمان به وطاعته وهذا فرض لا يتم الإيمان إلا به ، ولا ينكره أحد من المسلمين .

وهو المراد بقوله تعالى ﴿ وابتغوا إليه الوسيلة ﴾ أي القربة إليه بطاعته ، وطاعة رسوله طاعته قال تعالى ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾[٢] .

والثاني : التوسل بدعائه وشفاعته ، وهذا كان في حياته ويكون يوم القيامة يتوسلون بشفاعته . ومن هذا قول عمر بن الخطاب : اللهم إنا كنا إذا أجدبنا توسلنا إليك بنبينا فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا[٣] .

(١) تقدم تخريجه .

(٢) الآية (٨٠) من سورة النساء .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الاستسقاء ، باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا حديث (١٠١٠) وكتاب فضائل الصحابة باب ذكر العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه حديث (٣٧١٠) .

أي بدعائه وشفاعته .

فإنه توسل بدعائه لا بذاته ، ولهذا عدلوا عن التوسل به إلى التوسل بعمه العباس ولو كان التوسل هو بذاته لكان هذا أولى من التوسل بالعباس ، فلما عدلوا عن التوسل به إلى التوسل بالعباس علم أن ما يفعل في حياته قد تعذر بموته ، بخلاف التوسل الذي هو الإيمان به والطاعة له فإنه مشروع دائمًا .

وأما المعني الثالث الذي لم ترد به سنة فهو : التوسل به بمعني الإقسام على الله بذاته والسؤال بذاته فهذا هو الذي لم يكن الصحابة يفعلونه في الاستسقاء ونحوه لا في حياته ولا بعد مماته ، لا عند قبره ولا غير قبره ، ولا يعرف هذا في شيء من الأدعية المشهورة بينهم .

وإنما ينقل شيء من ذلك في أحاديث ضعيفة مرفوعة وموقوفة أو عمن ليس قول حجة [(١)] .

وليس في الأحاديث المرفوعة في ذلك حديث في شيء من دواوين المسلمين التي يعتمد عليها في الأحاديث - لا في الصحيحين ولا كتب السنن ولا المسانيد المعتمدة كمسند الإمام أحمد وغيره - وإنما يوجد في الكتب التي عرف أن فيها كثيرا من الأحاديث الموضوعة المكذوبة التي يختلقها الكذابون [(٢)].

والأحاديث التي تروى في هذا الباب - وهو السؤال بنفس المخلوقين - هي من الأحاديث الضعيفة الواهية بل الموضوعة ولا يوجد في أئمة الإسلام من احتج بها ولا اعتمد عليها [(٣)] .

---

(١) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ص ٧٩ ، ٨٠) بتصرف يسير .

(٢) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ص ١٦٠) .

(٣) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (١٦٤) .

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة [١] عددا من الأحاديث والآثار التي استدل بها من أجاز التوسل بالذوات وبين ضعف حججهم وقال : « ليس في هذا الباب حديث واحد مرفوع إلى النبي ﷺ يعتمد عليه في مسألة شرعية ، باتفاق أهل المعرفة بحديثه ، بل المروى في ذلك إنما يعرفه أهل المعرفة بالحديث أنه من الموضوعات ، إما تعمدًا من واضعه وإما غلطًا منه » [٢].

ويتضح من النقول السابقة أن التوسل ينقسم إلى قسمين :

القسم الأول : التوسل الشرعي الذي دلت عليه النصوص الشرعية

القسم الثاني : التوسل البدعي الذي لم يثبت به نص شرعي

والتوسل الشرعي الذي جاءت به النصوص على نوعين :

النوع الأول : التوسل إلى الله تعالى بالأعمال الصالحة ، أو بتعبير آخر التقرب إلى الله بطاعته .

النوع الثاني : التوسل بدعاء الأحياء الصالحين للغير .

فالتوسل الشرعي في النوع الأول : « هي الوسيلة التي أمرنا الله أن نبتغيها إليه قال تعالى ﴿ وابتغوا اليه الوسيلة ﴾ وهي التقرب إلى الله بطاعته وهذا النوع يدخل فيه كل ما أمرنا الله به ورسوله ، وهذه الوسيلة لا طريق لنا إليها إلا باتباع النبي ﷺ وطاعته .

وهذا النوع من التوسل فرض على كل أحد[٣]، ويكون مراد التوسل به أحد أمرين :

---

(١) انظر (ص ١٦٤ الى ٢٣٠) .

(٢) قاعدة جليلة (ص ١٨٠) .

(٣) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ص ١٥٩) .

١ـ أن يتوسل بذلك إلى إجابة الدعاء واعطاء السؤال ، كحديث الثلاثة الذين أووا إلى الغار ، فإنهم توسلوا بأعمالهم الصالحة ليجيب دعاءهم ويفرج كربتهم ، وسيأتي بيان ذلك .

٢ـ التوسل بذلك إلى حصول ثواب الله وجنته ورضوانه ، فإن الأعمال الصالحة التي أمر بها الرسول ﷺ هي الوسيلة التامة إلى سعادة الدنيا والآخرة [(١)].

والأعمال التي يتوسل ويتقرب بها إلى الله أنواع منها :

١ـ التوسل إلى الله تعالى بالإيمان به وبرسوله ﷺ وبكل ما أمر به :

مثال ذلك ما حكاه الله سبحانه عن المؤمنين في قوله تعالى ﴿ إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴾ [(٢)] .

وقوله تعالى ﴿ رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴾ [(٣)]فهم قدموا ذكر الإيمان قبل الدعاء .

وكذا التوسل بالإيمان بالرسول ﷺ كأن يقول العبد اللهم إني أسألك بإيماني برسولك محمد ﷺ أن تعطيني كذا ، أو تدفع عني كذا .

وكذا التوسل باتباعه وطاعته ﷺ فيما جاء به من ربه عز وجل .

وهذا التوسل بالإيمان به وطاعته فرض على كل أحد في كل حال باطنًا وظاهرا ، في حياة رسول الله ﷺ وبعد موته ، في مشهده ومغيبة ، ولا يسقط التوسل بالإيمان به وبطاعته عن أحد من الخلق في حال من الأحوال .

---

(١) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ص ٢٤٠ ، ٢٤١) .

(٢) الآية (١٠٩) من سورة المؤمنون .

(٣) الآية (١٩٣) من سورة آل عمران .

بعد قيام الحجة عليه - ولا بعذر من الأعذار ، ولا طريق إلى كرامة الله ورحمته والنجاة من هوانه وعذابه إلا التوسل بالإيمان به وبطاعته [١] .

فإذا توسلنا إلى الله بإيماننا بنبينا ومحبته وموالاته واتباع سنته فهو من أعظم الوسائل .

فالأعمال الصالحة سبب لثواب الله لنا ، فإذا توسلنا إلى الله بالأعمال الصالحة كنا متوسلين إليه بوسيلة كما قال تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة ﴾ فالوسيلة هي الأعمال الصالحة

أما سؤال الله بمجرد ذات النبي فغير مشروع ، لأننا إذا توسلنا إلى الله بنفس ذاته لم يكن في نفس ذاته سبب يقتضى إجابة دعائنا ولهذا لم يكن هذا منقوّلا عن النبي ﷺ نقلا صحيحًا ولا متواترًا ولا مشهورًا عن السلف .

فنحن إنما ننتفع باتباعنا له ومحبتنا له ، وهو له عند الله من الدرجة والمنزلة أمر يعود نفعه إليه ، فالتوسل به من غير متابعة له في الأعمال لا يجوز أن يكون وسيلة [٢] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « ولا يتوسل إلى الله بمجرد ذات أحد من خلقه من غير دعاء من المتوسل به ولا طاعة من المتوسل » .

والداعي إنما ينتفع من وجهين :

إما بدعاء الرسول له . أو بإيمان الداعى به وطاعته ومحبته .

فأما إذا كان الرسول ﷺ لم يدع له ، وهو لم يؤمن به ، لم ينتفع بالرسول ﷺ .فأبو طالب مع كفره لما كان يحوط الرسول ويمنعه شفع فيه حتى خفف

---

(١) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ص ٣ - ٤) .

(٢) الرد على البكرى (ص ٤٠) بتصرف .

عنه العذاب ، وقد كان في غمرة من النار ، فلما شفع فيه صار في ضحضاح من النار ، وفي رجليه نعلان من النار يغلى منهما دماغه ، ولولاه لكان في الدرك الأسفل من النار هكذا رواه مسلم في صحيحه [١] فانتفع به مع كفره في تخفيفه عذابه بأن شفع فيه .

والإيمان به نافع لمن آمن وإن لم تحصل معه شفاعة .

فهذان السببان هما اللذان ينفعان العبد من سيد الخلق ﷺ .

وأما مجرد توسل العبد بذاته أو إقسامه به بدون هذين السببين فلا ينفعه أصلا » [٢] .

فالوسيلة بين العباد وبين ربهم عز وجل هي الإيمان بالرسل وطاعتهم قال تعالى : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُولَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم ﴾ [٣] وقال تعالى ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴾ [٤] فاللّٰه تعالى يحب أن نتوسل إليه بالإيمان والعمل والصلاة والسلام على نبيه ﷺ ومحبته وطاعته وموالاته .

٢- التوسل إلى اللّٰه بعبادته وطاعته :

فالتوسل إلى اللّٰه بعبادته وطاعته من أعظم القربات التي يحبها اللّٰه ويرضاها من عبده ويثيبه عليها .

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب شفاعة النبي ﷺ لأبي طالب والتخفيف عنه بسببه (١ / ١٣٤ - ١٣٥) .

(٢) الرد على البكري (ص ٦١) .

(٣) الآية (٦٩) من سورة النساء .

(٤) الآية (٢٣) من سورة الجن .

ففي الحديث القدسى عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله قال : من عادىٰ لي وليًا فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه ، وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشى بها وإن سألني لأعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذنه » . الحديث [(١)] .

فيستفاد منه : أن أداء الفرائض أحب الأعمال إلى الله ، وأن العبد إذا أدى الفرائض وداوم على اتيان النوافل من صلاة وصيام وغيرهما أفضى به ذلك إلى محبة الله تعالى ولا يكون التقرب بالنوافل إلا بعد أداء الفرائض .

فالتوسل إلى الله بعمل صالح يفعله العبد خالصًا لله تعالى ، من أنواع التوسل المشروع .

وذلك كما في قصة أصحاب الغار كما يرويها عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال « بينما ثلاثة نفر يتمشون أخذهم المطر فأووا إلى غار في جبل ، فانحطت على فم غارهم صخرة من الجبل ، فانطبقت عليهم ، فقال بعضهم لبعض انظروا أعمالا عملتموها صالحة لله ، فادعوا الله تعالى بها لعل الله يفرجها عنكم .

فقال أحدهم : اللهم إنه كان لى والدان شيخان كبيران ، وامرأتى ولى صبية صغار أرعى عليهم فإذا أرحت عليهم حلبت فبدأت بوالديّ فسقيتهما قبل بني

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الرقاق ، باب التواضع .
انظر : فتح الباري (١١ / ٣٤٠ ، ٣٤١) ح ٦٥٠٢ .

وأنه نأى بي ذات يوم الشجر ، فلم آت حتى أمسيت ، فوجدتهما قد ناما فحلبت كما كنت أحلب ، فجئت بالحلاب فقمت عند رؤسهما أكره أن أوقظهما من نومهما ، وأكره أن أسقى الصبية قبلهما ، والصبية يتضاغون عند قدمي فلم يزل ذلك دأبي ودأبهم حتى طلع الفجر ، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فأفرج لنا منها فرجة نرى منها السماء .

ففرج اللّٰه منها فرجة فرأوا السماء .

وقال الآخر : اللهم إنه كانت لى ابنة عم أحببتها كأشد ما يحب الرجال النساء وطلبت إليها نفسها فأبت حتى آتيها بمائة دينار فتعبت حتى جمعت مائة دينار فجئتها بها ، فلما وقعت بين رجليها قالت يا عبد اللّٰه اتق اللّٰه ولا تفتح الخاتم إلا بحقه فقمت عنها فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج لنا منها فرجة ففرج لهم .

وقال الآخر : اللهم إني كنت استأجرت أجيرًا بفرق أرز فلما قضى عمله ، قال أعطني حقي فعرضت عليه فرقه فرغب عنه ، فلم أزل أزرعه حتى جمعت منه بقرا ورعاءها ، فجاءني فقال : اتق اللّٰه ولا تظلمني حقي فقلت اذهب إلى تلك البقر ورعائها فخذها ، فقال : اتق اللّٰه ولا تستهزئ بى ، فقلت : إني لا أستهزئ بك خذ ذلك البقر ورعاءها فأخذه فذهب به ، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج لنا ما بقى ففرج اللّٰه ما بقى »[1] فهؤلاء الثلاثة سألوا اللّٰه وتوسلوا إليه بأعمال البر .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الأدب ، باب إجابة دعاء من بر والدية .

انظر فتح الباري (١٠ / ٤٠٤) . وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الرقاق ، باب قصة أصحاب الغار الثلاثة والتوسل بصالح الأعمال (٨ / ٨٩) واللفظ له .

٣ـ التوسل بالاستغفار والتسبيح والدعاء :

وهذا من أفضل ما يتوسل به العبد إلى ربه فقد اثني اللّٰه على المستغفرين من ذنوبهم التائبين إليه كما في قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ ﴾[١] .

وكان ﷺ يكثر من الاستغفار وحث أمته عليه ، وأرشدهم إلى ملازمته لمافيه من إظهار العبودية للّٰه والافتقار إليه والذل والخشوع له ولا شك أن حاجة الأمة إلى الاستغفار والتوبة أشد من احتياجة ﷺ لذلك .

فقد قال ﷺ : « يا أيها الناس توبوا إلى اللّٰه فإني أتوب في اليوم إليه مائة مرة »[٢] .

وعنه ﷺ أنه قال : « إنه ليغان على قلبى وإني لاستغفر اللّٰه في اليوم مائة مرة »[٣] . والغين هو ما يتغشى القلب[٤] .

وأما الدعاء فإنه أقوى وسائل التقرب إلى اللّٰه وأفضل ما يتقرب به العبد إلى مولاه فالدعاء مخ العبادة .

قال تعالى : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾[٥] .

وقال تعالى ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا

---

(١) الآية (١٣٥) من سورة آل عمران .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه (٨ / ٧٢ ، ٧٣) .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه (٨ / ٧٢ ، ٧٣) .

(٤) شرح النووي (١٧ / ٢٣) .

(٥) الآية (٦٠) من سورة غافر .

دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾[١] .

والآيات القرآنية التي فيها الأمر بالتوجه إلى اللّٰه وحده بالدعاء كثيرة جدًّا .

ويدخل في هذا النوع التوسل إلى اللّٰه بدعائه باسم من أسمائه الحسني أو بصفة من صفاته العليا : كأن يقول المسلم في دعائه : اللهم إني أسألك بأنك أنت الرحمن الرحيم ، اللطيف الخبير أن تعافيني .

أو يقول : أسألك برحمتك التي وسعت كل شيء أن ترحمني وتغفر لى .

ومثله قول القائل : اللهم إني أسألك بحبك لمحمد ﷺ .. فإن الحب من صفاته تعالى .

قال اللّٰه عز وجل ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَاءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾[٢]والمعني ادعوا اللّٰه متوسلين إليه بأسمائه الحسني ، ولاشك أن صفاته العليا داخلة في هذا الطلب لأن أسمائه الحسني صفات له ، خصت به تبارك وتعالى [٣] .

ومن ذلك ما ذكره تعالى من دعاء سليمان عليه السلام حيث قال ﴿ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّالِحِينَ ﴾[٤] .

وأما النوع الثاني : من أنواع التوسل المشروع فهو : التوسل بدعاء الأحياء الصالحين للغير .

كأن يطلب العبد ممن يظن فيه الصلاح والتقوى والعلم بالكتاب والسنة أن يدعو له لما يريده من أمور الدنيا والآخرة .

(١) الآية (١٨٦) من سورة البقرة .

(٢) الآية (١٨٠) من سورة الأعراف .

(٣) كتاب التوسل أنواعه وأحكامه (٢٩ ، ٣٠) .

(٤) الآية (١٩) من سورة النمل .

فهذا النوع من أنواع التوسل اجازته الشريعة المطهرة وأرشدت إليه .

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رجلا دخل يوم الجمعة من باب كان وجاه المنبر ورسول الله ﷺ يخطب ، فاستقبل رسول الله ﷺ قائما فقال : يارسول الله هلكت المواشى وانقطعت السبل فادع الله يغيثنا .

قال : فرفع رسول الله ﷺ يديه فقال : « اللهم اسقنا ، اللهم اسقنا » .

قال أنس : ولا والله ما نرى في السماء من سحاب ولا قزعة ولا شيئًا ، وما بيننا وبين سلع[1]من بيت ولا دار . قال : فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس فلما توسطت السماء انتشرت ثم أمطرت . قال والله ما رأينا الشمس سبتا .

ثم دخل رجل من ذلك الباب في الجمعة المقبلة ورسول الله ﷺ قائم يخطب فاستقبله قائما فقال : يارسول الله ، هلكت الأموال وانقطعت السبل فادع الله يمسكها . قال : فرفع رسول الله ﷺ يديه ثم قال : اللهم حوالينا ولا علينا ، اللهم على الآكام والظراب والأودية ومنابت الشجر

قال : فانقطعت ، وخرجنا نمشى في الشمس »[2] .

وعن أنس رضي الله عنه « أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان اذا قحطوا استقى بالعباس بن عبد المطلب ، فقال : اللهم إنا كنا نتوسل اليك بنبينا فتسقينا ، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا .

قال : فيسقون »[3] .

---

(١) سلع (بالفتح ثم السكون آخره عين مهملة) جبل معروف بالمدينة . وفاء الوفاء (ص ١٢٣٥) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الاستسقاء ، باب الاستسقاء في المسجد الجامع .
انظر : فتح الباري (٢ / ٥٠١) ح ١٠١٣

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الاستسقاء ، باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا
انظر فتح الباري (٢ / ٤٩٤) ح ١٠١٠

وهكذا يتضح لنا جليا أن التوسل المشروع الذي دلت عليه نصوص الكتاب والسنة ، وجرى عليه عمل السلف الصالح وأجمع عليه المسلمون هو :

١ ـ التوسل إلى الله بالأعمال الصالحة وعلى رأسها :

أ ـ التوسل بالإيمان بالله وبرسوله وبكل ما أمر به .

ب ـ التوسل إلى الله بعبادته وطاعته .

ج ـ التوسل إلى الله بالاستغفار والتسبيح والدعاء .

٢ ـ التوسل بدعاء الأحياء الصالحين للغير .

وأما ماعدا هذه الأنواع فهي توسلات بدعية ، وذلك كالتوسل بذوات المخلوقين ، أو جاههم فيما لا يقدر عليه إلا الله ، وسواء كانوا أحياء أم أمواتًا ، وسواء كانوا أنبياء أم صالحين أم كانوا من عامة المؤمنين والذي نعتقده وندين الله به أن هذا غير جائز ولا مشروع ، لأنه لم يرد فيه دليل تقوم به الحجة .

ولا يجوز للمسلم أن يتقرب إلى الله ويتوسل إليه بغير ما شرعه في كتابه أو على لسان رسوله .

وفيما شرعه الله ورسوله الغنية عن غيره من التوسلات البدعية والشركية .

○ ○ ○ ○

المطلب الثاني

الكلام على مسالة الشفاعة

أ ـ أما الشفاعة فمعناها في اللغة :

قال صاحب اللسان : « شفع لى يشفع ، شفاعة ، وتشفع : طلب .
وروى عن المبرد وثعلب[1] أنهما قالا في قوله تعالى ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾[2] قالا : الشفاعة الدعاء ههنا .

والشفاعة كلام الشفيع للملك في حاجة يسألها لغيره .

وشفع إليه : في معني طلب إليه .

والشافع : الطالب لغيره يتشفع به إلى المطلوب .

يقال : تشفعت بفلان إلى فلان فشفعني فيه .

واسم الطالب : شفيع .

واستشفعته إلى فلان : أى سألته أن يشفع لي إليه .

وتشفعت إليه في فلان : فشفعني فيه تشفيعا »[3] .

ويتضح من النقل السابق ما يلى :

١ ـ أن معني الشفاعة في اللغة : الدعاء والطلب .

---

(١) وأسمه أحمد بن يحيى بن زيد الشيبانى بالولاء ، أبو العباس المعروف بثعلب ، إمام الكوفيين في النحو واللغة ، كان راوية للشعر ، ثقة حجة ، مات ببغداد سنة ٢٩١ هـ .
الاعلام (١ / ٢٦٧) .

(٢) الآية (٢٥٥) من سورة البقرة .

(٣) لسان العرب (٨ / ١٨٤) مادة شفع .

٢. أن الشفاعة لها أركان أربعة :

١ ـ الطلب . ٢ ـ المشفع فيه أى صاحب الحاجة .

٣ ـ الشافع أو الشفيع . ٤ ـ المشفوع إليه .

وهذه الأركان الأربعة مذكورة في كلام صاحب اللسان حيث قال : « الشفاعة ، كلام الشفيع للملك في حاجة يسألها للغير » فهناك :

١ ـ شفيع . ٢ ـ ملك . ٣ ـ حاجة . ٤ ـ وغير .

٣ ـ أن الشفاعة في لغة العرب لابد فيها من طلب الشافع للسائل ، فيطلب له ما يطلب من المسئول المدعو المشفوع إليه .

قال صاحب اللسان : « الشافع الطالب لغيره ، واسم الطالب : شفيع . وهذا لا يكون إلا بوجود الشافع وحضوره . وأما الاستشفاع بمن لم يشفع للسائل ولا طلب له حاجة ليس هذا استشفاعا في اللغة .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « كثير من العامة يقولون لمن توسل في دعائه بنبي أو غيره : قد تشفع به . من غير أن يكون المتشفع به شفع له ولا دعا له ، بل قد يكون غائبا لم يسمع كلام ولا شفع له . وهذا ليس هو لغة النبي ﷺ وأصحابه وعلماء الأمة بل ولا هو لغة العرب . فان الاستشفاع : طلب الشفاعة . والشافع : هو الذي يشفع للسائل فيطلب له ما يطلب من المسئول المدعو المشفوع إليه . وأما الاستشفاع بمن لم يشفع للسائل ولا طلب له حاجة بل وقد لا يعلم بسؤاله ، فليس هذا استشفاعا لا في اللغة ولا في كلام من يدرى ما يقول . نعم هذا سؤال به ، ودعاؤه ، ليس هو استشفاعا به »[1] .

---

(١) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ص ١٥١ - ١٥٢) .

فالشفاعة في لغة العرب ولغة النبي ﷺ وأصحابه رضوان الله عليهم ، لابد فيها من « طلب الشافع » وهذا لا يكون إلا بوجوده وحضوره .

وأما توسل الشخص في دعائه بنبي أو غيره ، وتسمية بعض المبتدعة لهذا استشفاعا - أى سؤالا بالشافع ، وصاروا يقولون : استشفع به فيشفعك ، أى يجيب سؤالك به ، فهذا من تغيير معني الشفاعة في اللغة والشرع ، وأصحابه أرادوا أن يغيروا اللغة كما غيروا الشريعة .

ب - معني الشفاعة في خطاب الشارع :

معني الشفاعة في استعمال الشارع هو الدعاء كما ورد في وضع اللغة فمما ورد في ذلك ما رواه أبو هريرة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول في صلاته على الجنازة : « اللهم أنت ربها وأنت خلقها وأنت هديتها للإسلام ، وأنت قبضت روحها ، وأنت أعلم بسرها وعلانيتها جئنا شفعاء فاغفر لها »[١] .

وعن أنس وعائشة عن النبي ﷺ قال : « ما من ميت يصلى عليه أمة من المسلمين يبلغون مائة كلهم يشفعون له الا شفعوا فيه »[٢] .

هذا وقد جاءت النصوص الشرعية بذكر نوعين من الشفاعة :

النوع الأول : الشفاعة المنفية .

النوع الثاني : الشفاعة المثبتة .

أما النوع الأول : أى الشفاعة المنفية

فإنه لما كان المشركون في قديم الزمان وحديثه إنما وقعوا في الشرك لتعلقهم

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٢ / ٣٤٥ ، ٣٦٣) .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الجنائز ، باب من صلى عليه مائة شفعوا فيه : (٣ / ٥٢ ، ٥٣) .

بأذيال الشفاعة كما قال تعالى ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾(١) .

وقال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾(٢) .

فقد نفي اللّٰه هذه الشفاعة ونزه نفسه عنها ، ونفي أن يكون للخلق من دونه من ولي أو شفيع كما قال تعالى ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوا مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ * قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾(٣) .

وقال تعالى : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾(٤)

وهذه الشفاعة المنفية هي الشفاعة المعروفة عند الناس عند الاطلاق وهي أن يشفع الشفيع إلى غيره ابتداء فيقبل شفاعته »(٥) .

وأصحاب هذه الشفاعة المنفية جعلوا وسائط بين اللّٰه وبين خلقه ـ كالحجاب الذي بين الملك ورعيته ـ بحيث يكون أولئك الوسائط هم الذين يرفعون إلى اللّٰه حوائج خلقه ، فهم يعتقدون أن اللّٰه إنما يهدى عباده ويرزقهم بتوسطهم ، فالخلق يسألونهم وهم يسألون اللّٰه كما أن الوسائط عند الملوك : يسألون الملوك

---

(١) الآية (١٨) من سورة يونس .

(٢) الآية (٣) من سورة الزمر .

(٣) الآيتان (٤٣ ، ٤٤) من سورة الزمر .

(٤) الآية (٤) من سورة السجدة .

(٥) مجموع الفتاوى (١ / ١١٨) .

حوائج الناس ، لقربهم منهم ، والناس يسألونهم أدبًا منهم أن يباشروا سؤال الملك أو لأن طلبه من الوسائط أنفع لهم من طلبهم من الملك لكونهم أقرب إلى الملك من الطالب للحوائج .

فمن أثبتهم وسائط على هذا الوجه : فهو مشرك ، يجب أن يستتاب فإن تاب وإلا قتل .

وهؤلاء مشبهون لله ، شبهوا المخلوق بالخالق ، وجعلوا لله أندادًا وفي القرآن الكريم من الرد على هؤلاء ما لا يتسع المجال لذكره ههنا .

ومعلوم أن الوسائط التي بين الملوك وبين الناس يكونون على أحد وجوه ثلاثة :

١ ـ إما لإخبارهم من أحوال الناس مما لا يعرفونه .

أو أن يكون الملك عاجزا عن تدبير رعيته ودفع أعدائه إلا بأعوان يعينونه ، فلابد له من أنصار وأعوان لذله وعجزه .

٣ ـ وإما أن يكون الملك ليس مريدا لنفع رعيته ، والإحسان إليهم ورحمتهم إلا بمحرك يحركه من خارج .

فإذا خاطب الملك من ينصحه ، ويعظمه ، أو من يدل عليه ، بحيث يكون يرجوه أو يخافه : تحركت إرادة الملك وهمته في قضاء حوائج رعيته إما لما حصل في قلبه من كلام الناصح الواعظ المشير ، وإما لما يحصل من الرغبة أو الرهبة من كلام المدل عليه .

وكل هذه الأمور ممتنعة في حق الله تعالى .

فمن قال إن الله لا يعلم أحوال عباده حتى يخبره بذلك بعض الملائكة أو الأنبياء أو غيرهم فهو كافر .

بل هو سبحانه يعلم السر وأخفي ، ولا تخفىعليه خافية في الأرض ولا في

السماء وهو السميع البصير .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَاءِ ﴾(١)

وقال تعالى : ﴿ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَاءِ ﴾(٢).

والله سبحانه ليس له ظهير ، ولا ولى من الذل .

قال تعالى ﴿ قُلِ ٱدْعُوا ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَاتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا من شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴾(٣)

وقال تعالى ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴾(٤) .

وكل ما في الوجود من الأسباب فهو خالقه ، وربه ومليكه ، فهو الغني عن كل ما سواه ، وكل ما سواه فقير إليه ، بخلاف الملوك المحتاجين إلى ظهرائهم وهم في الحقيقة شركاؤهم في الملك .

والله تعالى ليس له شريك في الملك ، بل لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير .

وهو سبحانه رب كل شيء ومليكه ، وهو أرحم بعباده من الوالدة بولدها ، وكل الأشياء إنما تكون بمشيئته فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن .

وهو سبحانه لا يرجو أحدا ولا يخافه ، ولا يحتاج إلى أحد بل هو الغني قال تعالى : ﴿ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَاتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ

---

(١) الآية (٥) من سورة آل عمران .

(٢) الآية (٣٨) من سورة إبراهيم .

(٣) الآية (٢٢) من سورة سبأ .

(٤) الآية (١١١) من سورة الإسراء .

مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَاءَ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾[١] .

فالمشركون يتخذون شفعاء من جنس ما يعهدونه من الشفاعة عند ملوكهم .

قال تعالى ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[٢] .

وقال تعالى ﴿ فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةً بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾[٣] .

وأخبر عن المشركين أنهم قالوا ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰ ﴾[٤][٥]

فالمشرك يقصد فيما يشرك به :

١ ـ أن يشفع له عند الله .

٢ ـ أن يتقرب بعبادته إلى الله .

وهذا بعينه هو ما يوجد عند عباد القبور نعوذ بالله من حالهم .

وأما الشفاعة المثبتة : فهي الشفاعة الشرعية المخالفة لما عليه المشركون .

وهي التي أخبر الله تعالى أنها لا تنفع إلا بشرطين :

الأول : إذنه سبحانه للشافع أن يشفع .

الثاني : رضاه سبحانه عن المشفوع له .

---

(١) الآية (٦٦) من سورة يونس .

(٢) الآية (١٨) من سورة يونس .

(٣) الآية (٢٨) من سورة الأحقاف .

(٤) الآية (٣) من سورة الزمر .

(٥) مجموع الفتاوى (١ / ١٢٦ - ١٢٩) بتصرف .

قال تعالى : ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾[١] .

وقال تعالى : ﴿ لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴾[٢] .

وقال تعالى : ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ ﴾[٣] .

وقال تعالى : ﴿ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوْلًا ﴾[٤] .

وهذه الشفاعة منها ما هو في الدنيا . ومنها ما هو في يوم القيامة .

والشفاعة كما سبق وأن ذكرنا هي : الدعاء .

ولا ريب أن دعاء الخلق بعضهم لبعض نافع والله قد أمر بذلك .

فمشروع أن يدعو الأعلى للأدني والأدني للأعلى .

ولقد كان الصحابة يستشفعون بالنبي ﷺ في الاستسقاء ويطلبون منه الدعاء ، بل وكذلك بعده استسقى عمر والمسلمون بالعباس عمه ، وهذا من الشفاعة في الدنيا .

وفي يوم القيامة يطلب الناس الشفاعة من الأنبياء ومحمد ﷺ وهو سيد الشفعاء ، وله شفاعات يختص بها .

ولكن لابد في هذه الشفاعة من الشرطين السابقين أى إذن الله للشافع ورضاه عن المشفوع له .

---

(١) الآية (٢٥٥) من سورة البقرة .

(٢) الآية (٢٦) من سورة النجم .

(٣) الآية (٢٨) من سورة الأنبياء .

(٤) الآية (١٠٩) من سورة طه .

فالداعى الشافع ليس له أن يدعو ويشفع إلا بإذن اللّٰه في ذلك ، فلا يشفع شفاعة نهي عنها : كالشفاعة للمشركين والدعاء لهم بالمغفرة قال تعالى ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ ٱلْجَحِيمِ ﴾(١) .

وقال تعالى في حق المنافقين ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴾(٢) .

وقال تعالى ﴿ ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾(٣) .

وشرط الرضى غير متحقق في المشفوع له مع أن الشافع هنا هو خير الخلق وأعظمهم قدرا عند اللّٰه تعالى . وقد قال تعالى ﴿ ٱدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾(٤) أى المعتدين في الدعاء .

ومن الاعتداء في الدعاء : أن يسأل العبد ما لم يكن الرب ليفعله مثل : أن يسأله منازل الأنبياء وليس منهم ، أو مغفرة المشركين ونحو ذلك ، أو يسأله ما فيه معصية اللّٰه كإعانته على الكفر والفسوق والعصيان .

فالشفيع الذي أذن اللّٰه له في الشفاعة : شفاعته في الدعاء الذي ليس فيه عدوان .

والأنبياء لو سأل أحدهم دعاء لا يصلح له لا يقر عليه ، فإنهم معصومون أن

---

(١) الآية (١١٣) من سورة التوبة .

(٢) الآية (٦) من سورة المنافقون .

(٣) الآية (٨٠) من سورة التوبة .

(٤) الآية (٥٥) من سورة الأعراف .

يقروا على ذلك .

كما قال نوح ﴿ إِنَّ ٱبْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَاكِمِينَ ﴾[1] قال تعالى ﴿ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَاهِلِينَ ﴾[2] .

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ ٱلْخَاسِرِينَ ﴾[3] .

وكل داع شافع ، دعا اللّه سبحانه وشفع : فلا يكون دعاؤه وشفاعته إلا بقضاء اللّه وقدره ومشيئته ، فهو الذي يجيب الدعاء من جملة الأسباب التي قدرها اللّه سبحانه وتعالى .

وإذا كان كذلك : فالالتفات إلى الأسباب بالكلية شرك في التوحيد ومحو الأسباب أن تكون أسبابًا نقص في العقل .

والإعراض عن الأسباب بالكلية قدح في الشرع ، بل العبد يجب أن يكون توكله ودعاؤه وسؤاله ورغبته إلى اللّه سبحانه وتعالى واللّه يقدر له من الأسباب من دعاء الخلق وغيرهم ـ ما شاء .

فالدعاء للغير ، ينتفع به الداعي ، والمدعو له ، وإن كان الداعي دون المدعو في الدرجة والمنزلة .

فدعاء المؤمن لأخيه ينتفع به الداعي والمدعو له .

فمن قال لغيره أدع لي وقصد انتفاعهما جميعا بذلك كان هو وأخوه

---

(١) الآية (٤٥) من سورة هود .

(٢) الآية (٤٦) من سورة هود .

(٣) الآية (٤٧) من سورة هود .

متعاونين على البر والتقوى . فهو نبه المسئول وأشار عليه بما ينفعهما ، بمنزلة من يأمر غيره ببر وتقوى ، فيثاب المأمور على فعله ، والآمر أيضا يثاب مثل ثوابه لكونه دعا إليه . وقد ثبت عنه ﷺ أنه قال : « دعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة ، عند رأسه ملك موكل كلما دعا لأخيه قال الملك الموكل به آمين ولك بمثل »[1] .

وعند النظر في نصوص الشرع الواردة في شفاعة النبي ﷺ نجد أن هناك شفاعة أخروية له في يوم القيامة ، وشفاعة دنيوية في حياته .

أما الشفاعة الأخروية : فقد أجمع المسلمون على أن النبي ﷺ يشفع للخلق يوم القيامة بعد أن يسأله الناس ذلك ، وبعد أن يأذن الله له في الشفاعة .

ثم إن أهل السنة والجماعة متفقون على ما اتفق عليه الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ، واستفاضت به السنن من أنه ﷺ يشفع لأهل الكبائر من أمته ويشفع لعموم الخلق .

فله ﷺ شفاعات يختص بها لا يشركه فيها أحد ، وشفاعات فيها وغيره من الأنبياء والصالحين سواء ، ولكن ماله فيها أفضل مما لغيره ، فإنه ﷺ أفضل الخلق وأكرمهم على ربه عز وجل ، وله من الفضائل التي ميزه الله بها على سائر النبيين ومن ذلك المقام المحمود الذي يغبطه به الأولون والآخرون ، وأحاديث الشفاعة كثيرة متواترة منها في الصحيح أحاديث متعددة ، وفي السنن والمسانيد مما يكثر عدده .

أما الشفاعة الدنيوية (التي كانت في حياته) ، فقد أجمع أهل العلم على أن

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب فضل الدعاء للمسلمين بظهر الغيب (٨ / ٨٦) .

الصحابة كانوا يستشفعون به ويتوسلون به في حياته بحضرته . كما ثبت في أحاديث الاستسقاء ، وهذا الاستشفاع هو طلب للدعاء منه ، فإنه كان يدعو للمستشفع والناس يدعون معه ، كما جاء في الحديث الثابت في الاستسقاء أن المسلمين لما أجدبوا على عهد النبي ﷺ دخل عليه أعرابي فقال : يارسول الله هلكت الأموال ، وانقطعت السبل ، فادع الله يغيثنا .

فرفع النبي ﷺ يديه وقال : « اللهم أغثنا اللهم أغثنا اللهم أغثنا » [(١)] .

فهذا يبين أن معني الاستشفاع بالنبي ﷺ هو استشفاع بدعائه وشفاعته .

وهذا ما فهمه الصحابة وعملوا به بعد وفاة النبي ﷺ فعمر بن الخطاب استسقى بالعباس بن عبد المطلب وقال « اللهم انا كنا اذا أجدبنا نتوسل اليك بنبينا فتسقينا ، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا [(٢)]. وكذلك معاوية بن أبي سفيان ـ لما أجدب الناس بالشام ـ استسقى بيزيد بن الأسود الجرشى [(٣)]فقال : « اللهم انا نستشفع ونتوسل بخيارنا ، يايزيد ارفع يديك « فرفع يديه ودعا ، ودعا الناس حتى سقوا [(٤)] .

فهم لم يستسقوا ولم يتوسلوا ولم يستشفعوا في هذه الحال بالنبي ﷺ لا

---

(١) تقدم تخريجه ص ٧٣٧

(٢) تقدم تخريجه ص ٧٣٧

(٣) يزيد بن الاسود الجرشى أبو الأسود ، من سادة التابعين أسلم في حياة النبي ﷺ ، وكان من العباد الخشن وقصته مع معاوية تدل على فضله وصلاحه ، توفي سنة ٧١ هـ
الإصابة (٣ / ٦٣٤) وسير أعلام النبلاء (٤ / ١٣٦ - ١٣٧) .

(٤) أورده ابن حجر في الإصابة (٣ / ٦٣٤) وقال : « أخرجه أبو زرعة الدمشقي ويعقوب بن سفيان في تاريخيهما بسند صحيح » وأورده الذهبي في سير أعلام النبلاء (٤ / ١٣٧) .
وابن كثير في البداية (٨ / ٣٢٤) .

عند قبره ولا غير قبره ، بل عدلوا إلى البدل كالعباس وكيزيد .

فجعلوا هذا بدلاً عن ذلك لما تعذر أن يتوسلوا به على الوجه المشروع الذي كانوا يفعلونه .

وقد كان من الممكن أن يأتوا إلى قبره فيتوسلوا ويستشفعوا به ويقولوا في دعائهم في الصحراء بالجاه ونحو ذلك من الألفاظ التي تتضمن القسم بالمخلوق على الله عز وجل أو السؤال به ، فيقولون نسألك أو نقسم عليك أو نستشفع عليك أو نستشفع بنبيك أو جاه نبيك ، ونحو ذلك مما يفعله بعض الناس .

ولكنهم لم ينقل عنهم أنهم توسلوا أو استشفعوا بمثل هذه العبارات فهذا يؤكد ويبرهن على أن التوسل بالذات في حضور الشخص أو مغيبة أو بعد موته أمر لم يشرعه لهم الشارع ولم يكن معروفا عندهم .

○ ○ ○ ○

المطلب الثالث

الكلام على مسالة الاستغاثة

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « الاستغاثة : طلب الاغاثة والتخليص من الكربة والشدة . والنبي ﷺ في حياته يجوز أن يستغاث به ، فيطلب منه أن ينصر المظلوم ، ويطعم الجائع ، ويسقى الظمآن ، ويخلص الأسرى ، ويقضى الدين عن المدين ، ويبين الدين ، ويزيح شبهات المعارضين ويجب السائلين ونحو ذلك .

ومعلوم أن نبينا ﷺ أفضل الناس عملًا ، وأعظمهم حرصًا على البر والتقوى ، بل كل خير في الوجود فهو معين عليه بل له مثل أجر كل عامل خير من أمته فإنه هو الذي دعا إلى ذلك « من دعا إلى الهدى كان له مثل أجور من تبعه من غير أن ينقص من أجورهم شيئا »[(١)][(٢)] .

واستغاثة الصحابة به في القحط ، إنما استغاثوا به ليدعو لهم كما يستغيث الناس به يوم القيامة ليشفع لهم .

والاستغاثة بالمخلوق ليدعو للعبد أو ليعينه بما يقدر عليه ليس بممنوع منه .

وإنما الممنوع أن يستغاث به فيما لا يقدر عليه ، وأن يقسم على الله به ولاسيما إذا كان المخلوق ميتًا أو غائبًا فلا يجوز أن يستغاث به فيما يقدر عليه حيا ، ولا فيما لا يقدر عليه .

(وأما قول من يقول إن الاستغاثة به بعد موته ثابتة ثبوتها في حياته فهو كلام

---

(١) تقدم تخريجه ص ٤٤٥ .

(٢) الرد على البكرى (ص ٨٨) بتصرف .

باطل قطعا لأنه يلزم من ذلك أن يطلب منه أن يخرج إلى الغزوات ويقيم الحدود ويعود المريض فاعلا ذلك ببدنه كما كان يفعل ذلك في حياته فهل يقول هذا انسان ؟ أو يحتاج رد هذا الى برهان[١] .

فليس عليه بعد الموت فعل من الأفعال لا واجب ولا مستحب كما ليس ذلك على غيره من الناس ، بل الموت ينتهي به التكليف الثابت في الحياة بإجماع الخلق ، فليس على نبي ولا غيره بعد موته أن يفعل ما كان يؤمر به في حال الحياة من واجب ومستحب .

ولا يستطيع أحد أن ينقل عن أحد من الصحابة ولا من السلف أنهم بعد موته طلبوا منه إغاثةً ولا نصرًا ولا إعانةً ولا استسقوا بقبره ولا استنصروا به كما كانوا يطلبون ذلك منه في حياته »[٢] .

ويفهم من كلام شيخ الإسلام المتقدم أن الاستغاثة بالنبي ﷺ فيها تفصيل .

فهناك استغاثة جائزة مشروعة وهي :

١ ـ إما بالطلب منه في حياته فيما يقدر عليه وهذه لم ينازع فيها أحد .

٢ ـ وإما بالطلب منه في عرصات يوم القيامة أن يشفع لهم وهذه ما دلت عليه النصوص الثابتة .

وهناك استغاثة غير مشروعة بل هي شركية وهي عائدة إلى شيئين :

١ ـ الاستغاثة به بعد موته .

٢ ـ أن يطلب منه مالا يقدر عليه .

وكلا الأمرين يجتمعان فيمن استغاث به بعد موته .

---

(١) الرد على البكرى (ص ٩٠) .

(٢) الرد على البكرى (٩٠ ، ٩١) بتصرف .

ومن تلفظ بهذه العبارة من المبتدعة فهو يريد بها أحد أمرين إما أن يطلب الإغاثة من الرسول نفسه لاعتقاده أن له تصرفا في هذه الأمور وقدرة على تحصيلها وهذا هو اعتقاد كثير من العوام وهو ما يدل عليه استعمال الكلمة في لغة العرب .

وإما أن يكون مراده بهذه العبارة الطلب من الله بواسطة الرسول أي أنه متوسل به إلى الله تعالى وهذا المعني يأباه استعمال العرب لهذه اللفظة .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « ومن ظن أن الباب في التوسل كالباب في الاستغاثة فقد أخطأ فالمستغاث به هو المسئول .

وأما المتوسل به فهو الذي يتسبب به إلى المسئول [١] .

(والفرق واضح بين السؤال بالشخص والاسغاثة به .

وأريد أن أُعرف من أين دخل اللبس على هؤلاء الجهال ، فإن معرفة المرض وسببه يعين على مداواته وعلاجه ، ومن لم يعرف أسباب المقالات وإن كانت باطلة ، لم يتمكن من مداواة أصحابها ، وإزالة شبهاتهم ، فوقع لي أن سبب هذا الضلال والاشتباه عليهم أنهم عرفوا أن يقال سألت الله بكذا كما في الحديث « اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنان »[٢] .

ورأى أن الاستغاثة تتعدى بنفسها كما يتعد السؤال كقوله ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ ﴾[٣] .

وقوله ﴿ فَٱسْتَغَاثَهُ ٱلَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى ٱلَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ ﴾[٤] .

---

(١) الرد على البكرى (٢٦١ ، ٢٦٢) .

(٢) أخرجه النسائي في سننه ، كتاب السهو ، باب الدعاء بعد الذكر (٣ / ٥٢) .

(٣) الآية (٩) من سورة الأنفال .

(٤) الآية (١٥) من سورة القصص .

فظنوا أن قول القائل استغثت بفلان كقوله سألت بفلان .

والمتوسل إلى اللّٰه بغائب أو ميت تارة يقول : أتوسل إليك بفلان ، وتارة يقول أسألك بفلان .

فإذا قيل ذلك بلفظ الاستغاثة فإما أن يقول أستغيثك بفلان ، أو أستغيث إليك بفلان . ومعلوم أن كلا هذين القولين ليس من كلام العرب .

وأصل الشبهة على هذا التقدير ، أنهم لم يفرقوا بين الباء في استغثت به التي يكون المضاف بها مستغاثًا مدعوًا مسؤلا مطلوبًا منه .

فإذا قيل توسلت به ، أو سألت به ، أو توجهت به فهي الاستعانة كما تقول كتبت بالقلم . وهم يقولون استغيثه به من الإغاثة كما يقولون استغثت اللّٰه واستغثت به من الغوث ، فاللّٰه في كلا الموضعين مسؤول مطلوب منه .

وإذا قالوا لمخلوق استغثته واستغثت به من الغوث كان المخلوق مسؤلًا مطلوبًا منه .

وأما إذا قالوا استغثت به من الاغاثة فقد يكون مسؤلًا وقد لا يكون مسؤلًا .

وكذلك استنصرته ، واستنصرت به ، فإن المستنصر يكون مسؤلًا مطلوبًا .

وأما المستنصر به فقد يكون مسؤلًا وقد لا يكون مسؤلًا . فلفظ الاستغاثة في الكتاب والسنة وكلام العرب إنما هو مستعمل بمعني الطلب من المستغاث به .

وقول القائل : استغثت فلانا واستغثت به بمعنى طلبت منه الاغاثة لا بمعنى توسلت به .

فلا يجوز للانسان الاستغاثة بغير اللّٰه فيما لا يقدر عليه إلا اللّٰه) [1] .

فإذا كان معني الاستغاثة هو الطلب منه ، فما الدليل على أن الطلب منه ميتا

---

(١) الرد على البكرى (ص ٨٠ - ٨٢) .

كالطلب منه حيا .

ولا يمكن لأحد أن يذكر دليلا شرعيا على أن سؤال الموتى من الأنبياء والصالحين وغيرهم مشروع . بل الأدلة على تحريم ذلك كثيرة جدًا ، فهذه الاستغاثة وتوجه القلب إلى المسئول بالسؤال والإنابة محظورة على المسلمين لم يشرعها لأحد من أمته رسول رب العالمين .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « سؤال الميت والغائب نبيا كان أو غيره من المحرمات المنكرة باتفاق أئمة المسلمين لم يأمر اللّه به ولا رسوله ولا فعله أحد من الصحابة ولا التابعين لهم باحسان ، ولا استحبه أحد من أئمة المسلمين .

وهذا مما يعلم بالاضطرار من المسلمين أن أحدا منهم ما كان يقول إذا نزلت به نازلة أو عرضت له حاجة لميت ياسيدى فلان أنافي حسبك أو اقضي حاجتي ، كما يقول بعض هؤلاء المشركين لمن يدعونهم من الموتى والغائبين .

ولا أحد من الصحابة رضي اللّه عنهم استغاث بالنبي ﷺ بعد موته ولا بغيره من الأنبياء لا عند قبورهم ، ولا إذا بعدوا عنها ، وقد كانوا يقفون تلك المواقف العظام في مقابلة المشركين في القتال ويشتد البأس بهم ويظنون الظنون ومع هذا لم يستغث أحد منهم بنبي ولاغيره من المخلوقين ولا أقسموا بمخلوق على اللّه أصلا ولا كانوا يقصدون الدعاء عند قبور الأنبياء ولا قبور غير الأنبياء ولا الصلاة عندها .

وقد كره العلماء كمالك وغيره أن يقوم الرجل عند قبر النبي ﷺ يدعو لنفسه وذكروا أن هذا من البدع التي لم يفعلها السلف .

وأما ما يروى عن بعضهم أنه قال : قبر فلان الترياق المجرب ، وقول بعضهم فلان يدعى عند قبره ، وقول بعض الشيوخ لمريده : إذا كانت لك حاجة

فاستغث بي ، أو قال : استغث عند قبري ، ونحو ذلك فإن هذا قد وقع فيه كثير من المتأخرين وأتباعهم .

وكثير من هؤلاء إذا استغاث بالشيخ رأى صورته ، وربما قضى بعض حاجته فيظن أنه الشيخ نفسه ، أو أنه ملك تصور على صورته ، وأن هذا من كراماته فيزداد به شركا وفيه مغالاة ، ولا يعلم أن هذا من جنس ما تفعله الشياطين بعباد الأوثان ، حيث تتراءى أحيانا لمن تعبدها وتخاطبهم ببعض الأمور الغائبة وتقضي لهم بعض الطلبات .

لكن هذه الأمور كلها محدثة في الإسلام بعد القرون الثلاثة المفضلة .

وكذلك المساجد المبنية على القبور التي تسمى المشاهد محدثة في الإسلام والسفر إليها محدث في الإسلام لم يكن شيء من ذلك في القرون الثلاثة المفضلة ، بل ثبت في الصحيح عنه ﷺ أنه قال : « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » يحذر ما فعلوا قالت عائشة رضي الله عنها : « لولا ذلك لأبرز قبره ولكن كره أن يتخذ مسجدا » [1] .

وثبت في الصحيح عنه أنه قال قبل أن يموت بخمس « إن من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد ، فإني أنهاكم عن ذلك » [2] .

ولما أجدبوا في خلافة عمر رضي الله عنه استسقى عمر بالعباس وقال : « اللهم إنا كنا إذا أجدبنا نتوسل إليك نبينا ، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا » [3].

---

(١) تقدم تخريجه ص ٥٨٨

(٢) تقدم تخريجه ص ٥٨٩

(٣) تقدم تخريجه ص ٧٣٧

فلم يذهبوا إلى القبور ، ولا توسلوا بميت ولا غائب ، بل توسلوا بالعباس كما كانوا يتوسلون بالنبي ﷺ ، وكان توسلهم به توسلهم بدعائه كالإمام مع المأموم ، وهذا تعذر بموته .

فأما قول القائل عند ميت من الأنبياء والصالحين : اللهم إني أسألك بفلان أو بجاه فلان أو بحرمة فلان ، فهذا لم ينقل عن النبي ﷺ ولا عن الصحابة ولا عن التابعين ، وقد نص غير واحد من العلماء أنه لا يجوز .

فكيف يقول القائل للميت أنا استغيث بك واستجير بك وأنا في حسبك وسل لي الله ونحو ذلك ، فتبين أن هذا ليس من الأسباب المشروعة ولو قدر أنَّ لما يفعلونه تأثيرا ، فليس هو من الاسباب المشروعة ، ولا له تأثير صالح بل مفسدته راجحة على مصلحته كأمثاله من دعاء غير الله تعالى ، وذلك أن من الناس الذين يستغيثون بغائب ميت من تتمثل له الشياطين ، وربما كانت على صورة ذلك الغائب ، وربما كلمته ، وربما قضت له أحيانا بعض حوائجة كما تفعل شياطين الأصنام بعبادها ، وهذا مما قد جرى لغير واحد فينبغي أن يعرف هذا »[1].

وقال أيضا : « وسؤال الخلق هو في الأصل محرم لأن فيه أنواع الظلم الثلاثة :

١ ـ الظلم في حق الله بالشرك .

٢ ـ الظلم للمسؤول ، فإن فيه إيذاء له .

٣ ـ وظلم الانسان نفسه لما فيه من تعبيدها لغير الله .

وقد أبيح من ذلك من سؤال الحى ما دل الشرع على إباحته وأما سؤال الميت والغائب فلم يأذن الله به قط .

---

(١) الرد على البكرى (ص ٢٣١ - ٢٣٣) بتصرف يسير .

ومن عدل عما أمر به الرسول من عبادة الله وحده والتوكل عليه والرغبة إليه وطاعته فيما أمر به من الإحسان والخير الذي ينتفع به هو وهم وغيره من المخلوقين ، فإن العبد كلما عمل بما أمرت به الرسل كان لهم مثل أجره وحصل له هو من الخير من إجابة دعائه ونفعه وغير ذلك .

فمن عدل عن هذه الرحمة والخير وسعادة الدنيا والآخرة إلى أن يفعل ما لم تأمر به الرسل بل اتخذهم أربابا يسألهم ويستغيث بهم في مماتهم ومغيبهم وغير ذلك كان مثله مثل النصارى فإن المسيح قال لهم : ﴿ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ﴾ [١] وقال ﴿ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَاةِ ﴾ [٢] فلو امتثلوا أمره كانوا مطيعين لرسل الله موحدين لله ، ونالوا بذلك السعادة من الله تعالى في الدنيا والآخرة .

ولكنهم غلوا فيه واتخذوه وأمه الهين من دون الله ، يستغيثون بهم ، وكذبوا بالرسول الذي بشر به ، وحرفوا التوراة التي صدق بها ، فظنوا في ذلك أنهم معظمون للمسيح ، وكان هذا من جهلهم وضلالهم » [٣] .

فخلاصة القول : إن دعاء النبي ﷺ بعد موته وسؤاله والاستغاثة به وغير ذلك مما يفعل عند قبره أو بعيدًا عنه هو من الدين الذي لم يشرعه الله في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ ولا فعله أحد من الصحابة والتابعين لهم بإحسان ولا أمر به إمام من أئمة المسلمين [٤] .

---

(١) الآية (٧٢) من سورة المائدة .

(٢) الآية (٦) من سورة الصف .

(٣) الرد على البكرى (ص ١٠٣) .

(٤) مجموع الفتاوى (١ / ١٥٩) بتصرف .

وأما ما يحتج به أهل البدع الذين يفعلون مثل هذه الأمور ويدعون الناس إليها فشبههم لا تخرج عن أحد الأمور التالية :

١ ـ إما آيات وأحاديث صحيحة يتأولونها ويتعسفون في تفسيرها حتى توافق ما جاءوا به من الباطل مع أنه ليس فيها دلالة على ما يزعمون ويدعون .

٢ ـ وإما أحاديث واهية أو موضوعة لا يحتج بها ولا يعتمد عليها بل هي مخالفة لأهم قواعد هذا الدين المبنية على الآيات والأحاديث الثابتة الصحيحة .

وهذا الصنف هو أغلب بضاعتهم ، بل وأكثر ما يستدلون به عند عرض بدعهم ، إما جهلا منهم بحكم هذه الأحاديث ، أو لعلمهم بأن هذا النوع من الأدلة هو مما يسهل ترويج باطلهم عند العوام الذين لا يستطيعون أن يميزوا بين الصحيح والضعيف من الأحاديث .

٣ ـ وإما بحكايات مكذوبة منسوبة لبعض أئمة هذا الدين الذين لهم في نفوس الناس منزلة ومكانة .

وتلك الحكايات مروية بأسانيد مظلمة عن رجال مجهولين وهي مردودة بما اشتهر عن أولئك الأئمة من أقوال ذكرت في كتبهم أو رويت عن طريق تلاميذهم بأسانيد صحيحة تؤكد زيف تلك الحكايات المنسوبة إليهم وتبرهن على بطلانها .

٤ ـ أو بمنامات لا تخلو من أحد أمرين إما كذب صاحبها أو تلبيس الشياطين عليه ، ويشهد لهذا ويؤكده مخالفتها لقواعد هذا الدين وأصوله .

وياسبحان الله كيف يتصور أن يترك المسلم شرع الله من أجل أحلام ومنامات .

٥ ـ أو أقوال من تكلم في الدين بلا علم ، وليس معه فيما يقول ويدعى دليل

شرعي ، ويجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير .

٦ ـ أو بحجج هي من جهة الرأي والذوق هي أوهن من بيوت العنكبوت ولا يخفي ضعفها وفسادها ومخالفتها لقواعد هذا الدين وأصوله إلا على الجهلة وأصحاب الهوى اتباع كل ناعق الذين لم يستضيئوا بنور العلم .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « وأما أولئك الضلال أشباه المشركين والنصارى فعمدتهم : إما أحاديث ضعيفة أو موضوعة ، أو منقولات عمن لا يحتج بقوله إما أن يكون كذبا عليه وإما أن يكون غلطا منه إذ هي نقل غير مصدق عن قائل غير معصوم ، وان اعتصموا بشيء مما ثبت عن الرسول ﷺ حرفوا الكلم عن مواضعه وتمسكوا بمتشابهه وتركوا محكمه كما يفعل النصارى »[١] .

والمقام هنا لا يتسع لعرض تلك الشبه والرد عليها ، فمن أراد الاستزادة في هذا الشأن فعليه بمظان ذلك في كتب علماء السلف[٢] .

○○○○

---

(١) الرد على البكرى (ص ٣٥٢) .

(٢) انظر :

أ - قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة لشيخ الإسلام ابن تيمية .

ب - الرد على الأخنائي لشيخ الإسلام ابن تيمية .

ج - الرد على البكرى لشيخ الإسلام ابن تيمية .

د - صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان للشيخ محمد بشير السهسوانى .

هـ - الصواعق المرسلة الشهابية للشيخ سليمان بن سحمان .

و - غاية الأمانى في الرد على النبهانى للشيخ محمود شكرى الالوسى .

المبحث الثالث

حكم ما يفعل عند حجرته التي دفن فيها من الأمور المبتدعة

ومن ذلك سؤاله الاستغفار والشفاعة والتوسل به والاستغاثة والسجود إلى حجرته والطواف بها والتمسح بالجدران المحيطة بها والصاق البطن بها .

وجميع هذه الأمور وما شاكلها هي أمور مبتدعة أحدثهابعض المتأخرين ولم يفعلها أحد من سلف الأمة وأئمتها ، بل هي منهي عنها .

وقد سبق بيان حكم دعائه واستغاثته والاستشفاع والتوسل به وأما السجود للحجرة والطواف بها فهو محرم أو كفر .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « وزاد بعض جهال العامة ما هو محرم أو كفر بإجماع المسليمن كالسجود للحجرة والطواف بها وأمثال ذلك » [(١)] .

« فلا يجوز لأحد أن يطوف بحجرة النبي ﷺ ، وليس في مسجد النبي ﷺ شيء يطاف به ، ولا فيه ما يتمسح به ، ولا ما يقبل .

بل ليس في الأرض مكان يطاف به إلا الكعبة ، ومن اعتقد أن الطواف بغيرها مشروع فهو شر ممن يعتقد جواز الصلاة إلى غير الكعبة » [(٢)] .

وقال أيضا : « وقد اتفق المسلمون على أنه لا يشرع الطواف إلا بالبيت المعمور ، فلا يجوز الطواف بصخرة بيت المقدس ولا بحجرة النبي ﷺ ولا غير ذلك . وكذلك اتفق المسلمون على أنه لا يشرع الاستسلام ولا التقبيل إلا للركنين اليمانيين ، فالحجر الأسود يستلم ويقبل ، واليماني يستلم . وقد قيل

---

(١) الرد على البكري (ص ٢١٥) .

(٢) مجموع الفتاوى (٢٧ / ١٠) .

إنه يقبل وهو ضعيف . وأما غير ذلك فلا يشرع استلامه ولا تقبيله ، كجوانب البيت ، والركنين الشاميين ، ومقام إبراهيم ، والصخرة والحجرة النبوية وسائر قبور الأنبياء والصالحين [(١)] .

فالطواف بغير الكعبة لم يشرعه الله بحال [(٢)]ولا يفعل في مسجد النبي ﷺ إلا ما يفعل في سائر المساجد [(٣)]. وكذا الحال بالنسبة للسجود للحجرة ، فلقد نهي النبي ﷺ عن السجود له في حياته .

فعن عبد الله بن أبي أوفي قال : قدم معاذ اليمن أو قال الشام فرأى النصارى تسجد لبطارقتها وأساقفتها فروأ في نفسه أن رسول الله ﷺ أحق أن يعظم فلما قدم قال يارسول الله رأيت النصارى تسجد لبطارقتها وأساقفتها فروأت في نفسى أنك أحق أن تعظم . فقال : « لو كنت آمرا أحدًا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها ... » الحديث .

وفي رواية : « فقلت لأي شيء تصنعون هذا ؟ قالوا هذا كان تحية الأنبياء قبلنا . فقلت : نحن أحق أن نصنع هذا بنبينا .

فقال نبي الله ﷺ إنهم كذبوا على أنبيائهم كما حرفوا كتابهم إن الله عز وجل أبدلنا خيرًا من ذلك السلام تحية أهل الجنة »[(٤)] .

وعن قيس بن سعد [(٥)] قال : أتيت الحيرة فرأيتهم يسجدون لمرزبان لهم

(١) مجموع الفتاوى (٤ / ٥٢١) .

(٢) مجموع الفتاوى (٢٧ / ١١) .

(٣) مجموع الفتاوى (٢٦ / ١٥٠) .

(٤) تقدم تخريجه ص ٦٨٦

(٥) قيس بن سعد بن عبادة الخزرجي الأنصاري ، صحابي جليل ، شهد المشاهد مع رسول الله ﷺ وكان أحد الفضلاء الجلة من دهاة العرب ، مات في آخر خلافة معاوية بالمدينة .الإصابة (٣ / ٢٣٩) .

فقلت : رسول الله أحق أن يسجد له ، قال : فأتيت النبي ﷺ فقلت : إني أتيت الحيرة فرأيتهم يسجدون لمرزبان لهم ، فأنت يارسول الله أحق أن نسجد لك .

قال : « أرأيت لو مررت بقبرى أكنت تسجد له ؟ » قال : قلت : لا .

قال : « فلا تفعلوا ، لو كنت آمرًا أحدًا أن يسجد لأحد لأمرت النساء أن يسجدن لأزواجهن ، لما جعل الله لهم عليهن من الحق »(١) .

فتأمل وجوب الصحابي عندما قال له النبي ﷺ : « أرأيت لو مررت بقبرى أكنت تسجد له ؟ فقال : لا فالسجود حق لله تعالى ، وما كان حقا خالصا لله لم يكن لغيره فيه نصيب (٢) .

ونبينا ﷺ نهي عن الشرك دقة وجله وحقيرة وكبيره فالسجود حق للواحد المعبود خالق السموات والأرض سبحانه وتعالى .

وكذا الحال بالنسبة للتمسح بالجدران المحيطة بالحجرة والصاق البطن بها فليس شيء من هذا من الدين الذي بعث الله به محمدا ﷺ باتفاق المسلمين .

ومن اعتقد أن هذا من الدين وفعله وجب أن ينهي عنه ، ولم يستحب هذا أحد من الأئمة الأربعة ، ولا فعله أحد من الصحابة والتابعين لهم باحسان .

والأجر والثواب إنما يكون على الأعمال الصالحة ، والأعمال الصالحة هي ما أوجبه الشارع أو استحبه ، وهذه الأمور من جملة ما نهي عنه من أسباب الشرك

(١) أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب النكاح ، باب في حق الزوج على المرأة (٢ / ٦٠٤ ، ٦٠٥) ح ٢١٤٠

(٢) مجموع الفتاوى (٢٧ / ٩٣) .

(٣) مجموع الفتاوى (١٠٨ ، ١٠٩) بتصرف .

(٤) تقدم تخريجه ص ٥٩١ .

ودواعيه وأجزائه [٣] وقد قال ﷺ : « اللهم لا تجعل قبرى وثنا يعبد » [٤] وقال ﷺ : « لا تتخذوا قبرى عيدا » [١].

فالتمسح بالقبر ـ أى قبر كان ـ وتقبيله وتمريغ الخد عليه منهي عنه باتفاق المسلمين ، ولو كان ذلك من قبور الأنبياء ؛ ولم يفعل هذا أحد من سلف الأمة وأئمتها بل هذا شرك » [٢] .

فإن كان هذا حكم من تمسح بالقبر فمن تمسح بالجدران المحيطة من باب أولى .

○○○○

---

(١) تقدم تخريجه ص ٥٨٠

(٢) الجامع الفريد (ص ٤٤٤) .

المبحث الرابع

حكم الحلف بالنبي ﷺ

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « تنازع الناس هل يحلف بالنبي ﷺ ؟ مع اتفاقهم بأنه لا يحلف بشيء من المخلوقات المعظمة كالعرش والكرسي والكعبة والملائكة . فذهب جمهور العلماء كمالك والشافعي وأبي حنيفة وأحمد في أحد قوليه إلى أنه لا يحلف بالنبي ﷺ ، ولا تنعقد اليمين ، كما لا يحلف بشيء من المخلوقات ، ولا تجب الكفارة على من حلف بشيء من ذلك وحنث . فقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال : « من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت » (١).

وفي رواية : « ألا من كان حالفا فلا يحلف إلا بالله » (٢). وقال : « من حلف بغير الله فقد أشرك » (٣) وفي رواية : « فقد كفر »

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الأيمان والنذور ، باب لا تحلفوا بآبائكم حديث (٦٦٤٦) انظر فتح الباري (١١ / ٥٣٠) . وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الأيمان ، باب النهي عن الحلف بغير الله تعالى (٥ / ٨٠) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب مناقب الأنصار ، باب أيام الجاهلية .
انظر فتح الباري (٧ / ١٤٨) ح ٣٨٣٦ واللفظ له . أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الأيمان باب النهي عن الحلف بغير الله تعالى (٥ / ٨١) .

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٢ / ٣٤ ، ٨٦ ، ١٢٥) . وأخرجه الترمذي في سننه ، كتاب النذور والأيمان ، باب ما جاء في كراهية الحلف بغير الله وقال : حديث حسن (٤ / ١١٠) ح ١٥٣٥ ، وأخرجه ابو داود في السنن ، كتاب الأيمان والنذور ، باب في كراهة الحلف بالأباء (٣ / ٥٧٠) ح ٣٢٥١ وأخرجه ابن حبان كما في الموارد (ص ٢٨٦) ح ١١٧٧
والحاكم في المستدرك (١ / ١٨) كتاب الأيمان (٤ / ٢٧٩) كتاب الأيمان والنذور وقال : « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، ووافقه الذهبي » .

وعن أحمد بن حنبل رواية : أنه يحلف بالنبي ﷺ لأنه يجب الإيمان به خصوصًا ، ويجب ذكره في الشهادتين والأذان فللايمان به اختصاص لا يشركه فيه غيره ، واختار هذا طائفة من أصحاب الإمام أحمد كالقاضي أبي يعلى [١] وغيره خصوا ذلك بالنبي ﷺ .

وقال ابن عقيل[٢] : بل هذا كونه نبيًا وطرد ذلك في سائر الأنبياء .

والصواب : قول الجمهور وانه لا تنعقد اليمين بمخلوق لا بنبي ولا غيره ، بل ينهى عن الحلف به . وإيجاب الكفارة بالحلف بمخلوق وإن كان نبيًا قول ضعيف في الغاية مخالف للأصول والنصوص . فالذي عليه عامة علماء المسلمين سلفهم وخلفهم أنه لا يحلف بمخلوق لا نبي ولا غير نبي ، ولا ملك من الملائكة ، ولا ملك من الملوك ، ولا شيخ من الشيوخ . والنهي عن ذلك نهي تحريم عند أكثرهم . وروى عن عبد اللّٰه بن مسعود وعبد اللّٰه بن عباس وعبد اللّٰه بن عمر : لئن أحلف باللّٰه كاذبًا أحب إلي من أحلف بغير اللّٰه صادقًا[٣] وذلك لأن الحلف بغير اللّٰه شرك ، والشرك أعظم من الكذب[٤] .

(١) هو : محمد بن الحسين بن محمد بن خلف الفراء ، أبو يعلى عالم عصره في الأصول والفروع وأنواع الفنون ، ومن كبار الحنابلة ولد سنة ٣٨٠ هـ ، وتوفي سنة ٤٥٨ هـ .
الأعلام (٦ / ٩٩ - ١٠٠) .

(٢) هو : على بن عقيل بن محمد بن عقيل البغدادي ، عالم العراق وشيخ الحنابلة ببغداد في وقته ، ولد سنة ٤٣١ هـ وتوفي سنة ٥١٣ هـ . الأعلام (٤ / ٣١٣) .

(٣) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٨ / ٤٦٩) .
وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٤ / ١٧٧) وقال رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح وهو في الطبراني (٩ / ٢٠٥) ح ٨٩٠٢

(٤) انظر قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ص ٨٤ - ٨٦) ومجموع الفتاوى (٢٧ / ٣٤٩) والرد على الأخنائي (١٠٦ ، ١٠٧) .

المبحث الخامس

حكم الاحتفال بمولده ﷺ

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : حكم فعل المولد .

المطلب الثاني : بيان ما يفعل في الموالد من الغلو والمنكرات .

● ● ● ●

المطلب الأول

حكم فعل المولد

إن من جملة ما نهى النبي ﷺ أمته عنه ، وحذرهم منه :

١ ـ الابتداع في الدين .

٢ ـ التشبه باليهود والنصارى .

والمقيم للمولد والمشارك فيه واقع في المحظورين معا .

فإقامة المولد من الأمور المحدثة المبتدعة التي لم يشرعها النبي ﷺ لأمته ، ولم يفعله أصحابه من بعده بل ولا أهل القرون المفضلة .

فما ظنك بعمل لم يأمرنا النبي ﷺ بفعله ولا حث عليه ولا رغب فيه ، وهو المشهود له بأنه ما ترك أمر خير إلا وحث الأمة عليه ورغبهم فيه .

وما ظنك بعمل لم يفعله سلف الأمة ، « ولو كان خيرًا محضًا ، أو راجحًا لكانوا رضوان الله عليهم أحق منا به ، فإنهم كانوا أشد محبة لرسول الله ﷺ وتعظيمًا له منا ، وهم على الخير أحرص » [(١)] .

وما أحسن أن يستشهد المرء هنا بقول الإمام مالك رحمه الله تعالى « من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمدًا ﷺ خان الرسالة ، لأن الله يقول ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾[(٢)] فما لم يكن يومئذ دينًا ، فلا يكون اليوم دينًا »[(٣)] .

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (ص ٢٩٥) .

(٢) الآية (٣) من سورة المائدة .

(٣) تقدم تخريجه .

وقال أيضًا : « قبض رسول اللّه ﷺ وقد تم هذا الأمر واستكمل فإنما ينبغي أن نتبع آثار رسول اللّه ﷺ ولا نتبع الرأي »[1] .

هذا وإن أصل الاحتفال بالمولد يرجع إلى العبيدين[2] الذين يتسمون (بالفاطميين) فهم أول من أحدث هذه البدعة في الأمة وما كانت الموالد تعرف في دولة سلام قبل هؤلاء .

فقد جاء في كتاب الخطط المسمى كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار تحت عنوان (ذكر الأيام التي كان الخلفاء الفاطميون يتخذونها أعيادًا ومواسم ...) .

قال : « كان للخلفاء في طول السنة أعيادًا ومواسم :

رأس السنة ، وموسم أول العام ، ويوم عاشوراء ، ومولد النبي ﷺ ... »[3].

فكانت الموالد من الآثار التي خلفها هؤلاء العبيديون الباطنيون مع غيرها من البدع والمنكرات التي ما أنزل اللّه بها من سلطان .

قد حمل راية هذه البدعة من بعدهم المتصوفة ، الذين وجدوا في إحياء هذه البدعة متنفسًا لنشر باطلهم وبدعهم ، وما الطقوس التي تعمل في زمننا هذا أثناء إقامة المولد إلا أكبر شاهد على حمل الصوفية لراية هذه البدعة .

فقد وجدوا في هذه البدعة مرتعًا خصبًا لنشر غلوهم ورقصهم وطقوسهم

---

(١) تقدم تخريجه ص ٢٤٧ .

(٢) العبيديون هم أبناء عبيد اللّه بن ميمون بن ديصان المشهور بالقداح اليهودى قامت دولتهم في مصر (٣٦٢ - ٥٦٤ هـ) وكانوا من أجرأ الناس على استحداث البدع والمنكرات التي لم ترد في كتاب ولا سنة . انظر كتاب قصة نسب الفاطميين للدكتور عبد الحليم عويس ، والبداية والنهاية لابن كثير (١٢ / ٢٦٧) .

(٣) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (١ / ٤٩٠) .

وشطحهم وذلك تحت ستار ما يدعونه من محبة النبي ﷺ ﴿ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾(١).

وقد كان أول تأييد رسمي ناله المتصوفة لاحياء هذه البدعة على يد الملك المظفر ملك إربل ، الذي كان يحتفل بالمولد احتفالا هائلًا ينفق فيه ثلاثمائة ألف دينار ، ويعمل فيه للصوفية سماعًا من الظهر إلى الفجر ، ويرقص بنفسه معهم (٢).

وقد استمرت هذه الاحتفالات بهذه البدعة إلى زماننا هذا وحسبك ببدعة أنشأها ملاحدة باطنيون معروفون بالبدع والمنكرات ، وتولاها من بعدهم متصوفة ضالون مضلون لم يتركوا شيئا من باطلهم وبدعهم إلا وأدخلوه فيما يسمى بالمولد النبوي .

ولا عجب في اتفاق الطائفتين على هذا الأمر فهم يجمعهم مشرب واحد اذ الكل يزعم أن الشريعة لها ظاهر وباطن .

فمما لاشك فيه أن فعل ما يسمى بالمولد بدعة من البدع التي لا أساس لها في القرآن ولا في السنة ولا في عمل السلف الصالح وهي بالإضافة إلى ذلك لا تحقق المراد من حب الرسول ﷺ فتحقيق محبته وتعظيمه كما سبق وأن بينا ، هو في متابعته وطاعته واتباع أمره وإحياء سنته باطنا وظاهرا ونشر ما بعث به والجهاد في ذلك بالقلب واليد واللسان ، فهذه هي طريقة السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم باحسان .

ويضاف إلى كون فعل هذا الأمر من البدع التي نهى الشارع عنها ما فيه

---

(١) الآية (٧٩) من سورة البقرة .

(٢) البداية لابن كثير (١٣ / ١٣٧) .

كذلك من مضاهاة ومشابهة للنصارى في ميلاد عيسى عليه السلام فإن النصارى تحتفل بيوم مولد عيسى ويتخذونه عيدا وذلك بإيقاد الشموع وصنع الطعام وارتكاب المحرمات وفعل الموبقات من شرب للخمور وفعل الفواحش وغير ذلك من المهازل والقبائح ، وفي هذا يقول بعضهم معللا مشروعية الاحتفال بفعل المولد (إذا كان أهل الصليب اتخذوا ليلة مولد نبيهم عيدًا أكبر فأهل الإسلام أولى بالتكريم وأجدر[1] .

ونسى هذا القائل أو تناسى تحذير النبي ﷺ من مشابهة اليهود والنصارى فقد ثبت عنه ﷺ أنه قال : « لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرًا شبرا وذراعًا ذراعًا حتى لو دخلوا حجر ضب تبعتموهم » .

قلنا : يارسول الله اليهود والنصارى ؟

قال : « فمن » [2] أى فمن هم غير أولئك .

o o o o

(١) التبر المسبوك للسخاوى (ص ١٤) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الاعتصام بالكتابه والسنة باب قول النبي ﷺ « لتتبعن سنن من كان قبلكم . انظر : فتح الباري (١٣ / ٣٠٠) ح ٧٣٢٠ ، وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب العلم ، باب اتباع سنن اليهود والنصارى (٨ / ٥٧) .

المطلب الثاني

بيان ما يفعل في الموالد من الغلو والمنكرات

لقد اتخذ أصحاب الطرق الصوفية من المولد ستارا لترويج باطلهم ونشر بدعتهم عند الجهلة من عوام الناس .

فهم باسم محبة الرسول ﷺ يقيمون مثل هذه الاحتفلات ، وبذكر شيء من سيرته يفتتحونها ، ولكن سرعان ما يظهر الباطل وتنجلى الغشاوة فيرى صاحب البصيرة ألوانًا وأشكالًا من الغلو والبدع المنكرة تظهر من خلال ما يتلفظ به من أقوال ، وما ينشد فيه من أشعار ، وما يقام من حركات وأفعال ، مبدية بذلك الوجه الحقيقي والهدف الرئيسي من إقامة مثل هذه الموالد .

ومن عجيب حال هؤلاء أنهم سموا كل اجتماعاتهم التي تقام فيها هذه الأباطيل مولدا مع أن التسمية لا تساعدهم على هذا الإطلاق ، وما ذاك إلا أنهم عرفوا أن رواج باطلهم لا يتحقق إلا تحت هذا الستار ليروج أمرهم على خفافيش الأبصار اتباع كل ناعق .

فمن البدع والمنكرات التي تقام في هذه الموالد ـ وما أكثرها ـ مايحصل من الغلو في حق النبي ﷺ ، وذلك من خلال القصائد التي يطلقون عليها اسم المدائح النبوية ، والتي لا تخلوا من ألفاظ الغلو في شخص الرسول ﷺ والتجاوز عما حدده الشارع مما يليق بمقامه الكريم من الإجلال والتقدير .

فالمتأمل لتلك القصائد يجدها مرصوفة بعبارات التوسل والاستشفاع والاستغاثة ، وجعل النبي ﷺ هو المتصرف في هذا الكون وجعله أول الموجودات والقطب الذي تدور عليه الأفلاك ، وجعله الغاية التي من أجلها

وجد هذا الكون إلى غير ذلك الافتراءات والأباطيل التي شحنت بها تلك القصائد .

وهذه مقتطفات من بردة البوصيرى [1] تمثل جانبا من مظاهر الغلو التي يتردد في عبارات ما يسمونه بالمدائح النبوية :

وكيف تدعو إلى الدنيا ضرورة من	لولاه لم تخرج الدنيا إلى العدم
دع ما ادعته النصارى في نبيهم	واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم
لو ناسبت قدره آياته عظما	أحيا اسمه حين يدعى دارس الرمم
وكل آى أتى الرسل الكرام بها	فإنما اتصلت من نوره بهم
وكلهم من رسول اللّه ملتمس	غرفا من البحر أو رشفا من الديم
لا طيب يعدل تربا ضم أعظمه	طوبى لمنتشق منه وملتثم
أقسمت بالقمر المنشق أن له	من قلبه نسبة مبرورة القسم
ما سامني الدهر ضيما واستجرت به	إلا ونلت جوارا منه لم يضم
ولا التمست غني الدارين من يده	إلا استلمت الندى من خير مستلم
يا خير من يمم العافون ساحته	سعيا وفوق متون الأينق الرسم
خدمته بمديح استقيل به	ذنوب عمر مضى في الشعر والخدم
إن آت ذنبا فما عهدى بمنتقض	من النبي ولا حبلى بمنصرم
فان لى ذمة منه بتسميتى	محمدا وهو أوفي الخلق بالذمم

(١) هو : محمد بن سعيد بن حماد البوصيرى ، شاعر صوفي غال ، له عدد من القصائد في المدائح النبوية ، وقد عرف عنه قلة علمه ، وسلاطة لسانه ، وتكففه للناس وقد ذكر محقق ديوانه عددا من الخصال التي تدل على حقيقة الرجل وقدره .

انظر : مقدمة ديوان البوصيرى بتحقيق محمد سيد كيلاني .

إن لم تكن في معادى آخذا بيدى فضلا والا فقل يازلة القدم
حاشاه أن يحرم الراجى مكارمه أو يرجع الجار منه غير محترم
ومنذ ألزمت أفكارى مدائحة وجدته لخلاصي خير ملتزم
ولن يفوت الغني منه يدا تربت ان الحيا ينبت الأزهار في الأكم
يا أكرم الخلق مالى من ألوذ به سواك عند حدوث الحادث العمم
ولن يضيق رسول الله جاهك بى إذا الكريم تجلى باسم منتقم
فإن من جودك الدنيا وضرتها ومن علومك علم اللوح والقلم[١]

فتأمل هذه الأبيات وما فيها من غلو واطراء ومظاهر شركية تجاوز فيها الشاعر كل الحدود .

حيث جعل الرسول عليه الصلاة والسلام هو الغاية في خلق الدنيا وعلة وجودها « وجعله بمنزلة الإله فهو يغني ويفقر ويغفر الذنوب ويقيل العثرات وهو الملاذ والملجأ في الدنيا والآخر بل انتهي به الأمر إلى أن جعل تصريف الكون كله بيد رسول الله ﷺ »[٢] .

فماذا أبقى للخالق عز وجل وخاصة عند قوله :

فان من جودك الدنيا وضرتها ومن علومك علم اللوح والقلم

« فإذا كانت الدنيا وضرتها من جود الرسول ﷺ ومن بعض علومه علم اللوح والقلم ، لأن « من » للتبعُيض ، فماذا للخالق جل وعلا »[٣] .

فهذا هو بعينه الغلو والإطراء الذي حذر النبي ﷺ أمته منه .

(١) ديوان البوصيرى (ص ٢٤٠ - ٢٤٨) وهذه الأبيات منتقاة من قصيدته المعروفة بالبردة .
(٢) تنبيه أولى الأبصار (ص ٢٤٩) .
(٣) منهج القرآن في الدعوة إلى الإيمان (ص ١٦٣) .

وبالاضافة إلى ألفاظ الشرك وعبارات الغلو التي تحملها جل القصائد والمدائح « فان الاحتفال عادة ما يختتم بدعوات تحمل ألفاظ التوسلات المنكرة والكلمات الشركية المحرمة ، لأن جل الحاضرين عوام أو غلاة في حب التوسلات الباطلة التي نهي عنها الشارع »[١] .

أضف إلى ذلك مايدعونه من أن النبي ﷺ يحضر هذه الموالد إما بجسده كما يدعيه بعضهم أو بروحه كما يدعيه البعض الآخر منهم ، وسوف اتعرض لهذه النقطة في المبحث القادم بإذن اللّه .

هذا فيما يتعلق بما يحصل في هذه الموالد من غلو في حق النبي ﷺ .

ويضاف إلى هذا الأمر ماقد يحصل في بعض الموالد من منكرات وبدع أخرى كالرقص الصوفي ، والذكر البدعي ، وضرب الدفوف ، والتزمير بالمزامير[٢] .

وقد يحصل فيها اختلاط الرجال بالنساء وشيء من الفجور وشر الخمور ولكن لا يطرد لا في كل البلاد ولا في كل الموالد[٣] .

فنعوذ باللّه من حال أهل الزيغ والضلال .

○ ○ ○ ○

---

(١) الانصاف فيما قيل في المولد من الغلو والاحجاف (ص ٣١) .

(٢،٣) الانصاف فيما قيل في المولد من الغلو والاحجاف (ص ٢٨) .

المبحث السادس

حكم القول بحضوره في مجالس المحتفلين ورؤيته بالعين الباصرة

إن من يتأمل في كلام الصوفية فيما يتعلق بشأن غلوهم في حق النبي ﷺ بما في ذلك التوسل والاستشفاع والاستغاثة به وطلب تفريج الكروب ومغفرة الذنوب وغير ذلك مما تقدم الإشارة إليه يجد أن محور دعواهم يقوم على دعوى أن النبي ﷺ حي بجسده وروحه(١)وأنه يتصرف ويسير حيث شاء في أقطار الأرض وفي الملكوت ، وهو بهيئته التي كان عليها قبل وفاته لم يتبدل منه شيء ، وأنه مغيب عن الأبصار كما غيبت الملائكة ـ مع كونهم أحياء بأجسادهم ـ فإذا أراد اللّه تعالى رفع الحجاب عمن أراد إكرامه برؤيته رآه على هيئته التي هو عليها ، لا مانع من ذلك(٢) .

والصوفية ليسوا على رأي واحد في هذا الأمر بل هم مختلفون مضطربون وفي حالهم هذا يتذكر المرء قول اللّه تعالى : ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ ٱخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾(٣) .

فهم مختلفون في حقيقة المرئى :

فقال بعضهم المرئي ذات المصطفى بجسمه وروحه كما تقدم في النقل السابق .

---

(١) لا يقصد هؤلاء بالحياة هنا الحياة البرزخية وهذا يتضح من سياق العبارات التالية لهذه العبارة ، فهم يرون أن النبي ﷺ يخرج من قبره وله التصرف الملكوت العلوى والسفلى .

(٢) غاية الأمانى في الرد على النبهانى (١ / ٥٢) .

(٣) الآية (٨٢) من سورة النساء .

وبعضهم يقول ليس المراد أنه يرى جسمه وبدنه ، بل مثالا له ، وصار ذلك المثال آلة يتأدى بها المعني الذي في نفسه .

وقالوا : والآلة تارة تكون حقيقة ، وتارة تكون خيالية ، والنفس غير المثال المتخيل ، فما رآه في الشكل ليس هو روح المصطفى ﷺ ولا شخصه ، بل هو مثال له على التحقيق .

وفصل بعضهم فقال : رؤية[1] النبي ﷺ بصفته المعلومة إدراك له على الحقيقة . ورؤيته على غير صفته إدراك للمثال[2] .

وقال بعضهم : « ومنهم من يرى روحه في اليقظة متشكلة بصورته الشريفة . ومنهم من يرى حقيقة ذاته الشريفة وكأنه معه في حياته ﷺ ، وهؤلاء هم أهل المقام الأعلى في رؤيته ﷺ[3] .

وأعجب من ذلك كله ما ذكر عن بعضهم من أنه رأى السماء والأرض والعرش والكرسي مملوءة من رسول الله ﷺ .

وزعم من زعم أن السؤال عن كيفية رؤية المتعددين له عليه الصلاة والسلام في زمن واحد في أقطار متباعدة ينحل به ، ولا يحتاج معه إلى ما أشار إليه بعضهم وقد سئل عن ذلك فأنشد

كالشمس في كبد السماء وضؤها يغشى البلاد مشارقا ومغاربا[4]

---

(١) لا يقصدون هنا الرؤيا المنامية وإنما يقصدون رؤية اليقظة فهم يقولون : إن رؤيته أكثر ما تقع بالقلب ثم يترقى الحال إلى أن يرى بالبصر على ما زعموا .

(٢) غاية الأماني (١ / ٥١) .

(٣) التيجانية (ص ١٢٧) .

(١) غاية الأماني (١ / ٥٢) .

فانظر إلى هذا الغلو عندهم ، نعوذ بالله من حال أهل الزيغ والضلال

ويحسن قبل الشروع في تفنيد هذا الباطل وبيان فساده أن أشير إلى الوجه الآخر لهذه الدعوى .

فهذه الطائفة لم تكن لتدعى هذه الدعوى إلا لما فيها من المكاسب والأهداف والغايات التي يتحصلون عليها من وراء ذلك .

فمنهم من يستغل هذه الدعوى ليحصل على اجازة من الرسول ﷺ للطريقة التي ابتدعها والأذكار والأوراد التي اخترعها لتصبح بعد ذلك شرعا لأتباعه .

ومنهم من يستغل ذلك لايهام الناس بأن ذلك من كراماته ليحظى لديهم بالمنزلة والمكانة إلى غير ذلك من الغايات والمآرب .

هذا وإن لموضوع رؤية النبي ﷺ جوانب متعددة يخصنا منها ما يتعلق بعنوان المبحث وهو دعوى رؤيته يقظة بعيني الرأس .

فهذه الدعوى مخالفة للشرع والعقل .

أما من جهة الشرع فليس هناك دليل شرعي يثبت حصول ذلك وغاية ما دلت عليه النصوص امكانية الرؤيا المنامية ، فحملها أهل الباطل على الرؤية البصرية ، ومما يؤكد فساد هذا التأويل للرؤيا واقع القرون المفضلة المشهود لهم بالخيرية من المصطفى ﷺ ، فلم ينقل عن أحد من أهل هذه القرون الثلاثة أنه رأى النبي ﷺ يقظة بعد موته .

مع أنه قد حدثت في أزمانهم حوادث كان الحاجة إلى ظهوره شديدة جدا لو كان ذلك ممكنا .

فالصحابة قد وقع بينهم اختلاف في عدد من المسائل الدينية والدنيوية وفيهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلى ، ولم يبلغنا أن أحدا منهم ادعى أنه رأى في

اليقظة رسول الله ﷺ وأخذ عنه ما أخذ ، وكذا لم يبلغنا أنه ﷺ ظهر لمتحير في أمر من أولئك الصحابة الكرام فأرشده وأزال تحيره .

« وقد قال ابن عبد البر لمن ظن أن الرسول ﷺ قد كلم بعض الناس بعد وفاته عند حجرته .

فقال له ابن عبد البر : ويحك أترى هذا أفضل من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار ؟ فهل من هؤلاء من سأل النبي ﷺ وأجابه ؟

وقد تنازع الصحابة في أشياء ، فهلا سألوا النبي ﷺ فأجابهم ، وهذه بنته فاطمة تنازع في ميراثه فهلا سألته فأجابها ؟[1] .

وأما من جهة العقل فلما يترتب على هذه الدعوى من اللوازم الباطلة فليزم منها :

١ـ أن يخلو قبره من جسده فلا يبقى في قبره منه شيء فيكون من يزوره في ذلك الوقت يزور مجرد القبر ويسلم على الغائب .

٢ـ أن يحيا الآن ويخرج من قبره ويمشي في الأسواق ويخاطب الناس ويخاطبوه .

٣ـ أن يكون الشخص الذي رآه يقظة له حكم الصحابة رضوان الله عليهم .

٤ـ أن يكون الكلام الذي تكلم به النبي ﷺ تشريعًا جديدًا لهذه الأمة وهذا لاشك فيه ، طعن في كمال هذا الدين وكونه عرضة للتبديل والتغيير .

وهذه الجهالات لا يلتزم بها من كان له أدنى مسكة عقل .

ومن ظن أن جسد رسول الله ﷺ المودع في المدينة خرج من القبر وحضر في المكان الذي رآه فيه فهذا جهل لا جهل يشبهه .

---

(١) مجموع الفتاوى (١٠ / ٤٠٧) .

فقد يراه في وقت واحد ألف شخص في ألف مكان على صور مختلفة .
فكيف يتصور هذا في شخص واحد ؟»[١] .

هذا وان الذي يعتقده علماء السلف هو أن الأنبياء أحياء في قبورهم حياة برزخية الله أعلم بكيفيتها ، وقد حرم الله على الأرض أن تأكل أجسادهم ، وأن هذه الأجساد لا تخرج من القبور حتى يبعث الله الخلائق كما في الحديث عنه ﷺ « فإن الناس يصعقون فأكون أول من تنشق عنه الأرض »[٢] .

وعنه ﷺ أنه قال : « أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ، وأول من ينشق عنه القبر ... » الحديث[٣] .

فالرسول ﷺ لا يخرج من قبره قبل يوم القيامة ولا يتصل بأحد من الناس .
بل هو منعم في قبره وروحه في أعلى عليين عند ربه في دار الكرامة .
والله الموفق وهو الهادى إلى سواء السبيل .

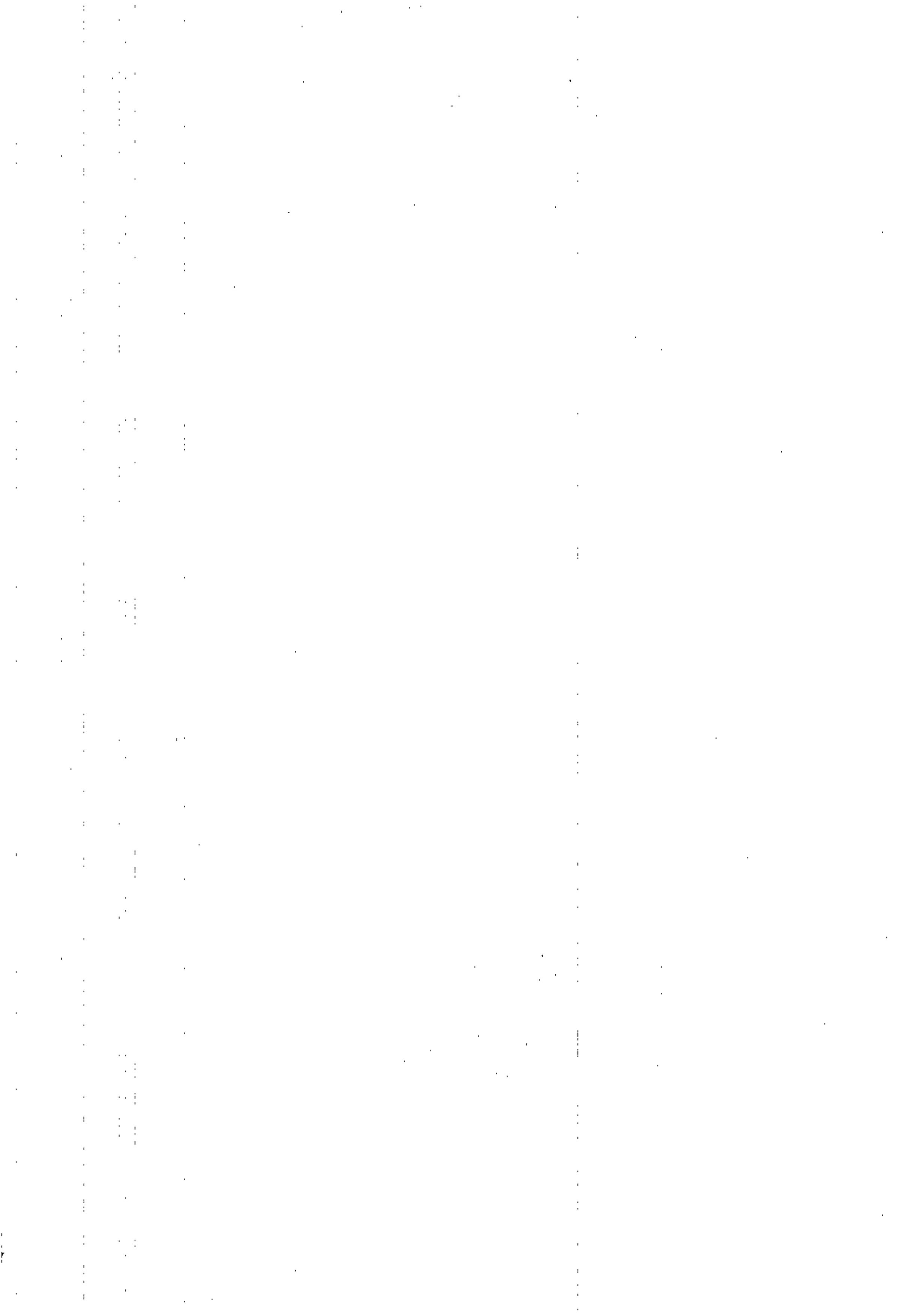
o o o o

---

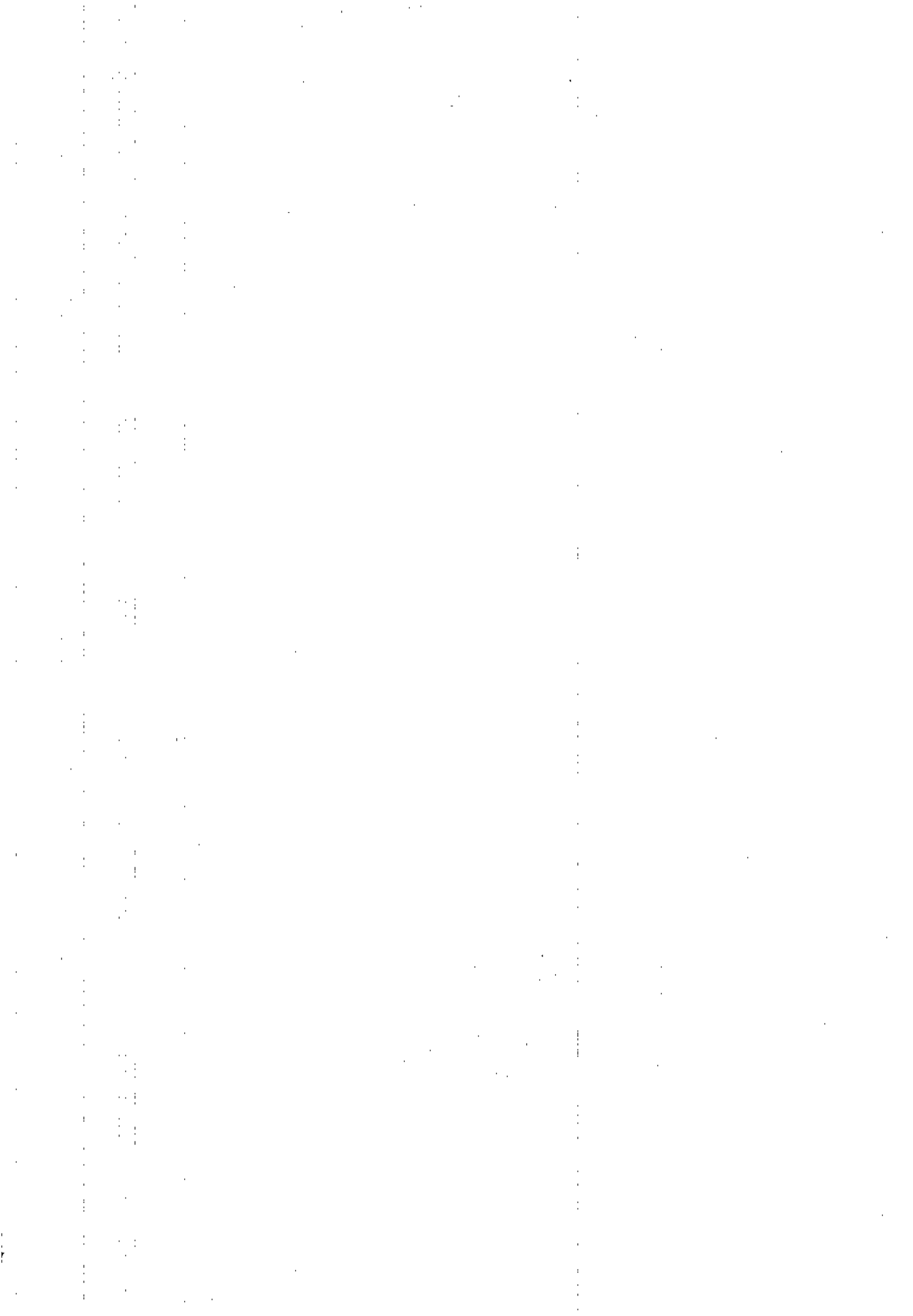
(١) صيد الخاطر (ص ٤٢٩) .

(٢) أخرجه بهذا اللفظ البخاري في صحيحه ، كتاب الخصومات ، باب ما يذكر في الأشخاص والخصومة بين المسلم واليهودى . انظر : فتح الباري (٥ / ٧٠) .

(٣) تقدم تخريجه ص ٤٥٧) .



الخَاتِمَة



الخاتمة

جريا على عادة الباحثين في ذكر النتائج التي توصلوا اليها في نهاية أبحاثهم ونظرا لأهمية ذلك في الرسائل العلمية فإني ألخص أهم النتائج التي توصلت إليها في بحثي بما يلي :

١ـ هذه الحقوق المذكورة في ثنايا هذه الرسالة تشكل بمجموعها أحد أصلي الدين ، وهي معني « شهادة أن محمدا رسول اللّٰه » .

٢ـ هذه الحقوق لا يدخل فيها ما هو حق خالص للّٰه عز وجل من أمور الألوهية أو الربوبية .

فما كان حقا للّٰه عز وجل فلا يجوز صرفه لغير اللّٰه لا للنبي ﷺ ولا لغيره ، وهذا ما أكدته نصوص القرآن والسنة .

٣ـ أن أمور هذا الدين لا تقوم على التحلي والتمني والدعاوى الزائفة وإنما تقوم على الاعتقاد الصحيح الذي يصدقه قول اللسان وعمل الجوارح .

٤ـ أن النصوص من آيات وأحاديث وآثار قد وضحت ما يجب على هذه الأمة في هذا الجانب فقد أرشدت ودلت وبينت وفصلت وهذا هو الشأن في جميع جوانب هذا الدين ، فقد أكمل اللّٰه عز وجل لنا هذا الدين ، وقد بلغ رسوله ﷺ ما أوحي إليه من رب العالمين البلاغ المبين .

فلسنا في حاجة بعد ذلك إلى من يزيد على هذه الحقوق أو ينقص منها ، وإنما علينا أن نتبع ونقتدى ولا نبتدع .

٥ـ أن على الأمة أن تعرف ما أوجب اللّٰه عليها من حقوق تجاه نبيها ﷺ فذلك عقد من عقود الإيمان لا يتم ايمان العبد الا به .

وعلى المسلم بذل الوسع في تعلم هذه الحقوق وتعليمها ونشرها بين الناس .

٦ـ وجوب الإيمان بالنبي ﷺ وأنه لا يتم الإيمان بالله بدون الإيمان به ، كما لا تحصل نجاة ولا سعادة بدون الإيمان به ، لأنه هو الطريق إلى الله سبحانه وتعالى ولذلك كان أول أركان الإسلام « شهادة أن لا إله إلا الله وشهادة أن محمدا رسول الله » .

٧ـ أن برهان الإيمان بالنبي ﷺ ومحبته وتعظيمه يرتكز على محور الاتباع والتأسي ، ولذلك كان السلف من الصحابة والتابعين وتابعيهم ومن سار على نهجهم أشد الناس حرصا على ذلك .

٨ـ خص الله عز وجل نبيه محمدًا ﷺ بحقوق مما يزيد على لوازم الرسالة تفضلا من الله عز وجل وتكريما فعلينا حفظ تلك الحقوق والقيام بها .

٩ـ على الأمة أن تحفظ حرمة النبي ﷺ بعد وفاته في خاصة نفسه وفي آله وأزواجه أمهات المؤمنين وأصحابه رضوان الله عليهم أجمعين ، وفي كل ما له صلة بأمر هذا الدين .

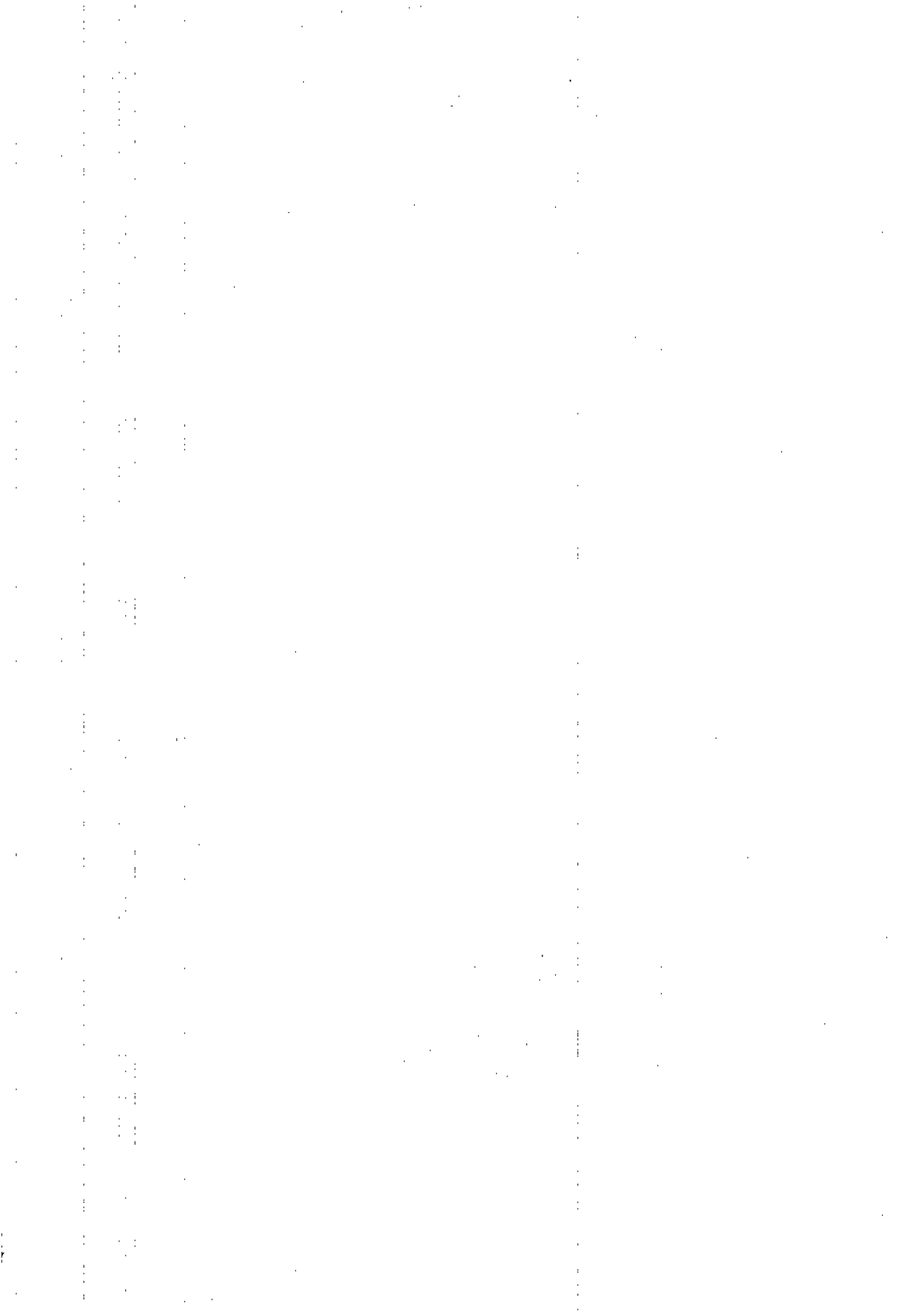
١٠ـ على المسلم أن يحذر أشد الحذر من مخالفة هدي النبي ﷺ لما في ذلك من الهلاك والخسران في الدنيا والآخرة .

١١ـ الغلو في حقه ﷺ لا يزيد إلا بعدا عن شرع المصطفى ﷺ ، ولا يحقق لصاحبه محبة ولا تعظيمًا .

وفي الختام أسأل الله عز وجل أن يرزقنا حسن التأسي والاقتداء والثبات على الحق ، وأن يحشرنا في زمرة نبيه ﷺ إنه جواد كريم وعلى كل شيء قدير .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

○○○○



الفهارس العامة للكتاب

● ● ● ●

١- فهرس الآيات القرآنية

سورة النساء

○○○○

٢ـ فهرس الأحاديث

○○○○

٣- فهرس الآثار

○ ○ ○ ○

٤ . الكلمات الغريبة

○ ○ ○ ○

٥ ـ فهرس المواطن

○ ○ ○

٦ـ فهرس الفرق

○○○○

٧. فهرس الأعلام المترجم لهم

الكنى

النساء

○○○○

٨ ـ فهرس المراجع والمصادر

١ـ الإبداع في مضار الابتداع : للشيخ الأستاذ علي محفوظ (ت ١٣٦١هـ) ط دار المعرفة بيروت .
٢ـ الإحكام في أصول الأحكام : للآمدى ، سيف الدين على بن محمد ـ دار الفكر ـ الطبعة الأولى ١٤٠١ هـ .
٣ـ آداب الشافعي ومناقبه : للرازى أبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم (ت ٣٢٧ هـ) دار الكتب العلمية ، بيروت .
٤ـ الأدب المفرد : للبخارى محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦ هـ) دار الكتب العلمية بيروت .
٥ـ إرشاد الطالب : للشيخ سليمان بن سحمان ، مطبعة المنار ، مصر ـ الطبعة الأولى ١٣٤٠ هـ .
٦ـ الاستيعاب في أسماء الأصحاب : لابن عبد البر ، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد (ت ٤٦٣ هـ) الناشر : دار الكتاب العربى .
٧ـ أسد الغابة في معرفة الصحابة : لعز الدين على بن أحمد بن الأثير الجزرى ـ ط دار الشعب ـ القاهرة ١٣٩٠ هـ .
٨ـ الأصول الثلاثة وأدلتها : لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب (ت ١٢٠٦ هـ) مطبعة الكيلاني .
٩ـ الإصابة في تمييز الصحابة : لابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ) دار الكتاب العربى ، بيروت
١٠ـ اضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن : للشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الجنكى الشنقيطى (ت ١٣٩٣ هـ) ط عالم الكتب ، بيروت .
١١ـ أطلس العلم : لعدد من الأساتذة ـ الناشر مكتبة لبنان .
١٢ـ الاعتصام : للعلامة أبي إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت لبنان ١٤٠٢ هـ .
١٣ـ الأعلام : لخير الدين الزركلي ـ دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان الطبعة السادسة ١٩٨٤ م .
١٤ـ أعلام الموقعين : لمحمد بن أبي بكر المشهور بابن قيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ) مكتبة الكليات الأزهرية ١٣٨٨ هـ .
١٥ـ إغاثة اللهفان : لمحمد بن أبي بكر المشهور بابن قيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ) دار المعرفة بيروت ، لبنان .
١٦ـ كتاب اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم : لابن تيمية ، أبو العباس تقى الدين أحمد بن عبد الحليم (ت ٧٢٨ هـ) مطابع المجد التجارية .

١٧- الأم : للإمام محمد بن إدريس الشافعي (ت ٢٠٤ هـ) مطبعة كتاب الشعب .
١٨- الإنصاف فيما قيل في المولد من الغلو والإجحاف لأبي بكر بن جابر الجزائري - مطابع الرشيد بالمدينة المنورة ١٤٠٢ هـ .
١٩- الأنوار المحمدية من المواهب اللدنية : ليوسف بن إسماعيل النبهاني - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت .
٢٠- إيضاح الدلالة في عموم الرسالة : لشيخ الإسلام ابن تيمية أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم (ت ٧٢٨ هـ) ضمن مجموعة الرسائل المنيرية (الجزء الثاني) ط إدارة الطباعة المنيرية ، الناشر محمد أمين دمج ، بيروت ١٩٧٠ م .
٢١- كتاب الإيمان : لابن تيمية ، أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم (ت ٧٢٨ هـ) ط المكتب الإسلامي ، الطبعة الثالثة .
٢٢- بداية السول في تفضيل الرسول : للعلامة العز عبد العزيز بن عبد السلام السلمي - المكتب الإسلامي الطبعة الرابعة ١٤٠٦ هـ
٢٣- البداية والنهاية : لابن كثير ، عماد الدين أبو الفداء ، إسماعيل بن كثير القرشي (ت ٧٧٤ هـ) مكتبة المعارف ، بيروت ، الطبعة الرابعة ١٤٠١ هـ .
٢٤- البدع والنهي عنها : للإمام محمد بن وضاح القرطبي الأندلسي - دار الرائد العربي بيروت - الطبعة الثانية ١٤٠٢ هـ .
٢٥- بدائع الفوائد : لمحمد بن أبي بكر المشهور بابن قيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ) دار الكتاب العربي - بيروت .
٢٦- تاج العروس من جواهر القاموس : للزبيدى محمد بن عبد الرازق - ط المطبعة الخيرية - مصر الطبعة الأولى .
٢٧- تاريخ البغدادى أبو بكر أحمد بن على (ت ٤٦٣ هـ) ط دار الكتاب العربى ، بيروت ، لبنان .
٢٨- تاريخ الجهمية والمعتزلة : جمال الدين القاسمي الدمشقي - مؤسسة الرسالة - بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠١ هـ .
٢٩- تاريخ الرسل والملوك (تاريخ الطبري) : للطبرى محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ) دار المعارف - القاهرة ١٩٦٨ م .
٣٠- التاريخ الكبير : للبخارى محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦ هـ) دار الكتب العلمية المصورة على نسخة حيدر آباد .
٣١- التيجانية : لعلى بن محمد الدخيل الله - الناشر دار طيبة - الرياض .

٣٢- تحذير أهل الإيمان عن الحكم بغير ما أنزل الرحمن : للأسعردي ، إسماعيل بن إبراهيم الخطيب الحسني - ضمن مجموعة الرسائل المنيرية (الجزء الأول) ط إدارة الطباعة المنيرية .
٣٣- تأويل مختلف الحديث : ابن قتيبة : أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦ هـ) الناشر دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان .
٣٤- التحفة العراقية في الأعمال القلبية : لشيخ الإسلام ابن تيمية تقى الدين أحمد بن عبد الحليم (ت ٧٢٨ هـ) ضمن مجموعة الرسائل المنيرية (الجزء الرابع) ط إدارة الطباعة المنيرية . الناشر محمد أمين دمج ، بيروت ١٩٧٠ م .
٣٥- تدريب الراوى في شرح تقريب النواوي : للسيوطى : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١ هـ) بتحقيق عبد الوهاب بن عبد اللطيف - الناشر دار الكتب الحديثة ، القاهرة مصر . ط الثانية ١٣٨٥ هـ .
٣٦- تذكرة الحفاظ : للذهبى ، أبو عبد الله شمس الدين (ت ٧٤٨ هـ) دار إحياء التراث العربي - طبعة مصورة عن مطبعة دائرة المعارف بالهند .
٣٧- تعظيم قدر الصلاة : لمحمد بن نصر المروزى (ت ٣٩٤ هـ) ط دار الأرقم للطباعة والنشر ، استانبول ، تركيا - الناشر مكتبة الدار - المدينة المنورة الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ .
٣٨- تفسير ابن كثير « تفسير القرآن العظيم » ابن كثير : عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشى (ت ٧٧٤ هـ) ط دار المعرفة ، بيروت ، لبنان عام ١٤٠٢ هـ .
٣٩- تفسير البغوى « معالم التنزيل » : للبغوى الحسن بن مسعود (ت ٥١٦ هـ) ط مطبع المنار ط الأولى .
٤٠- تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آى القرآن) الطبري : أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ) ط شركة ومكتبة مصطفى الحلبى وأولاده ، مصر - الطبعة الثالثة .
٤١- تفسير القرطبي « الجامع لأحكام القرآن » للقرطبى أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري (ت ٦٧١ هـ) ط دار إحياء التراث العربى .
٤٢- تلخيص كتاب الاستغاثة المعروف بالرد على البكري : لشيخ الإسلام ابن تيمية ، ط الدار العلمية للطباعة والنشر دلهي الهند .
٤٣- تنبيه أولي الأبصار الى كمال الدين وما في البدع من الأخطار : للدكتور صالح بن سعد السحيمي ، الناشر دار ابن حزم للنشر والتوزيع - الرياض - الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ .
٤٤- تنبيه الحذاق على بطلان ما شاع بين الأنام من حديث النور المنسوب لمصنف عبد الرزاق : لمحمد أحمد عبد القادر الشنقيطى المدني - مطابع الجامعة الإسلامية ، الطبعة الثانية .

٤٥- تهذيب التهذيب : لابن حجر العسقلاني - طبعة مصورة من طبعة دائرة المعارف بالهند .
٤٦- تهذيب اللغة : للأزهرى ، أبي منصور محمد بن أحمد (ت ٣٧٠ هـ) المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة (تحقيق عبد السلام هارون) .
٤٧- توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم : لأحمد بن إبراهيم بن عيسى - بتحقيق زهير الشاويش - المكتب الإسلامى .
٤٨- تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد : للشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب (ت ١٢٣٣ هـ) الناشر المكتبة السلفية .
٤٩- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان : للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي - ط مؤسسة مكة للطباعة والإعلام .
٥٠- جامع بيان العلم وفضله وما ينبغى روايته وحمله : لأبي عمر يوسف بن عبد البر النمرى القرطبي (ت ٤٦٣ هـ) ، ط دار الكتب العلمية ، ط دار الفكر بيروت .
٥١- الجامع لشعب الإيمان : للبيهقى أبي بكر أحمد بن الحسين (ت ٤٥٨ هـ) « رسالة ماجستير » بتحقيق فلاح بن ثاني بن شامان تتضمن أول الكتاب إلى نهاية الشعبة السابعة . وقسم آخر بتحقيق محمد بن عبد الوهاب العقيل وتتضمن الباب الرابع عشر إلى نهاية الثامن عشر .
٥٢- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم : لابن رجب : زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن أحمد ط دار المعرفة بيروت .
٥٣- الجامع الفريد : ويحتوى على كتب ورسائل لأئمة الدعوة الإسلامية - ط مطبعة المدينة ، الرياض .
٥٤- جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على خير الأنام : لابن القيم : شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر (ت ٧٥١ هـ) تحقيق محيى الدين مستو . دار ابن كثير للطباعة والنشر ، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ . ونسخة أخرى ط دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .
٥٥- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح : لشيخ الإسلام ابن تيمية - ط مطابع المجد .
٥٦- الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي : لابن القيم الجوزية ، دار الكتب العلمية - بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ .
٥٧- حقوق آل البيت : لشيخ الإسلام ابن تيمية - ط دار الكتب العلمية ، بيروت .
٥٨- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء : للحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت ٤٣٠ هـ) الناشر دار الكتاب العربى .
٥٩- الخصائص الكبرى « كفاية الطالب اللبيب في خصائص الحبيب » للسيوطي : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١ هـ) ط : دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط الأولى ١٤٠٥ هـ

٦٠- درء تعارض العقل والنقل : لشيخ الإسلام ابن تيمية - بتحقيق محمد رشاد سالم - ط مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الطبعة الأولى .
٦١- كتاب دراسة حديث نضر الله امرأ : للشيخ عبد المحسن بن حمد العباد - مطابع الرشيد بالمدينة المنورة .
٦٢- الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطى جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١ هـ) ط دار المعرفة .
٦٣- دلائل النبوة : للحافظ ابن نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت ٤٣٠ هـ) ط بدون .
٦٤- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة : للبيهقى : أحمد بن الحسين (ت ٤٥٨ هـ) بتحقيق د / عبد المعطى قلعجى ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ .
٦٥- ديوان الأعشى : ط القاهرة ، عام ١٩٥٠ م .
٦٦- ديوان أبي الطيب المتنبي : ط . دار صادر ، بيروت .
٦٧- ديوان البوصيرى : محمد بن سعيد بن حماد - بتحقيق سيد كيلاني - ط مطبعة الحلبى القاهرة (١٩٩٣ هـ) .
٦٨- الرد على الاخنائى : لشيخ الإسلام ابن تيمية - ط الدار العلمية للطباعة والنشر ، دلهي ، الهند .
٦٩- الرد على الزنادقة والجهمية : للإمام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١ هـ) ط المطبعة السلفية ومكتبتها ، القاهرة ١٣٩٣ هـ .
٧٠- رسالة التقليد : لابن القيم : شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر (ت ٧٥١ هـ) بتحقيق محمد عفيفي - ط المكتب الإسلامى ، بيروت - الطبعة الثانية ١٤٠٥ هـ .
٧١- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني : للألوسى أبي الفضل شهاب الدين محمد البغدادى (ت ١٢٧٠ هـ) دار إحياء التراث العربى ، بيروت .
٧٢- الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء : لابن القيم شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر (ت ٧٥١ هـ) بتحقيق د / بسام على سلامة العموش - الناشر دار ابن تيمية للنشر - الطبعة الأولى .
٧٣- روضة المحبين ونزهة المشتاقين : لابن القيم : شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر (ت ٧٥١ هـ) ط دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .
٧٤- رياض الصالحين : للنووي يحيى بن شرف (ت ٦٧٦ هـ) ط مؤسسة الرسالة .
٧٥- زاد المعاد في هدى خير العباد : لابن القيم الجوزية - بتحقيق شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط الناشر مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان - الطبعة الثالثة عشر ١٤٠٦ هـ .

٧٦ـ زاد المهاجر إلى ربه « الرسالة التبوكية » لابن القيم الجوزية ـ الناشر مكتبة المدني ومطبعتها .
٧٧ـ الزهد : لعبد الله بن المبارك المروزي (ت ١٨١ هـ) بتحقيق حبيب الرحمن الأعظمي ـ دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .
٧٨ـ سلسلة الأحاديث الصحيحة للشيخ محمد ناصر الدين الألباني ـ ط المكتب الإسلامي .
٧٩ـ سلسلة الأحاديث الضعيفة وأثرها السيئ على الأمة : للشيخ محمد ناصر الدين الألباني ـ ط المكتب الإسلامي .
٨٠ـ السنن : لأبي داود ، سليمان بن الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥ هـ) بتعليق عزت عبيد الدعاس وعادل السيد ـ نشر وتوزيع دار الحديث ، حمص ، الطبعة الأولى ١٣٨٨ هـ .
٨١ـ السنن : للترمذى ، أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة (ت ٢٧٩ هـ) بتحقيق أحمد شاكر ـ ط دار إحياء التراث العربى ، بيروت لبنان .
٨٢ـ السنن : للنسائي أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن على بن بحر (٣٠٣ هـ) دار الكتب العلمية ، بيروت .
٨٣ـ السنن : لابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٥ هـ) بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقى ـ ط دار إحياء التراث العربى ونسخة أخرى بتحقيق محمد مصطفى الأعظمى ـ ط شركة الطباعة العربية السعودية ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ .
٨٤ـ السنن : للدارقطني على بن عمر الدارقطني (ت ٣٨٥ هـ) من مطبوعات السيد عبد الله هاشم اليماني ١٣٨٦ هـ بالمدينة المنورة .
٨٥ـ سنن الدارمي : للدارمي عبد الله بن عبد الرحمن (ت ٢٥٥ هـ) ط دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان .
٨٦ـ السنن الكبرى : للبيهقى أحمد بن الحسين بن على (ت ٤٥٨) مطبعة دائرة المعارف النظامية بحيدر أباد .
٨٧ـ السنة : للحافظ أبي بكر عمرو بن عاصم الضحاك بن مخلد الشيباني (ت ٢٨٧ هـ) بتحقيق ناصر الدين الألباني ـ ط المكتب الإسلامى ـ الطبعة الأولى ١٤٠٠ هـ .
٨٨ـ السيرة النبوية : لابن هشام أبي محمد عبد الملك بن هشام المعافرى (ت ٢١٣ هـ) بتحقيق طه عبد الرؤوف سعد ـ ط شركة الطباعة الفنية المتحدة القاهرة .
٨٩ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب : لابن العماد الحنبلي ، أبي الفلاح عبد الحى بن العماد (ت ١٠٨٩ هـ) دار إحياء الكتاب العربى ، بيروت .
٩٠ـ شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة : للالكائي : هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري (ت

٤١٨ هـ) بتحقيق د / أحمد بن سعد الغامدي ، الناشر دار طيبة للنشر والتوزيع .
٩١- شرح العقيدة الأصفهانية : لشيخ الإسلام ابن تيمية - الناشر دار الكتب الإسلامية - مصر .
٩٢- شرح العقيدة الطحاوية - ط المكتب الإسلامى - الطبعة الرابعة
٩٣- شرح النووي لصحيح مسلم : للنووي أبي زكريا يحيى بن شرف (ت ٦٧٦ هـ) الناشر دار الفكر للطباعة والنشر .
٩٤- الشفا بتعريف حقوق المصطفى : للقاضى عياض أبي الفضل عياض بن موسى بن عباس اليحصبى (ت ٥٤٤ هـ) بتحقيق على محمد البجاوى - الناشر دار الكتاب العربى ١٤٠٤ هـ
٩٥- الشهادة الزكية فيثناء الأئمة على ابن تيمية : لمرعى بن يوسف الكرمى الحنبلى (ت ١٠٣٣ هـ) بتحقيق نجم عبد الرحمن خلف - الناشر دار الفرقان ، ومؤسسة الرسالة الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ .
٩٦- الشريعة : للآجري أبي بكر محمد بن الحسين (ت ٣٦٠ هـ) بتحقيق محمد حامد الفقى - الناشر حديث اكادمي ، باكستان ط الأولى ١٤٠٣ هـ
٩٧- الصارم المسلول على شاتم الرسول : لشيخ الإسلام ابن تيمية - ط مطابع الحرس الوطني .
٩٨- صحيح الجامع الصغير وزياداته : للألباني محمد ناصر الدين الألباني - المكتب الإسلامى .
٩٩- صحيح ابن خزيمة : للامام أبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة (ت ٣١١ هـ) بتحقيق الدكتور محمد مصطفي الأعظمى - المكتب الإسلامى .
١٠٠- صحيح مسلم « الجامع الصحيح » للإمام مسلم بن الحجاج القشيرى (ت ٢٦١ هـ) دار المعرفة بيروت لبنان .
١٠١- صيد الخاطر : لابن الجوزي أبي الفرج عبد الرحمن بن على (ت ٥٩٧ هـ) المكتبة العلمية ، بيروت .
١٠٢- طبقات الحنابلة : للقاضي أبي الحسن محمد بن أبي يعلى - تصحيح محمد حامد الفقي - ط السنة المحمدية ، القاهرة .
١٠٣- الطبقات الكبرى : لابن سعد محمد بن عبد الله بن سعد البصرى (ت ٢٣٠ هـ) دار صادر بيروت .
١٠٤- طبقات المفسرين : للداودي شمس الدين محمد بن على بن أحمد (ت ٩٤٥ هـ) الناشر دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .
١٠٥- طريق الهجرتين وباب السعادتين : للإمام ابن القيم الجوزية - دار الكتب العلمية ، بيروت - الطبعة الأولى ١٤٠٢ هـ .
١٠٦- عصمة الأنبياء : للرازي محمد بن عمر بن الحسن (ت ٦٠٦ هـ) الناشر دار المطبوعات

الحديثة ، جده ، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ .
١٠٧- عقيدة ختم النبوة بالنبوة المحمدية : لأحمد بن سعد الغامدي - الناشر دار طيبة ، الرياض ، ١٤٠٥ هـ .
١٠٨- العلل المتناهية في الأحاديث الواهية : لابن الجوزي أبي الفرج عبد الرحمن بن على (ت ٥٩٧ هـ) بتحقيق إرشاد الحق الأثري - الناشر إدارة العلوم الأثرية ، فيصل آباد باكستان .
١٠٩- عمل اليوم والليلة : للنسائي أحمد بن شعيب النسائي (ت ٣٠٣ هـ) بتحقيق د / فاروق حمادة - الناشر مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الثانية .
١١٠- عمل اليوم والليلة : لابن السني : أحمد بن محمد بن إسحاق الدينوري (ت ٣٦٤ هـ) بتحقيق سالم بن أحمد السلفي - الناشر مؤسسة الكتب الثقافية ط الأولى ١٤٠٨ هـ .
١١١- كتاب العين : للخليل بن أحمد الفراهيدى - ط وزارة الثقافة والإعلام بالجمهورية العراقية .
١١٢- غاية الأماني في الرد على النبهاني : الألوسى محمود شكري (ت ١٣٤٢ هـ) دار إحياء السنة النبوية .
١١٣- غريب الحديث : للخطابي : حمد بن محمد بن إبراهيم (ت ٣٨٨ هـ) بتحقيق عبد الكريم إبراهيم العزباوى - ط دار الفكر - دمشق ١٤٠٢ هـ .
١١٤- فتح الباري : لابن حجر العسقلاني : محمد بن على بن حجر (ت ٨٥٢ هـ) ط دار الفكر .
١١٥- فتح القدير : الشوكاني محمد بن على بن محمد (ت ١٢٥٠ هـ) مكتبة مصطفى البابي الحلبي - الطبعة الثانية ١٣٨٣ هـ .
١١٦- فتح المغيث بشرح ألفية الحديث . للسخاوى محمد بن عبد الرحمن - بتحقيق عبد الرحمن عثمان - المكتبة السلفية بالمدينة المنورة .
١١٧- الفرق بين الفرق : عبد القاهر طاهر البغدادى - تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد نشر دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .
١١٨- الفصل في الملل والأهواء والنحل : لابن حزم الظاهري ، أبي محمد على بن أحمد (ت ٤٥٦ هـ) الناشر مكتبة الخانجى بمصر .
١١٩- فضل الصلاة على النبي ﷺ : للإمام إسماعيل بن إسحاق القاضي (ت ٢٨٢ هـ) بتحقيق محمد ناصر الدين الألباني - منشورات المكتب الإسلامى بدمشق - الطبعة الأولى ١٣٨٣ هـ .
١٢٠- الفوائد : لابن القيم الجوزية - ط دار الكتب العلمية ، بيروت .
١٢١- الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة : للشوكاني محمد بن على (ت ١٢٥٠ هـ) بتحقيق عبد الرحمن بن يحيى المعلمي - دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .
١٢٢- في ظلال القرآن : لسيد قطب - ط دار العلم .

١٢٣ـ قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة : لشيخ الإسلام ابن تيمية ـ بتحقيق د / ربيع بن هادى عمير المدخلي الناشر : مكتبة لينة للنشر والتوزيع ـ الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ

١٢٤ـ قاعدة في المحبة : لشيخ الإسلام ابن تيمية ـ بتحقيق د / محمد رشاد سالم ـ الناشر مكتبة التراث الإسلامي .

١٢٥ـ القاموس المحيط : للفيروزآبادى ـ ط عيسى البابي الحلبي ، الطبعة الثانية .

١٢٦ـ القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع : للسخاوي شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٠٢ هـ) الناشر دار الكتب العربى ، بيروت ، الطبعة الأولى .

١٢٧ـ الكامل في التاريخ : لابن الأثير : على بن محمد بن عبد الكريم الجزري (ت ٦٣٠ هـ) ط دار صادر ، بيروت ١٣٨٥ هـ .

١٢٨ـ الكامل في ضعفاء الرجال : لابن عدى : عبد الله بن عدى الجرجاني (ت ٣٦٥ هـ) دار الفكر للطباع والنشر ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٣٠٣ هـ

١٢٩ـ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : للزمخشري أبي القاسم جار الله محمود بن الخوارزمي (ت ٥٣٨ هـ) مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ١٣٨٥ هـ

١٣٠ـ الكفاية في علم الرواية : للخطيب : أحمد بن على بن ثابت المعروف بالخطيب (ت ٤٦٣ هـ) الناشر دار الكتب الحديثة ، القاهرة ، الطبعة الثانية .

١٣١ـ الكواشف الجلية عن معاني الواسطية : لعبد العزيز بن محمد السلمان ـ مطابع المجد التجارية ـ الطبعة العاشرة .

١٣٢ـ لسان العرب : لابن منظور : أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ـ ط دار صادر ، بيروت .

١٣٣ـ لسان الميزان : لابن حجر العسقلاني أحمد بن حجر (٨٥٢ هـ) طبعة مصورة عن طبعة دائرة المعارف بالهند ـ مؤسسة الأعلمى للمطبوعات ، بيروت الطبعة الثانية ١٣٩٠ هـ .

١٣٤ـ اللباب في تهذيب الأنساب : لابن الأثير الجزري (ت ٦٣٠ هـ) دار صادر ، بيروت ١٤٠٠ هـ

١٣٥ـ الماسونية ذلك العالم المجهول : صابر طعيمة ـ دار الجيل ، بيروت ، الطبعة الخامسة عام ١٤٠٦ هـ .

١٣٦ـ مجلة البحوث الإسلامية : العدد التاسع

١٣٧ـ مجلة الجامعة الإسلامية : العدد الثاني السنة الرابعة .

١٣٨ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد : للهيثمي علي بن أبي بكر (ت ٨٠٧ هـ) دار الكتاب ، بيروت الطبعة الثانية .

١٣٩ـ مجموع الفتاوى : لشيخ الإسلام ابن تيمية ـ جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد ط دار العربية ، بيروت .

١٤٠ـ كتاب : محمد رسول الله ﷺ منهج ورسالة : تأليف محمد الصادق إبراهيم عرجون ـ ط دار القلم ، دمشق .

١٤١ـ مدارج السالكين : لابن القيم الجوزية ـ بتحقيق محمد حامد الفقى ـ ط الكتاب العربي ، بيروت لبنان ١٩٧٢ م .

١٤٢ـ المدخل إلى السنن الكبرى : للبيهقى أبي بكر أحمد بن الحسين (ت ٤٥٨ هـ) بتحقيق د / محمد ضياء الرحمن الأعظمي ـ الناشر دار الخلفاء للكتاب الإسلامى .

١٤٣ـ المستدرك على الصحيحين : للحاكم محمد بن عبد الله (ت ٤٠٥ هـ) مطبعة دائرة المعارف النظامية بحيدر آباد .

١٤٤ـ المسند : للإمام أحمد بن حنبل الشيباني (ت ٢٤١ هـ) ط دار صادر بيروت .

١٤٥ـ مشكاة المصابيح : للتبريزى محمد بن عبد الله الخطيب ـ بتحقيق محمد بن ناصر الدين الألباني ـ المكتب الإسلامى ، بيروت ١٣٩٩ هـ .

١٤٦ـ معارج القبول : للشيخ حافظ بن أحمد حكمي ـ ط المطبعة السلفية ومكتبتها .

١٤٧ـ المعجم الكبير : للطبراني : أبي القاسم سليمان بن أحمد (ت ٣٦٠ هـ) تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي ـ الدار العربية ، بغداد ط الأولى .

١٤٨ـ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم : لمحمد فؤاد عبد الباقى ـ الناشر المكتبة الإسلامية ، استانبول تركيا .

١٤٩ـ معجم مقاييس اللغة : لابن فارس : أحمد بن فارس ـ بتحقق عبد السلام هارون ـ ط مكتبة مصطفى الحلبي ، الطبعة الثانية .

١٥٠ـ معرفة علوم الحديث : للحاكم أبي عبد الله محمد بن عبد الله النيسابورى (ت ٤٠٥ هـ) المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر ، بيروت .

١٥١ـ المغني : لابن قدامة عبد الله بن أحمد بن محمد (ت ٦٢٠ هـ) الناشر مكتبة الرياض الحديثة ، الرياض ١٤٠٠ هـ .

١٥٢ـ مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة : للسيوطى عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١ هـ) ط مطابع الرشيد ، الطبعة الثالثة ١٣٩٩ هـ .

١٥٣ـ المفردات في غريب القرآن : لحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢ هـ) ط دار المعرفة بيروت .

١٥٤ـ مقالات الإسلاميين : لأبي الحسن الأشعري : على بن إسماعيل (ت ٣٢٤ هـ) ط دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

١٥٥ـ الملل والنحل : للشهرستاني محمد بن عبد الكريم (ت ٥٤٨ هـ) تحقيق محمد سيد الكيلاني ـ ط مصطفى الحلبي .

١٥٦ـ مناهل الصفا في تخريج أحاديث الشفا : للسيوطى : عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١ هـ) بتحقيق سمير القاضي ـ الناشر مؤسسة الكتب الثقافية .

١٥٧ـ منزلة السنة في التشريع الإسلامى : للدكتور محمد أمان بن على الجامي ـ مطابع الجامعة الإسلامية الطبعة الثالثة .

١٥٨ـ منهاج السنة النبوية لشيخ الإسلام ابن تيمية ـ بتحقيق محمد رشاد سالم ـ ط جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

١٥٩ـ المنهاج في شعب الإيمان : للحليمي أبي عبد الله الحسين بن الحسن (ت ٤٠٣ هـ) بتحقيق حلمي محمد فوده ـ دار الفكر .

١٦٠ـ منهج القرآن في الدعوة إلى الإيمان : للدكتور على بن محمد ناصر فقيهي ـ الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ

١٦١ـ موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان : للهيثمى على بن أبي بكر ـ بتحقيق محمد عبد الرزاق حمزة ـ الناشر دار الكتب العلمية ، بيروت .

١٦٢ـ المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف « بخطط المقريزي » لتقى الدين أبي العباس أحمد بن على المقريزى (ت ٨٤٥ هـ) الناشر : مكتبة الثقافة الدينية ـ القاهرة ـ الطبعة الثانية .

١٦٣ـ الموطأ برواية يحيى بن يحيى الليثى : للإمام مالك بن أنس الأصبحي (ت ١٧٩ هـ) دار النفائس الطبعة العاشرة ١٤٠٧ هـ .

١٦٤ـ ميزان الاعتدال : للذهبي محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨ هـ) بتحقيق على البجاوي ـ دار المعرفة ، بيروت .

١٦٥ـ كتاب النبوات : لشيخ الإسلام ابن تيمية ـ ط دار الكتب بيروت .

١٦٦ـ نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض : للخفاجى أحمد شهاب الدين ـ الناشر دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان .

١٦٧ـ النهاية في غريب الحديث : لابن الأثير : مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري (ت ٦٠٦ هـ) بتحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي ـ الناشر المكتبه العلمية ، بيروت .

١٦٨ـ هذه هي الصوفية : لعبد الرحمن الوكيل ـ دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الرابعة ١٩٨٤ م .

١٦٩ـ الوافي بالوفيات : للصفدي ـ طبع سنة ١٣٨١ هـ .
١٧٠ـ وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى : للسهمودي على بن أحمد (ت ٩١١ هـ) بتحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ـ الناشر دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة الرابعة .
١٧١ـ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان : لابن خلكان أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد (ت ٦٨١ هـ) بتحقيق د / إحسان عباس ـ دار صادر بيروت .
١٧٢ـ الولاء والبراء في الإسلام : لمحمد بن سعيد بن سالم القحطاني ـ الناشر دار طيبة .

○ ○ ○ ○

فهرس موضوعات الجزء الثاني

○ ○ ○ ○